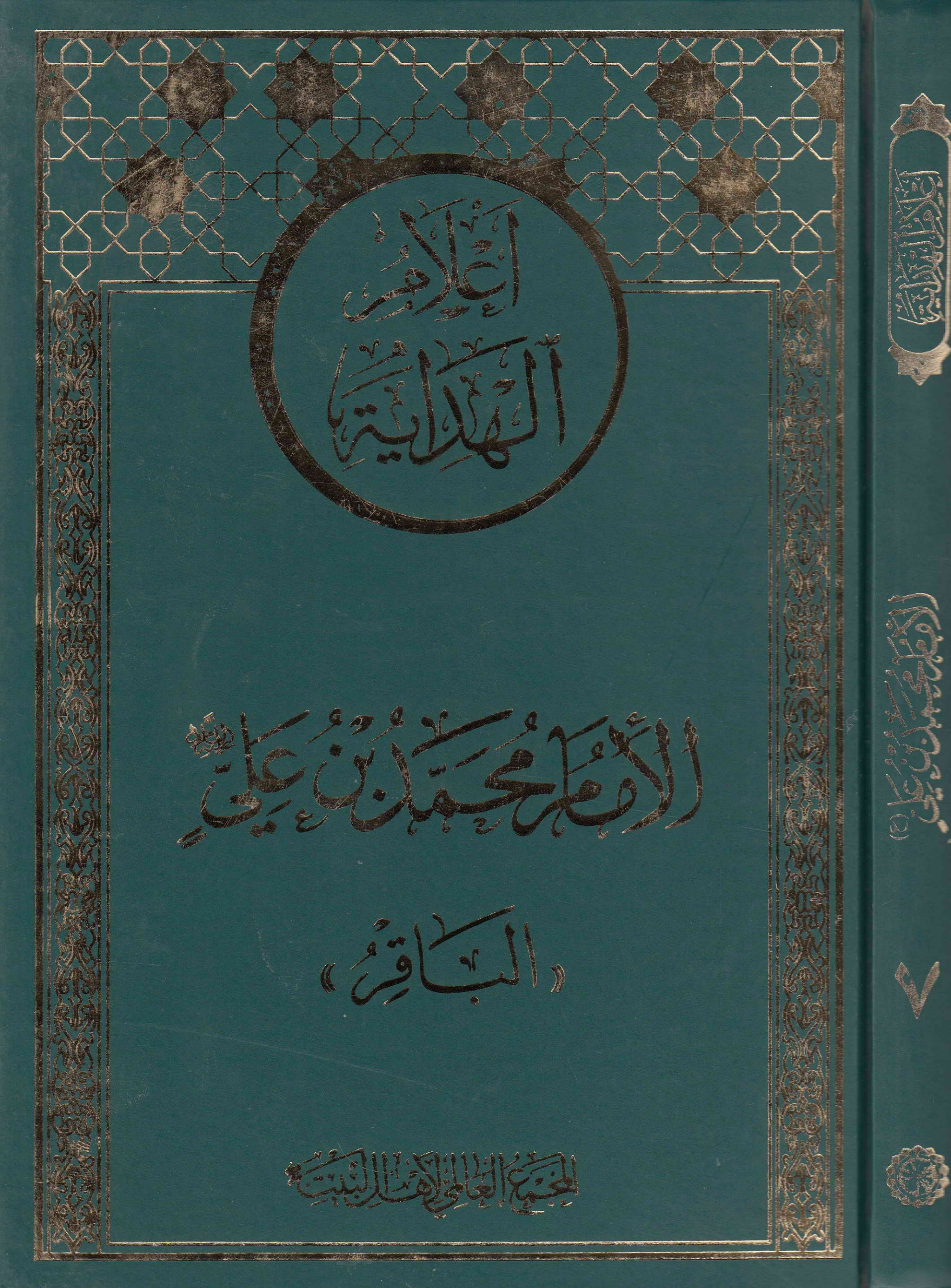
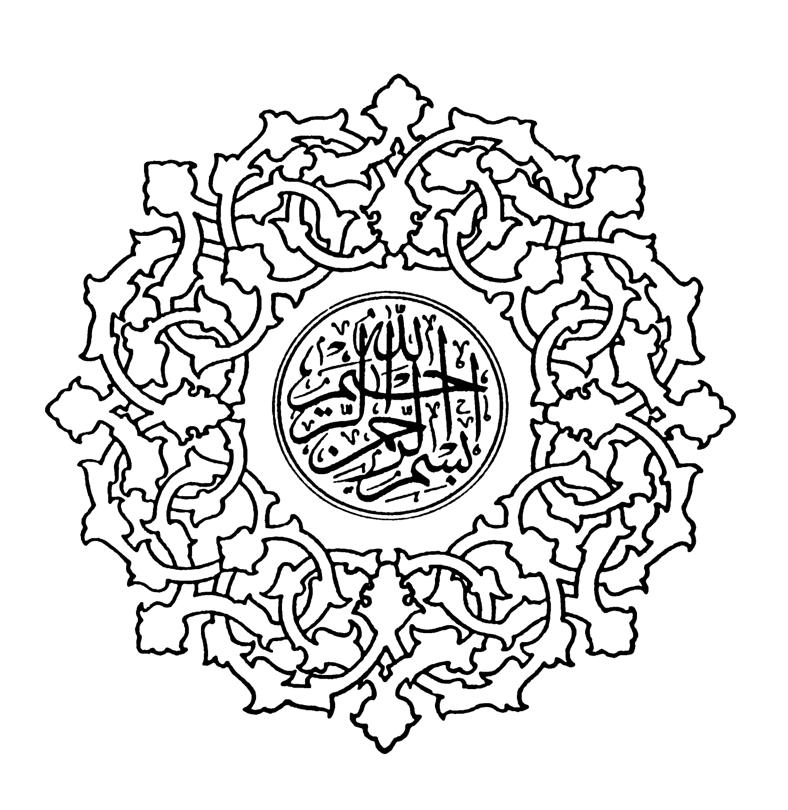


أعلام الهداية
الإمام محمد بن علي عليه السلام
«الباقر»
المجمع العالمي لأهل البيت
7


بسم الله الرحمن الرحيم

أعلام الهداية

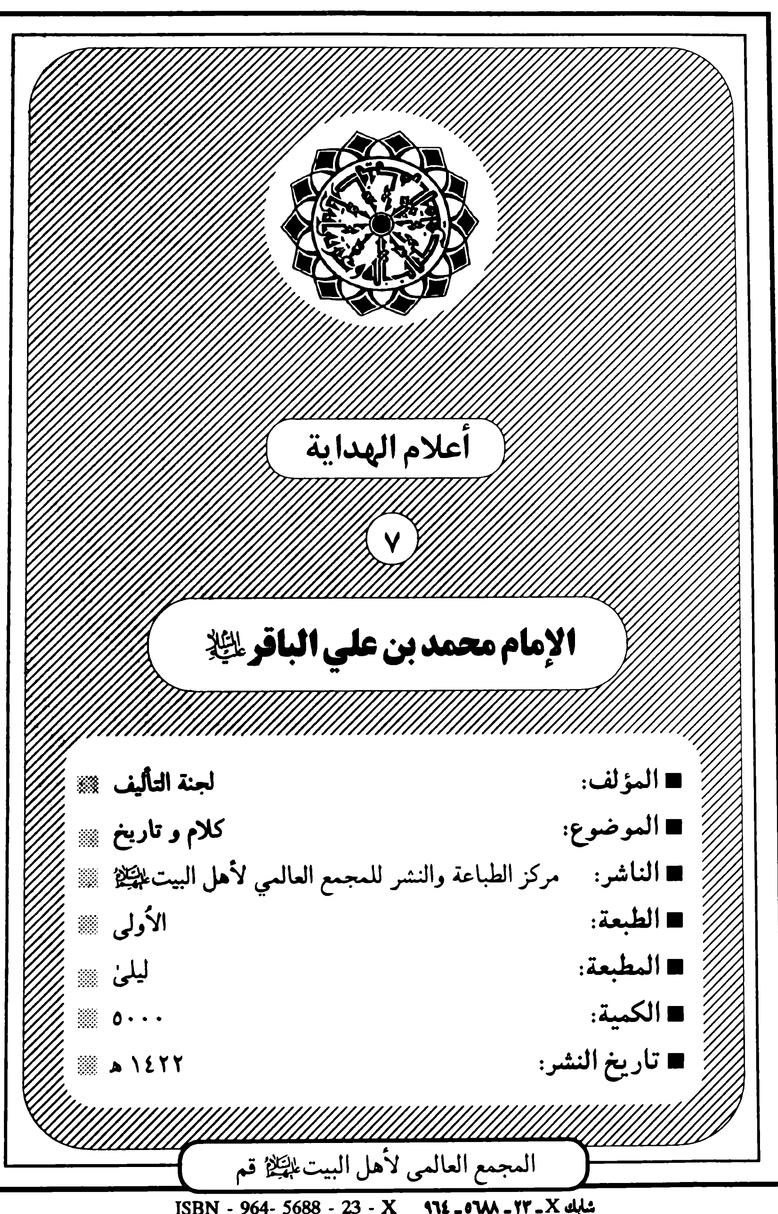
الإمام محمد بن علي عليه‌السلام

« الباقر »



المجمع العالمي لأهل البيت عليهم‌السلام

« قم المقدسة »



أعلام الهداية

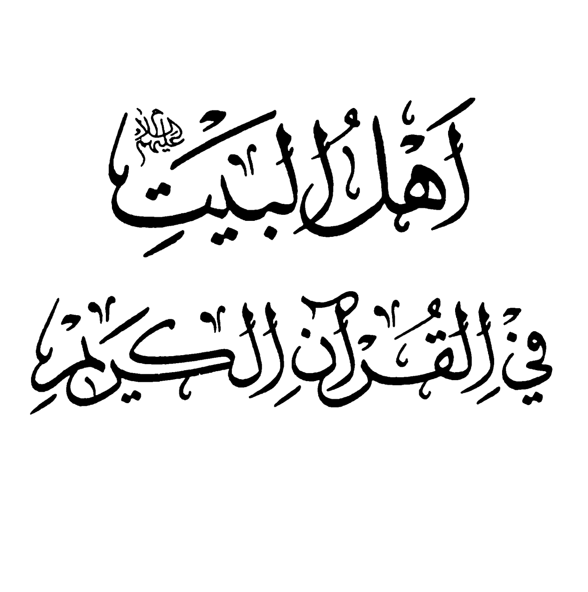
٧

الإمام محمد بن علي الباقر عليه‌السلام

■ المؤلف: لجنة التأليف
■ الموضوع: كلام و تاريخ
■ الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم‌السلام
■ الطبعة: الأُولى
■ المطبعة: ليلىٰ
■ الكمية: ٥٠٠٠
■ تاريخ النشر: ١٤٢٢ هـ

المجمع العالمى لأهل البيت عليهم‌السلام قم

ISBN - 964- 5688 - 23 - X شابك X ـ ٢٣ ـ ٥٦٨٨ ـ ٩٦٤



إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

سُورَةُ الأَحْزَابِ / آية : ٣٣



إني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي أهل بيتي
ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا

« الصحاح والمسانيد »

فهرس اجمالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدىٰ، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفىٰ محمد (صلى الله عليه وآله) وعلىٰ آله الميامين النجباء .

لقد خلق الله الإنسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل ، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه .

وقد جعل الله العقل المميِّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته ؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها .

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها ،كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهةٍ أُخرىٰ .

قال تعالى :

﴿ قُلْ إنّ هُدى الله هو الهُدىٰ ﴾ [الانعام (٦) : ٧١].

﴿ والله يهدي من يشاء إلىٰ صراطٍ مستقيم ﴾ [البقرة (٢) : ٢١٣].

﴿ والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل ﴾ [الاحزاب (٣٣) : ٤].

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [آل عمران (٣) : ١٠١].

﴿ قل الله يهدي للحقّ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتَّبع أ مّن لا يهدّي إلّا أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون ﴾ [يونس (١٠) : ٣٥].

﴿ ويرى الذين أُوتوا العلم الذي أُنزل إليك من ربّك هو الحقّ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [سبأ (٣٤) : ٦].

﴿ ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدىً من الله ﴾ [القصص (٢٨) : ٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم.

ولقد أودع الله في فطرة الإنسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالىٰ : ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليعبدونِ ﴾ [الذاريات (٥١) : ٥٦]. وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة والعبادة طريّقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال .

وبعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان ـ بالإضافة إلى عقله

وسائر أدوات المعرفة ـ الى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة.

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدىٰ العصور والقرون، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجةٍ هاديةٍ وعلمٍ مرشدٍ ونورٍ مُضيء، كما أفصحت نصوص الوحي ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجّة، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، ولو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن ـ بشكلٍ لا يقبل الريب ـ قائلاً: ﴿ **إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد** ﴾ [الرعد (١٣): ٧].

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في:

١ ـ تلقّي الوحي بشكلٍ كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً: ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ [الانعام(٦): ١٢٤] و﴿ **الله يجتبي من رسله من يشاء** ﴾ [آل‌عمران(٣): ١٧٩].

٢ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية ولمن اُرسلوا إليه، ويتوقّف الإبلاغ

على الكفاءة التامّة التي تتمثّل في «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى : **﴿كان الناسُ أُمّةً واحدةً فبعث الله النبيِّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتابَ بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾** [البقرة (٢) : ٢١٣].

٣ ـ تكوين أُمةٍ مؤمنةٍ بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة ، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: **﴿يزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة﴾** [الجمعة (٦٢) : ٢] والتزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عناصر الكمال،كما قال تعالى : **﴿ لقدكان لكم في رسول الله أُسوة حسنة ﴾** [الاحزاب (٣٣) : ٢١].

٤ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقرّرة لها ، وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية، والتي تسمّىٰ بالعصمة.

٥ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيانٍ سياسيٍّ يتولّىٰ إدارة شؤون الأُمة علىٰ أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وصموداً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخّصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولةٍ عالميةٍ دينية، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كلّ سلوكٍ منحرفٍ أو عملٍ خاطئٍ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبياً على

على مسيرة القيادة وانقياد الأُمة لها بحيث يتنافىٰ مع أهداف الرسالة وأغراضها .

وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا في سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّأوا طرفة عين.

وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله(ﷺ) وحمّله الأمانة الكبرىٰ ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم(ﷺ) في هذا الطريق الوعر خطواتٍ مدهشة، وحقّق في أقصر فترةٍ زمنيةٍ أكبر نتاجٍ ممكنٍ في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية ، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي :

١ ـ تقديم رسالةٍ كاملةٍ للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء .

٢ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف .

٣ ـ تكوين أُمةٍ مسلمةٍ تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة .

٤ ـ تأسيس دولةٍ إسلاميةٍ وكيانٍ سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء .

٥ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثّلة في قيادته (ﷺ).

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكلٍ كاملٍ كان من الضروري :

أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربّصون بها الدوائر .

ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوءٍ علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول(صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها في كل حركاته وسكناته .

ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّىٰ هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه وآله) بقوله: «**إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**» .

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الاُمّة من بعده.

إنّ سيرة الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ودراسة حياتهم بشكلٍ مستوعبٍ تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الاُمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ،

فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الأُمة وتحريك طاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرساليّ للشريعة ولحركة الرسول(صلى الله عليه وآله) وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والأُمة جمعاء.

وتبلورت حياة الأئمّة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأُمة عليهم والتفاعل معهم كأعلامٍ للهداية ومصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلّاء على الله وعلى مرضاته، والمستقرّين في أمر الله، والتامّين في محبّته، والذائبين في الشوق اليه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود.

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر علىٰ طاعة الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء حتّىٰ ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالىٰ، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بعد كفاحٍ عظيمٍ وجهادٍ كبير.

ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكلٍ كامل، ومن هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبساتٍ من حياتهم، ولقطاتٍ من سيرتهم وسلوكهم ومواقفهم التي دوّنها المؤرّخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدء برسول الإسلام وخاتم الأنبياء **محمد بن عبدالله** (صلى الله عليه وآله) وتنتهي بخاتم الأوصياء، **محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر** عجّل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله.

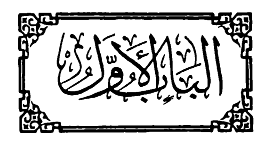
ويختصّ هذا الكتاب بدراسة حياة **الإمام محمد بن علي الباقر** (عليه السلام)، خامس أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وهو **المعصوم السابع من أعلام الهداية** الذي جسّد الكمالات النبوية في العلم والهداية والعمل والتربية وتوسّعت بجهوده العلمية الجبارة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) واتّضحت معالمها وأينعت ثمارها ولا زلنا نتفيّأ ظلالها حتى عصرنا هذا.

ولا بدَّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهداً وافراً وشاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك وإخراجه إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

ولا يسعنا إلّا أن نبتهل الى الله تعالىٰ بالدعاء والشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا ونعم النصير.

للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

قم المقدسة



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني :

انطباعات عن شخصيّة الإمام محمدالباقر (عليه السلام)

الفصل الثالث :

مظاهر من شخصيّة الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

الفَصِلُ ٱلأَوَّلُ

الإمام محمد الباقر (عليه السلام) في سطور

* الإمام محمد الباقر (عليه السلام) هو خامس الأئمة الاطهار الذين نصّ عليهم رسول الله(صلى الله عليه وآله) ليخلفوه في قيادة الأمة الاسلامية ويسيروا بها الى شاطئ الأمن والسلام الذي قدّر الله لها في ظلال قيادة المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

ولقد انحدر الإمام الباقر (عليه السلام) من سلالة طاهرة مطهّرة ارتقت سلّم المجد والكمال وكان أفرادها قمماً شامخة في دنيا الفضائل بعد أن حازت على جميع مقومات الشخصية الانسانية المتكاملة في مجال الفكر والعقيدة والعقل والعاطفة والارادة والسلوك، حيث أخلصوا لله تعالى وذابوا في محبته وانصهروا في قيم الرسالة الاسلامية وكانوا ربانيين بحق، وبذلك أصبحوا عِدلاً للقرآن الكريم بنصّ الرسول الأمين، والقدوة الشامخة بعد الرسول(صلى الله عليه وآله) والأُمناء على تطبيق الرسالة الاسلامية والقادة المعصومون المؤهّلون لتوجيه الأُمة وتربيتها وإدارة شؤونها وتلبية متطلّبات تكاملها وتحقيق سعادتها دنياً وآخرةً.

* ولد الإمام الباقر (عليه السلام) من أبوين علويين طاهرين زكيين فاجتمعت فيه خصال جدّيه السبطين الحسن والحسين (عليهما السلام)، وعاش في ظلّ جدّه

الحسين (عليه السلام) بضع سنوات وترعرع في ظلّ أبيه علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) حتى شبّ ونما وبلغ ذروة الكمال وهو ملازم له حتى استشهاده في النصف الأول من العقد العاشر بعد الهجرة النبوية المباركة.

لقد كان أبوه علي بن الحسين(عليه السلام) القدوة الشامخة للباقر بعد جدّه الحسين (عليه السلام) وقد عرف بـ«زين العابدين» و«سيد الساجدين» و«قدوة الزاهدين» و«سراج الدنيا» و«جمال الدين»، فكان أهلاً للامامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألقه وكمال عقله،كما شهد له بذلك كل من عاصره.

* ولقد نهل الإمام محمد بن علي الباقر (عليهما السلام) العلوم والمعارف من هذا الوالد العظيم حتى فاق وأبدع في كل العلوم فكان كما شهد له بذلك جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) حيث لقّبه بالباقر قائلاً: إنّه يبقر العلم بقراً، عندما بشّر المسلمين بولادته وبدوره الفاعل في إحياء علوم الشريعة وفي عصر كانت قد عصفت العواصف بالأُمة الاسلامية إثر الفتوح المتتالية والتمازج الحضاري والتبادل الثقافي الذي طال الأُمة الاسلامية وهي في عنفوان حركتها الثقافية والعلمية التي فجّرها الإسلام في وجودها، وكانت قد حُرمت من الارتواء من معين الرسالة الفيّاض الذي تجسّد في أهل البيت(عليهم السلام).

* لقد عاش الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) طيلة حياته في المدينة يفيض من علمه على الأمة المسلمة، ويرعىٰ شؤون الجماعة الصالحة التي بذر بذرتها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وربّاها الإمام علي ثمّ الإمامان الحسن والحسين(عليهما السلام) كما غذّاها من بعدهم أبوه علي بن الحسين (عليهما السلام) مقدّماً لها كل مقوّمات تكاملها وأسباب رشدها وسموّها.

* لقد عانى الإمام الباقر من ظلم الأُمويين منذ أن ولد وحتى استشهد، ما عدا فترة قصيرة جدّاً هي مدّة خلافة عمر بن عبد العزيز التي

ناهزت السنتين والنصف.

فعاصر أشدّ أدوار الظلم الأموي، كما أشرف على أُفول هذا التيار الجاهلي وتجرّع من غصص الآلام ما ينفرد به مثله وعياً وعظمة وكمالاً.

* ولكنه استطاع أن يربّي أعداداً كثيرة من الفقهاء والعلماء والمفسّرين حيث كان المسلمون يقصدونه من شتّىٰ بقاع العالم الاسلامي وقد دانوا له بالفضل بشكل لا نظير له، ولم يعش منعزلاً عن أحداث الساحة الإسلامية وإنّما ساهم بشكل ايجابي في توعية الجماهير وتحريك ضمائرها وسعى لرفع شأنها وإحياء كرامتها بالبذل المادي والعطاء المعنوي كآبائه الكرام وأجداده العظام ولم يقصر عنهم عبادة وتقوى وصبراً وإخلاصاً فكان قدوة شامخة للجيل الذي عاصره ولكل الأجيال التي تلته.

فسلام عليه يوم ولد ويوم جاهد بالعلم والعمل ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً.

الفصل الثاني

انطباعات عن شخصية الإمام محمّد الباقر (عليه السلام)

١ ـ قال له الأبرش الكلبي : أنت ابن رسول الله حقاً. ثم صار الى هشام فقال: دَعُونا منكم يا بني أمية؛ إن هـذا أعـلم أهـل الأرض بـما فـي السـماء والأرض، فهذا ولد رسول الله[١].

٢ ـ قال أبو اسحاق: لم أر مثله قط[٢].

٣ ـ قال عبد الله بن عطاء المكي: ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصـغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه كأنه صبي بين يدي معلّمه[٣].

٤ ـ قال الحكم بن عتيبة في قوله تعالى: ﴿**إن في ذلك لآيات للمتوسمين**﴾: كان والله محمد بن علي منهم[٤].

٥ ـ كتب عبد الملك بن مروان الى عامل المدينة: ابعث إليّ محمد بـن علي مقيّداً.

فكتب إليه العامل: ليس كتابي هذا خلافاً عليك يا أمير المؤمنين، ولا ردّاً لأمرك، ولكن رأيت أن أُراجعك في الكتاب نـصيحة لك، وشـفقة عـليك. إنّ

---

(١) المناقب: ٢ / ٢٨٦.

(٢) ائمتنا: ١ / ٣٩٦، عن أعيان الشيعة : ٤ ق٢ / ٢٠.

(٣) بحار الانوار: ١١ / ٨٢.

(٤) كشف الغمة: ٢١٢.

الرجل الذي أردته ليس اليوم على وجه الأرض أعفّ منه ولا أزهد ولا أورع منه، وإنّه من أعلم الناس، وأرقّ الناس، وأشدّ الناس اجتهاداً وعبادة، وكرهت لأمير المؤمنين التعرض له فـ **﴿إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾**. فَسُرّ عبد الملك بما أنهى إليه الوالي وعلم أنّه قد نصحه[1].

٦ ـ وقال له هشام بن عبد الملك : والله ما جرّبت عليك كذبا [2]. وقال له أيضاً: لا تزال العرب والعجم يسودها قريش ما دام فيهم مثلك[3].

٧ ـ قال له قتادة بن دعامة البصري: لقد جلست بين يدي الفقهاء، وقدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدّام أحد منهم ما اضطرب قدّامك[4].

٨ ـ قال له عبد الله بن معمر الليثي: ما أحسب صدوركم إلّا منابت أشجار العلم، فصار لكم ثمره وللناس ورقه[5].

٩ ـ قال شمس الدين محمد بن طولون: أبو جعفر محمد بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) ، الملقّب بالباقر، وهو والد جعفر الصادق رضي الله عنهما، كان الباقر عالماً، سيداً كبيراً، وإنما قيل له الباقر لأنه تبقّر في العلم، أي توسّع، والتبقير التوسيع، وفيه يقول الشاعر :

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبّى على الأجبُل[6]

١٠ ـ قال محمد بن طلحة الشافعي: هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه، ومنمّق درّه وواضعه. صفا قلبه، وزكا علمه، وطهرت نفسه، وشرفت أخلاقه، وعمرت بطاعة الله أوقاته، ورسخت في مقام التقوى قدمه، وظهرت

(١) ائمتنا: ١ / ٣٩٦، عن اعيان الشيعة: ٤ ق٢ / ٨٥.

(٢) المناقب: ٢ / ٢٧٨.

(٣) بحار الانوار: ١١ / ٨٨

(٤) في رحاب أئمة أهل البيت: ٤ / ١٠.

(٥) كشف الغمة: ٢٢١.

(٦) الائمة الاثنا عشر: ٨١.

عليه سمات الازدلاف، وطهارة الاجتباء[١].

١١ ـ قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: كان محمد بن علي بن الحسين سيد فقهاء الحجاز، ومنه ومن ابنه جعفر تعلّم الناس الفقه[٢].

١٢ ـ قال أبو نعيم الإصبهاني: الحاضر الذاكر، الخاشع الصابر، أبو جعفر، محمد بن علي الباقر، كان من سلالة النبوة، ومن جمع حسب الدين والابوة، تكلم في العوارض والخطرات، وسفح الدموع والعبرات، ونهى عن المراء والخُصومات[٣].

١٣ ـ قال أحمد بن يوسف الدمشقي القرماني: منبع الفضائل والمفاخر، الإمام محمد بن علي الباقر (رضي الله عنه) وإنما سمي بالباقر لانه بقر العلم، وقد قيل: لقب بالباقر لما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): **يا جابر يوشك أن تلحق بولد من ولد الحسين، اسمه كاسمي يبقر العلم بقراً،** أي يفجره تفجيراً، **فإذا رأيته فاقرأه مني السلام.** وكان خليفة أبيه من بين إخوته، ووصيه والقائم بالإمامة من بعده[٤].

١٤ ـ قال علي بن محمد بن أحمد المالكي ـ المعروف بابن الصباغ ـ: وكان محمد بن علي بن الحسين (عليهما السلام) مع ما هو عليه من العلم والفضل والسؤدد والرياسة والامامة، ظاهر الجود في الخاصة والعامة، ومشهور الكرم في الكافة، معروفاً بالفضل والاحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله[٥].

١٥ ـ قال ابن خلّكان: أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين الملقب بالباقر، أحد الأئمة

(١) مطالب السؤول: ٨٠، كشف الغمة: ٢/٣٢٩ والصواعق المحرقة: ٣٠٤ مع اختلاف يسير.
(٢) المدخل الى موسوعة العتبات المقدسة ٢٠١.
(٣) حلية الأولياء: ٣/ ١٨٠.
(٤) اخبار الدول: ١١١.
(٥) الفصول المهمة: ٢٠١.

الاثني عشر... وكان الباقر عالما سيداً كبيراً[١].

١٦ ـ قال أحمد بن حجر: وارثه ـ أي وارث الإمام زين العابدين ـ منهم عبادة وعلماً، وزهادة ابو جعفر محمد الباقر سمي بذلك من بقر الأرض، أي شقها وأثار مخبّآتها ومكامنها، فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام والحكم واللطائف، ما لا يخفى إلّا على منطمس البصيرة، أو فاسد الطينة والسريرة؛ ومن ثمّ قيل فيه: هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه، صفا قلبه، وزكا علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله. وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين. وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة وكفاه شرفاً أنّ ابن المديني روى عن جابر أنّه قال له ـ وهو صغير ـ: رسول الله (صلى الله عليه وآله) يسلّم عليك، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت عند رسول الله(صلى الله عليه وآله) جالساً، والحسين في حجره وهو يداعبه، فقال: **يا جابر يولد له مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ليقم سيد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فاذا أدركته يا جابر فاقرأه مني السلام**[٢].

١٧ ـ قال محمد أمين البغدادي السويدي: لم يظهر عن أحد من أولاد الحسين من علم الدين والسنن والسير وفنون الأدب، ما ظهر عن أبي جعفر(عليه السلام)[٣].

---

(١) وفيات الاعيان: ٣ / ٣١٤.

(٢) الصواعق المحرقة: ٣٠٥.

(٣) سبائك الذهب: ٧٢.

الفصل الثالث

مظاهر من شخصية الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

لقد توفرت في شخصية الإمام أبي جعفر (عليه السلام) جميع الصفات الكريمة التي أهّلته لزعامة هذه الأمة.

حيث تميز هذا الإمام العظيم بمواهبه الروحية والعقلية العظيمة وفضائله النفسية والأخلاقية السامية ممّا جعل صورته صورة متميّزة من بين العظماء والمصلحين، كما تميّز بحسبه الوضّاح، بكل ما يمكن أن يسمو به هذا الانسان.

ولقد احتاط النبي (صلى الله عليه وآله) كأشد ما يكون الاحتياط في شأن أمته، ولم يرض أن تكون في ذيل قافلة الأمم والشعوب، فقد أراد لها العزّة والكرامة، وأراد أن تكون خير أمة أخرجت للناس، فأولى مسألة الخلافة والامامة المزيد من اهتمامه، ونادى بها اكثر من أية قضية أُخرى من القضايا الدينية لأ نّها القاعدة الصلبة لتطور أية أُمة في مجالاتها الفكرية والاجتماعية والسياسية، وقد خصّ بها الأئمة الطاهرين من أهل بيته الذين لم يخضعوا في أي حال من الأحوال لأية نزعة مادية، وإنما آثروا طاعة الله ومصلحة الأُمة على كل شيء.

وكان الإمام محمّد بن علي الباقر (عليه السلام) جامعاً للكمالات الانسانية في

سيرته وسلوكه، فكان أهلاً للإمامة الكبرىٰ بعد أبيه زين العابدين.

وما دوّنته كتب التاريخ من فضائله الجمّة هي غيض من فيض، ونشير إلى شيء يسير منها تباعاً:

حلمه :

كان الحلم من أبرز صفات الإمام أبي جعفر (عليه السلام) فقد أجمع المؤرخون على أنه لم يسيء الى من ظلمه واعتدى عليه، وانما كان يقابله بالبر والمعروف، ويعامله بالصفح والاحسان، وقد رووا صوراً كثيرة عن عظيم حلمه، كان منها:

١ ـ إن رجلاً كتابياً هاجم الإمام(عليه السلام) واعتدى عليه، وخاطبه بمرّ القول:

« أنت بقر ! »

فلطف به الإمام، وقابله ببسمات طافحة بالمروءة قائلاً:

« لا أنا باقر»

وراح الرجل الكتابي يهاجم الإمام قائلاً :

« أنت ابن الطبّاخة ! »

فتبسّم الإمام، ولم يثره هذا الاعتداء بل قال له:

« ذاك حرفتها».

ولم ينته الكتابي عن غيّه، وإنما راح يهاجم الإمام قائلاً:

« أنت ابن السوداء الزنجية البذية! »

ولم يغضب الإمام(عليه السلام)، وإنما قابله باللطف قائلاً :

«إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك».

وبهت الكتابي، وانبهر من أخلاق الإمام(عليه السلام) التي ضارعت أخلاق

الأنبياء. فأعلن إسلامه[١] واختار طريق الحق.

٢ ـ ومن تلك الصور الرائعة المدهشة من حلمه: أن شامياً كان يختلف إلى مجلسه، ويستمع إلى محاضراته، وقد أعجب بها، فأقبل يشتدّ نحو الإمام وقال له:

يا محمّد إنما أغشىٰ مجلسك لا حبّاً مني إليك، ولا أقول: إن أحداً أبغض إليّ منكم أهل البيت، واعلم أن طاعة الله، وطاعة أمير المؤمنين في بغضكم، ولكني أراك رجلاً فصيحاً لك أدب وحسن لفظ، فإنّما اختلف إليك لحسن أدبك !!.

ونظر إليه الإمام(عليه السلام) بعطف وحنان، وأخذ يغدق عليه ببرّه ومعروفه حتى تنبّه الرجل وتبين له الحق، وانتقل من البغض الى الولاء للإمام(عليه السلام) وظلّ ملازماً له حتى حضرته الوفاة فأوصى أن يصلي عليه[٢].

وحاكى الإمام الباقر(عليه السلام) بهذه الأخلاق الرفيعة جدّه الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي استطاع بسموّ أخلاقه أن يؤلّف بين القلوب، ويوحّد بين المشاعر والعواطف ويجمع الناس على كلمة التوحيد بعد ما كانوا فرقاً وأحزاباً.

صبره:

لقد كان الصبر من الصفات الذاتية للأئمة الطاهرين من أهل البيت(عليهم السلام) فقد صبروا على مكاره الدهر، ونوائب الأيام، وصبروا على تجرّع الخطوب التي تعجز عن حملها الجبال، فقد استقبل الإمام الحسين (عليه السلام) على صعيد كربلاء أمواجاً من المحن الشاقة التي تذهل كل كائن حي، مترنّماً

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣٣٧/٣، بحارالأنوار : ٢٨٩/٤٦، الأنوار البهيّة: ١٤٢، مستدرك البحار: ٣٨٣/٢.

(٢) بحار الانوار: ١١ / ٦٦.

بقوله(عليه السلام): «**صبراً على قضائك يا رب، لا معبود سواك**».

وصبر الإمام الباقر (عليه السلام) كآبائه على تحمل المحن والخطوب. وإليك بعض تلك المحن :

١ ـ انتقاص السلطة لآبائه الطاهرين، وإعلان سبّهم على المنابر والمآذن، وهو (عليه السلام) يسمع ذلك، ولا يتمكن أن ينبس ببنت شفة فصبر وكظم غيظه، وأوكل الأمر الى الله الحاكم بين عباده بالحق.

٢ ـ ومن بين المحن الشاقة التي صبر عليها التنكيل الهائل بشيعة أهل البيت (عليهم السلام) وملاحقتهم تحت كل حجر ومدر وقتلهم بأيدي الجلادين من عملاء السلطة الاموية، وهو لا يتمكن أن يحرك ساكناً، وقد فرضت عليه السلطة الرقابة الشديدة، ورفضت كل طلب له في شأن شيعته.

٣ـ وروى المؤرخون عن عظيم صبره انه كان جالساً مع أصحابه إذ سمع صيحة عالية في داره، فأسرع اليه بعض مواليه فأسرّ إليه بشيء فقال (عليه السلام):

«**الحمد لله على ما أعطى، وله ما أخذ، إنْهَهُم عن البكاء، وخذوا في جهازه، واطلبوا السكينة، وقولوا لها: لا ضير عليك أنت حرة لوجه الله لما تداخلك من الروع...**».

ورجع إلى حديثه، فتهيّب القوم سؤاله، ثم أقبل غلامه فقال له: قد جهّزناه، فأمر أصحابه بالقيام معه للصلاة على ولده ودفنه، وأخبر أصحابه بشأنه فقال لهم: **إنه قد سقط من جارية كانت تحمله فمات**[1].

٤ ـ وروي أيضاً: أنه كان للإمام(عليه السلام) ولد وكان أثيراً عنده فمرض فخشي على الإمام لشدة حبه له، وتوفي الولد فسكن صبر الإمام، فقيل له: خشينا عليك يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأجاب وهو مليٌّ بالاطمئنان والرضا بقضاء الله قائلاً:

(١) عيون الاخبار وفنون الآثار: ٢١٨.

«إنّا ندعو الله فيما يحب فإذا وقع ما نكره لم نخالف الله فيما يحب»[١].

لقد تسلّح الإمام(عليه السلام) بالصبر أمام نوائب الدنيا وقابل كوارث الدهر بإرادة صلبة، وإيمان راسخ، وتحمّل الخطوب في غير ضجر ولا سأم محتسباً في ذلك الأجر عند الله تعالىٰ.

كرمه وسخاؤه:

الكرم من أوضح الفضائل والمكارم لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) فقد بسطوا أيديهم بسخاء نادر الى الفقراء والسائلين، وفيهم يقول الشاعر:

لو كان يوجد عرف مجد قبلهم ... لوجدته منهم على أميال
إن جئتهم أبصرت بين بيوتهم ... كرماً يقيك مواقف التسآل
نور النبوة والمكارم فيهم ... متوقد في الشيب والاطفال[٢].

لقد فطر الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) على حب الخير وصلة الناس وإدخال السرور عليهم.

أ ـ اكرامه الفقراء:

ومن معالي أخلاقه أنه كان يبجّل الفقراء، ويرفع من شأنهم لئلا يرى عليهم ذلّ الحاجة، ويقول المؤرخون: انه عهد لأهله إذا قصدهم سائل أن لا يقولوا له: يا سائل خذ هذا، وإنما يقولون له: **يا عبد الله بورك فيك**[٣] وقال: **سمّوهم بأحسن أسمائهم**[٤].

(١) تأريخ دمشق: ٥١ / ٥٢، عيون الاخبار لابن قتيبة : ٣ / ٥٧.
(٢) الفصول المهمة: ٢٢٧.
(٣) عيون الاخبار: ٣ / ٢٠٨.
(٤) البيان والتبيين: ١٥٨.

ب ـ عتقه العبيد: وكان الإمام الباقر(عليه السلام) شغوفاً بعتق العبيد، وإنقاذهم من رقّ العبودية، فقد أعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً[١] وكان عنده ستون مملوكاً فأعتق ثلثهم عند موته[٢].

ج ـ صلته لأصحابه: وكان أحب شيء إلى الإمام(عليه السلام) في هذه الدنيا صلته لإخوانه فكان لا يمل من صلتهم وصلة قاصديه وراجيه ومؤمّليه، وقد عهد لابنه الإمام الصادق(عليه السلام) أن ينفق من بعده على أصحابه وتلاميذه ليتفرّغوا الى نشر العلم وإذاعته بين الناس[٣].

د ـ صدقاته على فقراء المدينة: وكان الإمام (عليه السلام) كثير البر والمعروف على فقراء يثرب، وقد أُحصيت صدقاته عليهم فبلغت ثمانية الآف دينار[٤] . وكان يتصدق عليهم في كل يوم جمعة بدينار ويقول: «**الصدقة يوم الجمعة تضاعف الفضل على غيره من الأيام**»[٥].

وذكر المؤرخون: انه كان أقلّ أهل بيته مالاً وأعظمهم مؤونة[٦]، ومع ذلك كان يجود بما عنده لإنعاش الفقراء والمحرومين. وقد نقل الرواة بوادر كثيرة من هذا الجود وإليك نماذج منها:

١ ـ روى سليمان بن قرم فقال: كان أبو جعفر يجيزنا الخمسمائة درهم

---

(١) عن شرح شافية أبي فراس: ٢ / ١٧٦.

(٢) المصدر السابق .

(٣) حياة الإمام محمد الباقر(عليه السلام) : ١ / ١٢٤ .

(٤) شرح شافية أبي فراس: ٢ / ١٧٦.

(٥) في رحاب ائمة اهل البيت (عليهم السلام): ٤ / ١٢.

(٦) المصدر السابق.

إلى الستمائة درهم الى الألف، وكان لا يملّ من صلة الإخوان وقاصديه وراجيه[١].

٢ ـ قال الحسن بن كثير: شكوت الى أبي جعفر محمد بن علي الحاجة وجفاء الاخوان، فتأثر (عليه السلام)وقال: **بئس الأخ يرعاك غنياً، ويقطعك فقيراً**، ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم، وقال: **استنفق هذه فإذا نفذت فأعلمني**[٢].

٣ ـ وكان (عليه السلام) يحبو قوماً يغشون مجلسه من المائة الى الألف، وكان يحبّ مجالستهم، منهم عمرو بن دينار، وعبد الله بن عبيد. وكان يحمل اليهم الصلة والكسوة، ويقول: **هيّأناها لكم من أوّل السنة**[٣].

٤ ـ روت مولاته سلمى فقالت: كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب، ويلبسهم الثياب الحسنة، ويهب لهم الدراهم، وقد عذلته سلمى عن ذلك فقال لها: **يا سلمى ما يؤمل في الدنيا بعد المعارف والاخوان..**[٤] وكان يقول: **«ما حسّنت الدنيا إلّا صلة الاخوان والمعارف»**[٥].

عبادته:

كان الإمام ابو جعفر الباقر (عليه السلام) من أئمة المتقين في الإسلام، فقد عرف الله معرفة استوعبت دخائل نفسه، فأقبل على ربه بقلب منيب، وأخلص في طاعته كأعظم ما يكون الاخلاص. أما مظاهر عبادته فيمكن الإشارة الى بعضها كما يلي:

---

(١) الارشاد : ٢٩٩.

(٢) صفة الصفوة: ٢ / ٦٣.

(٣) عيون الاخبار وفنون الآثار : ٢١٧ ، والارشاد: ٢٢٩ .

(٤) صفة الصفوة: ٢ / ٦٣.

(٥) المصدر السابق .

أ ـ **خشوعه في صلاته :** فقد عرف عنه أنه كان إذا أقبل على الصلاة اصفرّ لونه[1] خوفاً من الله وخشية منه، ولا غرو في ذلك فقد عرف عظمة الله تعالى، الذي فطر الكون ووهب الحياة، فعبده عبادة المتقين المنيبين.

ب ـ **كثرة صلاته :** وكان كثير الصلاة حتى كان يصلي في اليوم والليلة مائة وخمسين ركعة[2] ولم تشغله شؤونه العلمية ومرجعيته العامة للأُمة عن كثرة الصلاة، التي كانت أعزّ شيء عنده؛ لأنها الصلة والرباط الوثيق بينه وبين الله تعالىٰ.

ج ـ **دعاؤه في سجوده :** إنّ أقرب ما يكون العبد فيه الى ربه أن يكون ساجداً، من هنا كان الإمام (عليه السلام) في سجوده يتجه بقلبه وكلّ عواطفه نحو الله ويناجيه بانقطاع واخلاص، وقد أثرت عنه بعض الادعية في سجوده:

١ ـ روىٰ اسحاق بن عمار عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنّه قال: كنت اُمهّد لأبي فرشه فانتظره حتى يأتي، فإذا آوى الى فراشه ونام قمت إلى فراشي. وقد أبطأ عليّ ذات ليلة فأتيت المسجد في طلبه، وذلك بعدما هدأ الناس، فإذا هو في المسجد ساجد، وليس في المسجد غيره فسمعت حنينه وهو يقول : «**سبحانك اللهم، أنت ربي حقاً حقاً، سجدت لك يا رب تعبّداً ورقّاً، اللهم إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي... اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك، وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم**»[3].

٢ ـ روىٰ أبو عبيدة الحذّاء فقال: سمعت أبا جعفر يقول: ـ وهو ساجد ـ : «**اسألك بحق حبيبك محمد (صلى الله عليه وآله) إلّا بدّلت سيّآتي حسنات، وحاسبتني حساباً**

(١) راجع تاريخ ابن عساكر: ٥١ / ٤٤.

(٢) تذكرة الحفاظ: ١ / ١٢٥، تأريخ ابن عساكر: ٥١ / ٤٤، حلية الأولياء: ٣ / ١٨٢.

(٣) فروع الكافي: ٣ / ٣٢٣.

يسيراً».

ثم قال في السجدة الثانية: «**اسألك بحق حبيبك محمد (صلى الله عليه وآله) إلّا ما كفيتني مؤونة الدنيا، وكلّ هول دون الجنة**».

ثم قال في الثالثة: «**أسألك بحق حبيبك محمد(صلى الله عليه وآله) لمّا غفرت لي الكثير من الذنوب والقليل، وقبلت منّي عملي اليسير**».

ثم قال في الرابعة: «**أسألك بحق حبيبك محمد (صلى الله عليه وآله) لما أدخلتني الجنة، وجعلتني من سكّانها، ولمّا نجيتني من سفعات النار[1] برحمتك، وصلى الله على محمد وآله**»[2].

وتكشف هذه الأدعية عن شدة تعلقه بالله وعظيم إنابته إليه.

حجه:

وكان الإمام أبو جعفر (عليه السلام) اذا حجّ البيت الحرام انقطع الى الله وأناب اليه وظهرت عليه آثار الخشوع والطاعة، وقد قال مولاه أفلح: حججت مع أبي جعفر محمد الباقر فلما دخل الى المسجد رفع صوته بالبكاء فقلت له: «بأبي أنت وأمي إن الناس ينتظرونك فلو خفضت صوتك قليلاً».

فلم يعتن الإمام وراح يقول له: «**ويحك يا أفلح إني أرفع صوتي بالبكاء لعلّ الله ينظر إليّ برحمة فأفوز بها غداً**».

ثم إنه طاف بالبيت، وجاء حتى ركع خلف المقام، فلما فرغ وإذا بموضع سجوده قد ابتلّ من دموع عينيه[3] . وحج (عليه السلام) مرة وقد احتفّ به الحجيج،

---

(١) سفعات النار: هي لفحات السعير التي تغير بشرة الانسان لشدة حرارتها.

(٢) فروع الكافي: ٣ / ٣٢٢.

(٣) صفة الصفوة: ٢ / ٦٣، نور الأبصار: ١٣٠.

وازدحموا عليه وهم يستفتونه عن مناسكهم ويسألونه عن أمور دينهم، والإمام يجيبهم. وبهر الناس من سعة علومه حتّى أخذ بعضهم يسأل بعضاً عنه فانبرى اليهم واحد من أصحابه فعرّفه قائلاً :

«ألا إنّ هذا باقر علم الرسل، وهذا مبيّن السبل، وهذا خير من رسخ في أصلاب أصحاب السفينة، هذا ابن فاطمة الغرّاء العذراء الزهراء، هذا بقية الله في أرضه، هذا ناموس الدهر، هذا ابن محمّد وخديجة وعلي وفاطمة، هذا منار الدين القائمة»[١].

مناجاته مع الله تعالىٰ:

كان الإمام (عليه السلام) يناجي الله تعالى في غَلَس الليل البهيم، وكان مما يقوله في مناجاته: **«أمرتني فلم أئتمر، وزجرتني فلم أزدجر، هذا عبدك بين يديك»**[٢].

ذكره لله تعالىٰ:

لقد كان دائم الذكر لله تعالى، وكان لسانه يلهج بذكر الله في أكثر أوقاته، فكان يمشي ويذكر الله، ويحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكره تعالى. وكان يجمع ولده ويأمرهم بذكر الله حتى تطلع الشمس، كما كان يأمرهم بقراءة القرآن، ومن كان لا يقرأ منهم كان يأمره بذكر الله تعالىٰ[٣].

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ٤ / ١٨٣.

(٢) حلية الأولياء: ٣ / ١٨٦، ترجمة محمّد بن علي الباقر(عليه السلام)، رقم ٢٣٥؛ صفة الصفوة: ٢ / ٦٣.

(٣) في رحاب أئمة أهل البيت (عليهم السلام): ٤ / ٦.

زهده في الدنيا :

وزهد الإمام أبو جعفر (عليه السلام) في جميع مباهج الحياة وأعرض عن زينتها فلم يتخذ الرياش في داره، وإنما كان يفرش في مجلسه حصيراً[1].

لقد نظر الى الحياة بعمق وتبصر في جميع شؤونها فزهد في ملاذّها، واتّجه نحو الله تعالى بقلب منيب.

فعن جابر بن يزيد الجعفي: قال لي محمد بن علي(عليه السلام) :«**يا جابر إني لمحزون، وإني لمشتغل القلب**».

فأنبرى اليه جابر قائلاً : «ما حزنك؟ وما شغل قلبك؟».

فأجابه (عليه السلام) قائلاً: «**يا جابر إنه من دخل قلبه صافي دين الله عزّ وجلّ شغله عمّا سواه. يا جابر ما الدنيا؟ وما عسى أن تكون؟ هل هي إلا مركب ركبته؟ أو ثوب لبسته؟ أو امرأة أصبتها؟!**»[2].

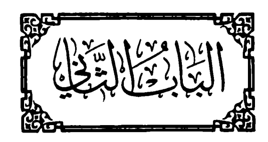
وأثرت عنه كلمات كثيرة في الحث على الزهد، والإقبال على الله تعالىٰ، والتحذير من غرور الدنيا وآثامها.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض مظاهر شخصيّته المشرقة.

---

(١) دعائم الإسلام: ٢ / ١٥٨.

(٢) البداية والنهاية: ٩ / ٣١٠، حياة الإمام محمد الباقر : ١١٥/١ ـ ١٣٤ بتصرّف.



الباب الثاني

فيه فصول :

الفصل الأوّل :

نشأة الإمام محمّد الباقر (عليه السلام)

الفصل الثاني :

مراحل حياة الإمام الباقر (عليه السلام)

الفصل الثالث :

الإمام الباقر في ظل جدّه وابيه (عليهما السلام)

الفصل الأول

نشأة الإمام محمّد بن علي الباقر (عليه السلام)

لقد ازدهرت الحياة الفكرية والعلمية في الإسلام بهذا الإمام العظيم الذي التقت فيه عناصر الشخصيّة من السبطين الحسن والحسين (عليهما السلام)، وامتزجت به تلك الاصول الكريمة والاصلاب الشامخة، والارحام المطهَّرة، التي تفرّع منها.

فالأب : هو سيد الساجدين وزين العابدين وألمع سادات المسلمين.

والأم: هي السيدة الزكية الطاهرة فاطمة بنت الإمام الحسن سيد شباب أهل الجنة، وتكنى أم عبد الله[1] وكانت من سيدات نساء بني هاشم، وكان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يسميها الصديقة[2] ويقول فيها الإمام أبو عبدالله الصادق(عليه السلام): «كانت صديقة لم تدرك في آل الحسن مثلها»[3] وحسبها سموّاً أنها بضعة من ريحانة رسول الله، وأنها نشأت في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ففي حجرها الطاهر تربى الإمام الباقر (عليه السلام) .

المولود المبارك : وأشرقت الدنيا بمولد الإمام الزكي محمد الباقر الذي بشّر به النبي (صلى الله عليه وآله) قبل ولادته، وكان أهل البيت (عليهم السلام) ينتظرونه بفارغ الصبر لأنه من أئمة المسلمين الذين نص عليهم النبي (صلى الله عليه وآله) وجعلهم قادة

---

(١) تهذيب اللغات والاسماء: ١ / ٨٧، وفيات الاعيان: ٣ / ٣٨٤.

(٢) عن الدر النظيم من مصورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين تسلسل (٢٨٧٩).

(٣) أصول الكافي: ١ / ٤٦٩.

لأُمته، وقرنهم بمحكم التنزيل وكانت ولادته في يثرب في اليوم الثالث من شهر صفر سنة (٥٦ هـ)[1] وقيل سنة (٥٧ هـ) في غرة رجب يوم الجمعة[2] وقد ولد قبل استشهاد جده الإمام الحسين (عليه السلام) بثلاث سنين[3] وقيل بأربع سنين كما أدلى (عليه السلام) بذلك[4] وقيل بسنتين وأشهر[5].

وقد أجريت له فور ولادته مراسيم الولادة كالاذان والاقامة في أُذنيه وحلق رأسه والتصدق بزنة شعره فضة على المساكين، والعَقّ عنه بكبش والتصدّق به على الفقراء.

وكانت ولادته في عهد معاوية والبلاد الاسلامية تعج بالظلم، وتموج بالكوارث والخطوب من ظلم معاوية وجور ولاته الذين نشروا الإرهاب وأشاعوا الظلم في البلاد.

تسميته : وسماه جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمحمد، ولقّبه بالباقر قبل أن يولد بعشرات السنين، وكان ذلك من أعلام نبوته، وقد استشف (صلى الله عليه وآله) من وراء الغيب ما يقوم به سبطه من نشر العلم واذاعته بين الناس فبشّر به أمته، كما حمل له تحياته على يد الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري.

كنيته : « أبو جعفر »[6] ولا كنية له غيرها .

ألقابه الشريفة : وقد دلّت على ملامح من شخصيته العظيمة وهي :

١ ـ الأمين.

---

(١) وفيات الاعيان : ٣ / ٣١٤، تذكرة الحفاظ: ١ / ١٢٤.

(٢) دلائل الامامة: ٩٤.

(٣) اخبار الدول : ١١١، وفيات الاعيان: ٣ / ٣١٤.

(٤) تأريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٢٠.

(٥) عن عيون المعجزات للحسين بن عبد الوهاب من مخطوطات مكتبة الإمام الحكيم تسلسل (٩٧٥).

(٦) دلائل الامامة: ٩٤.

٢ ـ الشبيه: لأنه كان يشبه جده رسول الله (صلى الله عليه وآله)[١].

٣ ـ الشاكر.

٤ ـ الهادي.

٥ ـ الصابر.

٦ ـ الشاهد[٢].

٧ ـ الباقر[٣]. وهذا من اكثر ألقابه ذيوعاً وانتشاراً، وقد لقب هو وولده الإمام الصادق بـ (الباقرين) كما لقبا بـ (الصادقين) من باب التغليب[٤].

ويكاد يجمع المؤرخون والمترجمون للإمام على أنه إنّما لقب بالباقر لانه بقر العلم أي شقه، وتوسع فيه فعرف أصله وعلم خفيه[٥].

وقيل : إنما لقّب به لكثرة سجوده فقد بقر جبهته أي فتحها ووسعها[٦].

تحيات النبيّ (صلى الله عليه وآله) الى الباقر (عليه السلام) : ويجمع المؤرخون على أن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) حمّل الصحابي العظيم جابر بن عبد الله الانصاري تحياته، الى سبطه الإمام الباقر، وكان جابر ينتظر ولادته بفارغ الصبر ليؤدي اليه رسالة جده، فلما ولد الإمام وصار صبياً يافعاً التقى به جابر فأدى اليه تحيات النبيّ (صلى الله عليه وآله) وقد روى المؤرخون ذلك بصور متعددة وهذا بعضها :

١ ـ روى ابن عساكر ان الإمام زين العابدين (عليه السلام) ومعه ولده الباقر دخلا على جابر بن عبد الله الأنصاري، فقال له جابر: من معك يا ابن رسول الله؟ قال:

---

(١) اعيان الشيعة: ق ١ / ٤ / ٤٦٤.

(٢) راجع جنات الخلود، وناسخ التواريخ. حياة الإمام الباقر(عليه السلام).

(٣) تذكرة الحفاظ : ١ / ١٢٤، نزهة الجليس: ٢ / ٣٦.

(٤) عن جامع المقال للشيخ الطريحي.

(٥) عيون الاخبار وفنون الآثار: ٢١٣، عمدة الطالب: ١٨٣.

(٦) عن مرآة الزمان في تواريخ الاعيان: ٥ / ٧٨ من مصورات مكتبة الإمام الحكيم.

معي ابني محمد، فأخذه جابر وضمّه اليه وبكى، ثم قال: اقترب اجلي، يا محمد! رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقرؤك السلام. فسئل: وما ذاك؟ فقال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: للحسين بن علي يولد لابني هذا ابن يقال له علي بن الحسين، وهو سيد العابدين إذاكان يوم القيامة ينادي منادٍ ليقم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين، ويولد لعلي بن الحسين ابن يقال له: محمد اذا رأيته يا جابر فاقرأه مني السلام، يا جابر اعلم ان المهدي من ولده، واعلم يا جابر أنّ بقاءك بعده قليل»[1].

٢ ـ روى تاج الدين بن محمد نقيب حلب بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) **قال: «دخلت على جابر بن عبد الله فسلّمت عليه. فقال لي من أنت؟ وذلك بعد ما كف بصره، فقلت له: محمد بن علي بن الحسين، فقال: بأبي أنت وأمي، ادن مني فدنوت منه، فقبّل يدي ثم أهوى الى رجلي فاجتذبتها منه، ثم قال: إن رسول الله يقرؤك السلام، فقلت وعلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) السلام ورحمة الله وبركاته، وكيف ذلك يا جابر؟ قال: كنت معه ذات يوم فقال لي: يا جابر لعلك تبقى حتى تلقى رجلاً من ولدي يقال له محمد بن علي بن الحسين يهب له الله النور والحكمة فاقرأه مني السلام...»**[2].

٣ ـ ذكر صلاح الدين الصفدي قال: «كان جابر يمشي بالمدينة ويقول: يا باقر متى ألقاك؟ فمرّ يوماً في بعض سكك المدينة فناولته جارية صبياً في حجرها فقال لها: من هذا؟ فقالت: محمّد بن علي بن الحسين، فضمّه الى صدره، وقبّل رأسه ويديه، وقال: يا بني، جدّك رسول الله (صلى الله عليه وآله) يُقرِئُك

---

(١) عن تاريخ ابن عساكر: ٥١ / ٤١ من مصورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين.

(٢) غاية الاختصار: ٦٤.

السلام ثم قال: يا باقر نعيت إليّ نفسي فمات في تلك الليلة»[١].

ملامحه: كانت ملامح الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) كملامح رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشمائله[٢] وكما شابه جده النبيّ (صلى الله عليه وآله) في معالي أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيين فقد شابهه في هذه الناحية أيضاً.

ووصفه بعض المعاصرين له فقال: إنه كان معتدل القامة اسمر اللون[٣] رقيق البشرة له خال، ضامر الكشح، حسن الصوت مطرق الرأس[٤].

ذكاؤه المبكر: وكان (عليه السلام) في طفولته آية من آيات الذكاء حتى أن جابر ابن عبد الله الانصاري على شيخوخته كان يأتيه فيجلس بين يديه فيعلمه... وقد بهر جابر من سعة علوم الإمام ومعارفه وطفق يقول:

«يا باقر لقد أُوتيت الحكم صبياً»[٥].

وقد عرف الصحابة ما يتمتع به الإمام منذ نعومة أظفاره من سعة الفضل والعلم الغزير فكانوا يرجعون إليه في المسائل التي لا يهتدون إليها ويقول المؤرخون ان رجلاً سأل عبد الله بن عمر عن مسألة فلم يقف على جوابها فقال للرجل: اذهب إلى ذلك الغلام ـ وأشار الى الإمام الباقر ـ فاسأله، وأعلمني بما يجيبك فبادر نحوه وسأله فأجابه (عليه السلام) عن مسألته وخف الى ابن عمر فاخبره بجواب الإمام، وراح ابن عمر يبدي اعجابه بالإمام قائلاً:

---

(١) الوافي بالوفيات: ٤ / ١٠٣.

(٢) أُصول الكافي: ١ / ٤٦٩.

(٣) اخبار الدول: ١١١، جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام: ١٣٢.

(٤) اعيان الشيعة : ق١ / ٤ / ٤٧١.

الكشح : ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف ، والضامر هو الهزيل والخفيف اللحم. راجع مختار الصحاح.

(٥) علل الشرائع: ٢٣٤.

«انهم أهل بيت مفهّمون»[١].

لقد خص الله أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بالعلم والفضل، وزوّدهم بما زوّد أنبياءه ورسله من الفهم والحكمة حتّى أنه لم يخف عليهم جواب مسألة تعرض على أحد منهم، ويقول المؤرخون ان الإمام كان عمره تسع سنين وقد سئل عن أدق المسائل فأجاب عنها.

هيبته ووقاره: وبدت على ملامح الإمام (عليه السلام) هيبة الأنبياء ووقارهم، فما جلس معه أحد إلا هابه واكبره وقد تشرف قتادة وهو فقيه أهل البصرة بمقابلته فاضطرب قلبه من هيبته وأخذ يقول له:

«لقد جلست بين يدي الفقهاء وأمام ابن عباس فما اضطرب قلبي من أي أحد منهم مثل ما اضطرب قلبي منك»[٢].

نقش خاتمه: «العزة لله جميعاً»[٣] وكان يتختم بخاتم جده الإمام الحسين (عليه السلام) وكان نقشه «إن الله بالغ أمره»[٤] وذلك مما يدل على إنقطاعه التام إلى الله وشدة تعلقه به.

---

(١) المناقب: ٤ / ١٤٧.

(٢) اثبات الهداة: ٥ / ١٧٦.

(٣) حلية الأولياء: ٣ / ١٨٩.

(٤) في رحاب ائمة أهل البيت (عليهم السلام): ٤ / ٤.

الفصل الثاني

مراحل حياة الإمام محمّد الباقر (عليه السلام)

تنقسم حياة الإمام محمد الباقر(عليه السلام) ـ على غرار سائر الأئمة المعصومين(عليهم السلام) ـ الى مرحلتين متميزتين:

المرحلة الأُولى: مرحلة ما قبل التصدي للقيادة الشرعية العامة والتي تشمل القيادة الفكرية والسياسية معاً وهي مرحلة الولادة والنشأة حتى استشهاد أبيه(عليه السلام).

وقد عاش الإمام محمد الباقر(عليه السلام) في هذه المرحلة مع جدّه وأبيه(عليهما السلام) فقضى مع جدّه الحسين(عليه السلام) فترة قصيرة جداً لا تزيد على خمس سنين في اكثر التقادير، ولا تقل عن ثلاث سنين.

وعاش مع أبيه الإمام زين العابدين(عليه السلام) مدة تقرب من اربع وثلاثين سنة، وكانت سنيناً عجافاً؛ إذ كانت الدولة الأموية في ذروة بطشها وجبروتها، وكان الإمام الباقر (عليه السلام) في هذه المدة رهن إشارة أبيه زين العابدين (عليه السلام) في جميع مواقفه ونشاطاته.

وقد عاصر فيها كلاً من معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية ومعاوية ابن يزيد ومروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير وعبدالملك بن مروان والشطر الأكبر من حكم الوليد بن عبدالملك.

وأما المرحلة الثانية فتبدأ باستشهاد أبيه (عليه السلام) في الخامس والعشرين من

محرم الحرام سنة (٩٥ هـ) وهي مرحلة التصدي لمسؤولية القيادة الروحية والفكرية والسياسية العامة وهي الإمامة الشرعية حسب مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) وهي لا تنحصر في القيادة الروحية فقط كما لا تقتصر على القيادة السياسية بمعنى مزاولة الحكم وإدارة الدولة الإسلامية.

واستغرقت هذه المرحلة ما يقرب من تسعة عشر عاماً، واصل فيها مسيرة الائمة الهداة من قبله مستلهماً ـ من أجداده الطاهرين وعلومهم والعلوم التي حباه الله بها ـ الأُسلوب الصحيح لتحقيق أهداف الرسالة المحمدية.

واستطاع هذا الإمام العظيم خلال تلكم الأعوام أن يقدّم للأُمة معالم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في جميع مجالات الحياة ويربّي عدة أجيال من الفقهاء والرواة ويبني القاعدة الصلبة من الجماعة الصالحة التي تتبنّىٰ خط أهل البيت (عليهم السلام) الرسالي السليم وتسعىٰ جاهدة لتحقيق أهدافهم المُثلى.

وقد عاصر في هذه المرحلة الأيام الأخيرة من حكم الوليد بن عبدالملك وسليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز ويزيد بن عبدالملك وشطراً من حكم هشام بن عبدالملك واستشهد في حكم هشام هذا وعلى يد أحد عمّاله الظالمين.

وأقام الإمام (عليه السلام) طيلة حياته في المدينة المنورة، فلم يبرحها إلى بلد آخر، وقد كان فيها المعلم الأول، والرائد الأكبر للحركة العلمية والثقافية، وقد اتخذ الجامع النبوي مدرسة له فكان يلقي في رحابه بحوثه على تلاميذه.

وقد تخرجت من مدرسة هذا الإمام العملاق مجموعة من العلماء الكبار الذين جابوا شرق الأرض وغربها ناشرين فيها العلم والمعرفة وطأطأت لشخصياتهم المتفوقة الأُمة الاسلامية بشتىٰ قطاعاتها.

الفصل الثالث

الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) في ظلّ جدّه وأبيه (عليهما السلام)

مرّ الإمام الباقر (عليه السلام) بمرحلة رافقت الكثير من الأحداث والظواهر في ظلّ جده وأبيه (عليهما السلام) ويمكن تلخيصها بالشكل التالي :

١ ـ عاش الإمام الباقر (عليه السلام) في ظلّ جدّه الحسين (عليه السلام) منذ ولادته وحتى الرابعة من عمره الشريف وقد مكنه ذلك من الإطلاع على الأحداث والوقائع الاجتماعية والسياسية وإدراك طبيعة سيرها وفهم اتجاه حركتها بما أُوتي من ذكاء وفهم منذ صباه.

لقد عاش الإمام الباقر (عليه السلام) في مقتبل عمره حادثة مصرع أعمامه وأهل بيته الطاهرين وشاهد بأُم عينيه ملحمة عاشوراء ومقتل جدّه الحسين (عليه السلام) وأُخذ مأسوراً الى طواغيت الكوفة والشام وشارك سبايا أهل البيت (عليهم السلام) فيما جرى عليهم من المحن والمصائب الأليمة التي تتصدّع لها القلوب.

كما استمع إلى أقوال أبيه الساخنة وهو يخاطب الطاغية المتغطرس يزيد في الشام والتي كان منها قوله (عليه السلام) : **يا يزيد! ومحمد هذا جدي أم جدّك ؟ فإن زعمت أنه جدّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدّي فلِمَ قتلت عترته ؟ ! !**)[1] .

٢ ـ وعاصر الإمام الباقر (عليه السلام) في سنة (٦٣ هـ) واقعة الحرّة التي ثار

---

(١) الفتوح : ٥ / ١٥٣ .

فيها أهل المدينة على حكم يزيد وهو في السادسة من عمره الشريف، حيث شاهد نقض أكابر أهل المدينة وفقهائها لبيعة يزيد الفاجر[١] ورأىٰ مدينة جدّه عندما أباحها يزيد لجيشه الجاهلي ثلاثة أيّام متواليات يقتلون أهلها، وينهبون أموالهم ويهتكون أعراضهم[٢].

٣ ـ عاصر الإمام الباقر (عليه السلام) في هذه المرحلة من حياته الانحرافَ الفكريَ الذي تسبب الأُمويّون في إيجاده مثل بثّهم للعقائد الباطلة كالجبر والتفويض والإرجاء خدمةً لسلطانهم؛ لأن هذه المفاهيم تستطيع أن تجعل الأُمة مستسلمة للحكام الطغاة ما دامت تبرّر طغيانهم وعصيانهم لأوامر الله ورسوله.

٤ ـ ومن الظواهر التي عاصرها الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) وهو في ظلّ أبيه السجّاد (عليه السلام) ظاهرة الانحراف السياسي وتتمثل في تحويل الأُمويين للخلافة إلىٰ ملك عضوض يتوارثه الأبناء عن الآباء، ويوزّعون فيه المناصب الحكومية على ذويهم وأقاربهم.

لقد عاش (عليه السلام) محنة عداء الأُمويين للعلويين والذي تمثل في ظاهرة سبّهم لجدّه الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) علىٰ المنابر طيلة ستة عقود.

٥ ـ ومن الأحداث البارزة في حياة الإمام الباقر (عليه السلام) توالي الثورات المسلحة ضد الحكم الأُموي بعد واقعة كربلاء الخالدة، ففي سنة (٦٣ هـ) ثار أهل المدينة في سنة (٦٥ هـ) ثار التوابون، وفي سنة (٦٦ هـ) ثار المختار بن أبي عبيدة الثقفي وثار الزبيريون، وفي سنة (٧٧ هـ) ثار المطرّف بن المغيرة بن شعبة، وفي سنة (٨١ هـ) تمرّد عبد الرحمن بن

---

(١) تاريخ الخميس: ٢ / ٣٠٠.

(٢) الكامل في التاريخ: ٤ / ١١٣.

محمّد بن الأشعث على حكومة عبد الملك بن مروان[١].

٦ ـ وانتشرت في هذه الفترة ظاهرة وضع الحديث المؤلمة فقد ركّز الأُمويون على هذه الأداة لخدمة سلطانهم ، حتّى روىٰ ابن طرفة المعروف بنفطويه في تأريخه أن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة كانت في أيام بني أُميّة تقرّباً إليهم بما يظنّون أنهم يُرغمون أُنوف بني هاشم[٢].

٧ ـ أما الانحراف الأخلاقي والاجتماعي فقد استشرىٰ في أوساط الأُمة حيث اشتهر يزيد بن معاوية بفسقه إذ كان يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والقرود ويقضي أوقاته بين المغنّين والمغنّيات وشاع عنه ذلك وعرفه عامّة الناس. وكان مروان بن الحكم أيضاً فاحشاً بذيئاً ،كما كان أولاده وأحفاده علىٰ شاكلته[٣].

وأشاع الأُمويّون بين المسلمين روح التعصّب فقرّبوا العرب وأبعدوا غير العرب وأثاروا الشعوبية فمزّقوا بذلك وحدة الصف الإسلامي وأثاروا الأحقاد وزرعوا بذور الشر في قلوب أبناء المجتمع الاسلامي .

٨ ـ وعاش الإمام الباقر (عليه السلام) في هذه المرحلة من حياته في ظلّ سيرة أبيه (عليه السلام) بكل وجوده الذي كان يركز نشاطه على إعادة بناء المجتمع الإسلامي وتشييد دعائم العقيدة الاسلامية القويمة، حيث كان يحاول الإمام زين العابدين(عليه السلام) من خلال بثّ القيم العقائدية والأخلاقية عبر الأدعية وتوجيه رسائل الحقوق وما شابه ذلك صياغة كيان الجماعة الصالحة التي كان عليها أن تتولىٰ عمليّة التغيير في المجتمع الذي راح يتردّىٰ باستمرار.

---

(١) البداية والنهاية : ٩ / ١٣٨ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٩ / ١٣٨ .

(٣) المصدر السابق : ١١ / ٤٦ .

وكان يشارك أباه السجّاد(عليه السلام) في أهدافه وخطواته وأساليبه المتعددة في المرحلة التي استغرقت ثلاثة وثلاثين عاماً والتي تمثّلت في الدعاء والانفاق والعتق والتربية المباشرة للرقيق والأحرار باعتبارها نشاطاً بارزاً للإمام زين العابدين(عليه السلام) خلال هذه المرحلة .

٩ ـ وقف الإمام الباقر (عليه السلام) مواقف أبيه من الثورات والحركات المسلحة التي كانت تهدف إلىٰ إسقاط النظام الفاسد إذ كان يرشدها ويقودها بصورة غير مباشرة من دون أن يعطي للحكام أي دليل يدل علىٰ التنسيق من الإمام (عليه السلام) مع الثوّار ضد الحكم الأُموي الغاشم .

١٠ ـ وكان للإمام الباقر دور بارز وهو في ظلّ أبيه في حركته لتأسيس صرح العلم والمعرفة الاسلامية حيث كان يحضر المحافل العامة ليحدّث الناس ويرشدهم، كما كان يفسّر القرآن ويعلّم الناس الأحاديث النبويّة الشريفة ويثقّفهم بالسيرة النبويّة المباركة .

١١ ـ ان التنصيص من الإمام السجّاد(عليه السلام) على إمامة ابنه الباقر يعود تأريخياً الى النصوص التي وردت عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) والأئمة من بعده ونصّت على إمامة اثني عشر إماماً بعد رسول الله كلهم من قريش وبني هاشم، وتداولها الصحابة والتابعون واستند اليها أهل البيت(عليهم السلام).

ومن تلك النصوص التي ورد فيها اسم الإمام الباقر(عليه السلام) بشكل خاص هو النص الذي رواه جابر بن عبدالله الأنصاري وقد جاء في هذا النص ما يلي:

«...فقال: يا رسول الله وَمَنْ الائمة من ولد علي بن أبي طالب؟ قال: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم سيد العابدين في زمانه عليّ بن الحسين، ثم الباقر محمد بن عليّ**

وستدركه يا جابر، فاذا أدركته فاقرأه منّي السلام»[١].

وجاء في نص آخر أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: **«يولد لابني هذا ـ يعني الحسين ـ ابن يقال له: علي، وهو سيد العابدين... ويولد له محمد، اذا رأيته يا جابر فاقرأه(عليه السلام) منّي السلام، واعلم أنّ المهدي من ولده...»**[٢].

وقد تناقل الائمة من أهل البيت (عليهم السلام) الوصية إماماً بعد إمام، فقد أوصى الإمام علي (عليه السلام) ولده الإمام الحسن (عليه السلام) قائلاً: **«يا بنيّ إنه أمرني رسول الله(صلى الله عليه وآله) أن أوصي اليك، وأدفع اليك كتبي وسلاحي، كما أوصىٰ اليّ ودفع اليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك اذا حضرك الموت أن تدفعها الى أخيك الحسين، ثم أقبل على ابنه الحسين، فقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها الى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين وقال: وأمرك رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تدفعها الى ابنك محمد بن علي فاقرأه من رسول الله ومنّي السلام»**[٣].

١٢ ـ وكان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يوجّه الانظار الى امامة ابنه الباقر(عليه السلام)، ويستثمر الفرص لإعلانها أمام أبنائه أو بعض أبنائه أو خاصّته وثقاته، يصرّح تارة بها ويلمّح إليها تارة أُخرىٰ.

فحينما سأله ابنه عمر عن سرّ اهتمامه بالباقر (عليهما السلام) أجابه: **«انّ الإمامة في ولده الىٰ أن يقوم قائمنا (عليه السلام) فيملأها قسطاً وعدلاً، وانه الإمام أبو الأئمة...»**[٤].

وعن الحسين ابن الإمام زين العابدين (عليهما السلام) قال: سأل رجل أبي (عليه السلام) عن الائمة ، فقال: **«اثنا عشر سبعة من صلب هذا، ووضع يده على كتف أخي محمد»**[٥].

---

(١) كفاية الأثر : ١٤٤ ـ ١٤٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق : ٢٣ / ٧٨، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٢٠، سير أعلام النبلاء: ٤ / ٤٠٤.

(٣) إعلام الورىٰ بأعلام الهدى: ٢٠٧.

(٤) كفاية الأثر: ٢٣٧.

(٥) المصدر السابق : ٢٣٩.

وكان يصرّح لابنه الباقر (عليه السلام) بامامته ويقول له: **«يا بنيّ انّي جعلتك خليفتي من بعدي»**(١).

وروي عن أبي خالد أنّه قال: قلت لعليّ بن الحسين: من الإمام بعدك ؟ قال: **«محمّد ابني يبقر العلم بقراً»**(٢).

وفي مرضه الذي توفي فيه سأله الزهري قائلاً: فإلىٰ من نختلف بعدك؟ فأجاب(عليه السلام): **«يا أبا عبد الله الىٰ ابني هذا ـ** وأشار الىٰ محمد ابنه **ـ انه وصيّي ووارثي وعيبة علمي ومعدن العلم وباقر العلم»**، فقال له الزهري: يا ابن رسول الله هلّا أوصيت إلى أكبر اولادك؟ فقال (عليه السلام): **«يا أبا عبد الله ليست الامامة بالصغر والكبر، هكذا عهد الينا رسول الله(صلى الله عليه وآله) وهكذا وجدنا مكتوباً في اللوح والصحيفة»**(٣).

وفي أيامه الأخيرة جمع الإمام زين العابدين (عليه السلام) أولاده: محمد والحسن وعبد الله وعمر وزيد والحسين، وأوصىٰ الى ابنه محمد... وجعل أمرهم اليه(٤).

وفي الساعات الأخيرة من حياته التفت (عليه السلام) الى ولده وهم مجتمعون عنده، ثم التفت الى ابنه الباقر (عليه السلام) فقال: **«يا محمد هذا الصندوق اذهب به الى بيتك»**. اما أنه لم يكن فيه دينار ولا درهم، ولكن كان مملوءاً علماً(٥).

---

(١) كفاية الأثر : ٢٤١.

(٢) بحار الانوار: ٤٦ / ٣٢٠.

(٣) كفاية الاثر: ٢٤٣.

(٤) كفاية الأثر: ٢٣٩.

(٥) الكافي: ١ / ٣٠٥.



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

جهاد أهل البيت (عليهم السلام) ودور الإمام الباقر (عليه السلام)

الفصل الثاني :

وقائع وأحداث هامة في عصر الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

الفصل الثالث :

دور الإمام الباقر (عليه السلام) في إصلاح الواقع الفاسد

الفصل الأوّل

جهاد أهل البيت (عليهم السلام) ودور الإمام الباقر (عليه السلام)

ترتكز العملية التربوية على ثلاثة عناصر أساسية هي: المربي والنظام التربوي والمتربّي. وحينما تفتقد العملية التربوية المربّي الكفوء أو النظام التربوي الصالح فإنها سوف تنحرف ولا تؤتي ثمارها الصالحة.

وقد جاء الإسلام ليربّي المجتمع البشري بقيادة الرسول الخاتم المصطفىٰ محمد بن عبدالله(صلى الله عليه وآله) وخطى النبي(صلى الله عليه وآله) في طريق التربية الشاق خطوات كبيرة، واستطاع في ظلّ الشريعة الاسلامية ونظام الإسلام التربوي أن يربّي من تلك الجماعات الجاهلية اُمّة صالحة ورشيدة.

ولكن فقدت الاُمة الاسلامية المربّي الكفوء حين غادرها الرسول(صلى الله عليه وآله) الى ربّه، وبهذا انهدم العنصر الأوّل من عناصر التربية الثلاثة.

وكان انهدام هذا العنصر كفيلاً بهدم العنصرين الآخرين إذ لم يكن مَن تزعّم قيادة التجربة بعد النبي(صلى الله عليه وآله) كفوءاً لها ككفاءة النبي نفسه، علماً وعصمةً ونزاهةً وقدرةً وشجاعةً وكمالاً.

أجل؛ لقد تزعّم التجربة مَن لم يكن معصوماً ولا منصهراً في مفاهيم الرسالة ولا قادراً على حفظ الاُمّة من الانحراف عن الخط الذي رسمه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لها، ذلك الانحراف الذي لم يعرف المسلمون مدىٰ عمقه

ومدى تأثيره السلبي علىٰ الدولة والأُمّة والشريعة علىٰ طول الخط ولعلّهم اعتبروه تغييراً في شخص القائد لا تغييراً في خط القيادة.

وقد قام الأئمة من أهل البيت(عليهم السلام) بدور جبّار لصيانة الإسلام والحفاظ على التجربة الاسلامية وعلى دولة الرسول وحاولوا جهد إمكانهم حفظ الأُمّة المسلمة من التمادي في الانحراف والانهيار، وعملوا بشكل عام على خطّين رئيسين للوقوف بوجه هذا الانحراف الكبير الذي لم يدرك إلّا الرسول(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار مدى عمقه وخطورته على الشريعة والدولة والأُمة جميعاً.

والخطّان الرئيسان اللذان عمل الأئمة(عليهم السلام) عليهما وكان عليهم أن يوظّفوا لذلك نشاطهم يتمثّلان في:

١ ـ **خط تحصين الأُمة ضد الانهيار بعد وقوع التجربة،** بأيدي أُناس غير مؤهّلين لقيادتها، واعطائها القدر الكافي من المقومات لكي تواصل مسيرتها في الاتجاه الصحيح، وبقدم راسخة .

٢ ـ **خط محاولة تسلّم زمام التجربة وزمام الدولة ومحو آثار الانحراف** وإرجاع القيادة الكفوءة إلىٰ موضعها الطبيعي لتكتمل عناصر التربية ولتتلاحم الأُمة والمجتمع مع الدولة والقيادة الرشيدة[١].

اما الخط الثاني فكان علىٰ الأئمة الراشدين أن يقوموا له بإعدادٍ طويل المدىٰ، من أجل تهيئة الظروف الموضوعية اللازمة التي تتناسب مع مجموعة القيم والأهداف والأحكام الاساسية التي جاءت بها الرسالة الاسلامية وأريد تحقيقها من خلال الحكم وممارسة الزعامة باسم الإسلام القيّم وباسم الله المشرّع للانسان تشريعاً يوصله إلىٰ كماله اللائق به.

(١) أهل البيت، تنوع أدوار ووحدة هدف : ٥٩.

ومن هنا كان رأي الأئمة الأطهار في استلام زمام الحكم هو: أنّ الانتصار المسلّح الآنيّ غير كافٍ لإقامة دعائم الحكم الاسلاميّ المستقر، بل يتوقف ذلك علىٰ إعداد جيش عقائدي يؤمن بالامام وبعصمته إيماناً مطلقاً ويعيش جميع أهدافه الكبيرة، ويدعم تخطيطه في مجال الحكم، ويحرس ما يحققه للأُمة من مصالح أرادها الله لها في هذه الحياة.

وأما الخط الأوّل فهو الخط الذي لا يتنافىٰ مع كل الظروف القاهرة والمؤاتية، وكان يمارسه الأئمة(عليهم السلام) حتىٰ في حالة الشعور بعدم توفر الظروف الموضوعية التي تسمح للإمام بخوض معركة يتسلّم من خلالها زمام الحكم من جديد.

ان هذا الخط يتمثّل في تعميق الرسالة فكرياً وروحيّاً وسياسياً في الأُمة نفسها؛ بغية إيجاد تحصين كافٍ في صفوفها ضدّ الانهيار، بعد تردّي التجربة وسقوطها، وذلك بايجاد قواعد واعية في الأُمة وايجاد روح رسالية فيها وايجاد عواطف صادقة تجاه هذه الرسالة في الأُمة[1].

واستلزم عمل الأئمة الأطهار(عليهم السلام) في هذين الخطّين قيامهم بدور رساليّ إيجابي وفعّال علىٰ طول الخط لحفظ الرسالة والأُمة والدولة وحمايتها جميعاً باستمرار.

وكلما كان الانحراف يشتدّ كان الائمة الأطهار يتّخذون التدابير اللازمة ضد ذلك. وكلما وقعت محنة للعقيدة أو التجربة الاسلامية وعجزت الزعامات المنحرفة من علاجها ـ بحكم عدم كفاءتها ـ بادر الأئمة(عليهم السلام) إلىٰ تقديم الحلّ ووقاية الأُمة من الأخطار التي كانت تهدّدها.

---

(١) أهل البيت، تنوع ادوار ووحدة هدف : ١٣١ ـ ١٣٢ و١٤٧ ـ ١٤٨.

فالأئمة المعصومون(عليهم السلام) كانوا يحافظون علىٰ المقياس العقائدي في المجتمع الاسلامي إلىٰ درجةٍ لا تنتهي بالأُمة إلىٰ الخطر الماحق لها[1].

ومن هنا تنوّع عمل الأئمة(عليهم السلام) في مجالات شتّىٰ باعتبار تعدّد العلاقات وتعدّد الجوانب والمهامّ التي تهمّهم باعتبارهم القيادة الواعية الرشيدة التي تريد تطبيق الإسلام وحفظه للانسانية جمعاء.

فالأئمة الأطهار (عليهم السلام) مسؤولون عن صيانة تراث الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله) وثمار جهوده الكريمة المتمثلة في النقاط الأربع التالية:

١ ـ الشريعة والرسالة التي جاء بها الرسول الأعظم من عند الله تعالى والمتمثلة في الكتاب الكريم والسنة الشريفة.

٢ ـ الأُمة التي كوّنها وربّاها الرسول الكريم بيديه الكريمتين.

٣ ـ الكيان السياسي الاسلامي الذي أوجده النبي (صلى الله عليه وآله) والدولة التي أسسها وشيّد أركانها.

٤ ـ القيادة النموذجية التي حققها بنفسه وربّىٰ من يكون كفوءً لتجسيدها من أهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

لكنّ عدم امكان الحفاظ علىٰ هذا المركز القيادي وتفويت الفرصة على القيادة التي عيّنها الرسول(صلى الله عليه وآله) بأمرٍ من الله تعالىٰ لا يمنع من ممارسة مسؤولية الحفاظ علىٰ المجتمع الاسلامي السياسي وصيانة الدولة الاسلامية من الانهيار بالقدر الممكن الذي يتسنّىٰ للقيادة الشرعية بالفعل وبمقدار ما تسمح به الظروف الراهنة.

كما ان سقوط الدولة الاسلامية لا يحول دون الاهتمام بالأُمة المسلمة

---

(١) أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف : ١٤٤.

ودون الاهـتمام بـالرسالة والشـريعة الإسـلامية وصـيانتها مـن الانـهيار والاضمحلال التام.

وعلىٰ هذا الاساس تنوّعت مجالات عمل الائمة الطاهرين(عليهم السلام) بالرغم من اختلاف ظروفهم من حيث نوع الحكم القائم، ومن حـيث درجـة ثـقافة الأمة ومدىٰ وعيها، ومدىٰ إيمانها ومعرفتها بـالأئمة(عليهم السلام)، ومـدىٰ انـقيادها للحكام المنحرفين، ومن حيث نـوع الظـروف المـحيطة بـالكيان الاسـلامي والدولة الاسلامية، ومن حيث درجة التزام الحكّام بالاسلام، ومن حيث نوع الأدوات التي كانوا يستخدمونها لدعم حكمهم وإحكام سيطرتهم على رقاب الأُمّة.

فقد كان لائمة أهـل البـيت(عليهم السلام) نشـاط مسـتمر تـجاه الحكـم القـائم والزعامات المنحرفة، وقد تمثّل في إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف، بالتوجيه الكلامي، أو بالثورة المسلحة ضد الحاكم حينما كان يشكّل انحرافه خطراً ماحقاً، كثورة الإمام الحسين(عليه السلام) ضد يزيد بن معاوية وان كلّفهم ذلك حياتهم، أو عن طريق إيجاد المعارضة المستمرة ودعمها بشكل وآخر من أجل زعزعة القيادة المنحرفة بالرغم من دعمهم للدولة الاسلامية بشكل غير مباشر حينما كانت تواجه خطراً ماحقاً أمام الكيانات الكافرة.

وكان لهم(عليهم السلام) نشاط مستمر كـذلك فـي مـجال تـربية الأُمـة عـقائدياً وأخلاقياً وسياسياً وذلك من خلال تربية الأصـحاب العـلماء وبـناء الكـوادر العلمية والشخصيات النموذجية التي تقوم بمهمة نشر الوعي والفكر الاسلامي وتصحيح الأخطاء الحاصلة في فهم الرسالة والشـريعة، ومـواجـهة التـيارات الفكـرية الوافـدة أو التـيارات السـياسية المـنحرفة أو الشـخصيّات العـلمية المنحرفة التي كان الحكام الجائرون يستخدمونهم لدعم حكوماتهم. وكـانت

من جملة مهامّهم دعوة الناس الى السير وراء القيادة الإلهية بعد الرسول(عليهم السلام) والمتمثّلة في إمامة أهل البيت الأطهار، وتصعيد درجة معرفة الأُمة والايمان بهم والوعي اللازم تجاه امامتهم وزعامتهم.

هذا بالإضافة الى نزول الأئمة(عليهم السلام) إلىٰ ساحة الحياة العامة والارتباط بالأُمة بشكل مباشر والتعاطف مع قطّاع واسع من المسلمين؛ فإن الزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق التي كان يتمتع بها أئمة أهل البيت(عليهم السلام) علىٰ مدىٰ قرون لم يحصلوا عليها صدفة، أو لمجرد الانتماء الى رسول الله(صلى الله عليه وآله)؛ وذلك لوجود كثير ممن كان ينتسب إلىٰ رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولم يكن يحظىٰ بهذه المكانة عند الناس؛ لأن الأُمة لا تمنح ولاءها لأحد مجاناً، ولا يملك أحدٌ قيادتها وميل قلوبها من دون عطاءٍ سخيّ منه في مختلف مجالات الحياة، وخاصّة عند الأزمات ، والمشاكل.

وهكذا خرج الإسلام علىٰ مستوىٰ النظرية سليماً من الانحراف وان تشوّهت معالم التطبيق،كما أنّ بفضل قيادة أهل البيت الفكرية والمعنوية تحوّلت الأُمة إلىٰ أُمة عقائدية تقف بوجه الغزو الفكري والسياسي الكافر واستطاعت أن تسترجع قدرتها وتماسكها علىٰ المدىٰ البعيد كما لاحظناه في القرن المعاصر بعد عصور الانهيار والتردي.

وقد حقق الأئمة المعصومون (عليهم السلام) كل هذه الانتصارات بفضل اهتمامهم البليغ بتربية الكتلة الصالحة التي آمنت بهم وبإمامتهم وبفضل إشرافهم علىٰ تنمية وعي هذه الكتلة وايمانها من خلال التخطيط لسلوكها وحمايتها باستمرار واسعافها بكل الأساليب التي كانت تساعد علىٰ صمودها في خضمّ المحن وارتفاعها إلىٰ مستوىٰ جيش عقائدي رساليّ يعيش هموم الرسالة ويعمل علىٰ صيانتها ونشرها وتطبيقها ليل نهار.

مراحل حركة الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام):

وإذا رجعنا إلىٰ تاريخ أهل البيت(عليهم السلام) والظروف المحيطة بهم ولاحظنا سلوكهم ومواقفهم العامة والخاصة استطعنا أن نصنّف ظروفهم ومواقفهم إلىٰ مراحل وعصور ثلاثة يتميز بعضها عن بعض بالرغم من اشتراكهم في كثير من الظروف والمواقف ولكنِ الأدوار تتنوع باعتبار مجموعة الظواهر العامة التي تشكل خطّاً فاصلاً ومميّزاً لكل عصر.

فالمرحلة الاولىٰ من حياة الأئمة(عليهم السلام) وهي (مرحلة تفادي صدمة الانحراف) بعد وفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله) تجسّدت في سلوك ومواقف الأئمة الأربعة: علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين(عليهم السلام) إذ قاموا بالتحصينات اللازمة لصيانة العناصر الاساسية للرسالة وان لم يستطيعوا القضاء علىٰ القيادة المنحرفة. لكنهم استطاعوا كشف زيفها والمحافظة علىٰ الرسالة الاسلامية نفسها. وبالطبع انهم لم يهملوا أمر الأُمة أو الدولة الاسلامية بشكل عام ولم يحرموها من رعايتهم واهتمامهم إذا ارتبط الأمر بالكيان الاسلامي والأُمة المسلمة، هذا فضلاً عن سعيهم البليغ في بناء وتكوين الكتلة الصالحة المؤمنة بقيادتهم.

وتبدأ **المرحلة الثانية** بالشطر الثاني من حياة الإمام السجاد السياسية حتىٰ الإمام الكاظم(عليه السلام) وتتميز بأمرين اساسيين:

١ ـ فيما يرتبط بالخلافة المزيّفة فقد تصدىٰ هؤلاء الأئمّة لتعريتها عمّا بدأ الخلفاء يحصّنون به أنفسهم ويبرّرون أفعالهم، من خلال دعم طبقة من المحدّثين والعلماء (من وعّاظ السلاطين) لهم وتقديم التأييد والولاء لهم من أجل اسباغ الصبغة الشرعية علىٰ زعامتهم بعد أن استطاع الأئمّة في المرحلة

الاولىٰ أن يكشفوا زيف خط الخلافة وأن يُحَسِّسوا الأُمّة بمضاعفات الانحراف الذي حصل في مركز القيادة بعد الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢ ـ فيما يرتبط ببناء الجماعة الصالحة الذي أُرسيت دعائمه في المرحلة الاولىٰ فقد تصدىٰ الأئمة المعصومون في هذه المرحلة إلىٰ تحديد الاطار التفصيلي وايضاح معالم الخط الرسالي الذي أُؤتمن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) عليه والذي تمثّل في تبيين ونشر معالم النظرية الاسلامية الامامية وتربية عدة أجيال من العلماء علىٰ أساس هذه النظرية في قبال خط علماء البلاط والذين عرفوا بوعاظ السلاطين.

هذا فضلاً عن تصديهم لدفع الشبهات وكشف زيف الفرق المذهبية التي استحدثت من قبل خط الخلافة أو غيره.

والأئمة في هذه المرحلة لم يتوانوا في زعزعة قواعد الزعامات والقيادات المنحرفة من خلال دعم بعض الخطوط المعارِضة للسلطة ولا سيما الثورية منها التي كانت تتصدىٰ لمواجهة من تربَّع علىٰ كرسيّ خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ثورة الإمام الحسين (عليه السلام).

والمرحلة الثالثة من حياة الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) تبدأ بشطرٍ من حياة الإمام الكاظم (عليه السلام) وتنتهي بالإمام المهدي (عليه السلام)؛ فانهم بعد وضع التحصينات اللازمة للكتلة الصالحة ورسم المعالم والخطوط التفصيلية لها ـ عقائدياً واخلاقياً وسياسياً في المرحلة الثانية ـ قد بدا للخلفاء أن قيادة أهل البيت (عليهم السلام) أصبحت بمستوىٰ تسلّم زمام الحكم والعودة بالمجتمع الاسلامي إلىٰ حظيرة الإسلام الحقيقي، وهو أمر استتبع ردود فعل من جانب الخلفاء تجاه الأئمة (عليهم السلام)، وكانت مواقف الأئمة تجاه الخلفاء تابعة ومناسبة لنوع موقف الخليفة تجاههم وتجاه قضيتهم.

وأمّا فيما يرتبط بالكتلة الصالحة التي أوضحوا لها معالم منهجها فقد عمل الأئمة(عليهم السلام) علىٰ دفعها نحو الثبات والاستقرار والانتشار من أجل تحصينها من الانهيار وإعطائها درجة من الاكتفاء الذاتي، وكان في تقدير الأئمة انهم بعد المواجهة المستمرة للخلفاء سوف لا يُسمح لهم بالمكث بين ظهرانيهم وسوف لن يتركهم الخلفاء أحراراً بعد أن تبين للأُمّة عدم شرعيّتهم واتضحت لهم المكانة الشعبية للأئمة(عليهم السلام) الذين كانوا يمثّلون الزعامة الشرعية والاهتمام الحقيقي بشؤون الأُمّة الاسلامية.

ومن هنا تجلّت حكمة تربية الفقهاء على نطاق واسع ثم إرجاع الناس إليهم وتدريبهم علىٰ مراجعتهم في قضاياهم وشؤونهم العامة تمهيداً للغيبة التي لا يعلم مداها إلّا الله سبحانه والتي اخبر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) عن تحققها وفرضت الظروف على الأئمة وأتباعهم الانصياع لها.

وبهذا استطاع الأئمة(عليهم السلام) وضمن تخطيط بعيد المدىٰ أن يقفوا في وجه المسلسل الطبيعي للمضاعفات الناشئة عن الانحراف في القيادة والتي كانت تنتهي بتنازل الأُمة عن الإسلام الصحيح، وبالتالي ضمور الشريعة وانهيار الرسالة الإلهية بشكل كامل.

فالذي جعل الأُمة لا تتنازل عن الإسلام هو تقديم مثل آخر للإسلام واضح المعالم، أصيل المُثل والقيم، أصيل الأهداف والغايات، وقد قُدّمت هذه الاطروحة للأُمّة من قبل الواعين من المسلمين بزعامة الأئمة من أهل البيت المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

إنّ هذه الاطروحة التي قدّمها الأئمة (عليهم السلام) للاسلام المحمّدي لم تكن لتتفاعل مع الشيعة المؤمنين بإمامة أهل البيت(عليهم السلام) فقط، بل كان لها صدىٰ كبير في كل العالم الاسلامي، فالأئمة الأطهار كانت لهم اطروحة للاسلام

وكانت لهم دعوىٰ لإمامتهم وهذه الدعوىٰ وان لم يطلبوا لها إلّا عدداً ضئيلاً من مجموع الأُمة الاسلامية ولكن الأُمة بمجموعها تفاعلت مع هذه الاطروحة التي تُمَثّل النموذج الواضح والمخطّط الصحيح الصريح للاسلام في كل المجالات العامة والخاصة ، ثقافياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وخلقياً، مما جعل المسلمين علىٰ مرّ الزمن يسهرون علىٰ الإسلام ويقيمونه وينظرون اليه بمنظار آخر غير منظار الواقع الذي كانوا يعيشونه من خلال الحكم القائم الذي تلاعب بالإسلام وغيّر معالمه[1].

هذا وستكون لنا وقفة تفصيليّة مع الأُطروحة الكاملة التي طبّقها والمنهج الذي انتهجه الإمام(عليه السلام) لبناء الجماعة الصالحة في الباب الرابع إن شاء الله تعالى.

---

(١) أهل البيت، تنوع ادوار ووحدة هدف : ٧٩ ـ ٨٠ مع بعض التصرّف.

الفصل الثاني

وقائع وأحداث هامة في عصر الإمام الباقر (عليه السلام)

إذا اردنا أن نقف على ملامح المرحلة التي مارس فيها الإمام الباقر(عليه السلام) قيادته للأُمة الاسلامية بعد والده الإمام زين العابدين(عليهما السلام) وجب أن نقف على أهم الأحداث التي مهّدت لتلك المرحلة ونلاحظ مدى علاقتها بالإمام الباقر(عليه السلام) كمرشّح للقيادة في حياة والده وممارس لها بعد ذلك.

لقد شُيّدت أُسس الحكم الأُموي المرواني أيام عبدالملك بن مروان باعتباره أوّل حاكم مقتدر للحكم المرواني. وقد رسمت إجراءاته السياسية ملامح المرحلة التي نريد دراستها.

قال بعض المؤرخين : إن عبدالملك بن مروان قبل أن يتقلد الخلافة كان يظهر النسك والعبادة، فلما بشر بالملك كان بيده المصحف الكريم فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك، أو قال: هذا فراق بيني وبينك[1].

ولقد اتصف عبدالملك بأخس الصفات وأحطها والتي كان من بينها:

١ ـ **الطغيان والجبروت:** قال المنصور : كان عبدالملك جباراً لا يبالي ما صنع[2] وكان فاتكاً لا يعرف الرحمة والعدل، وقد قال: في خطبته بعد قتله

---

(١) تاريخ ابن كثير : ٨/ ٢٦٠.

(٢) النزاع والتخاصم للمقريزي : ٨

لابن الزبير: لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه[١]، وهو أول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء[٢].

٢ ـ **الغدر ونكث العهد:** فقد أعطى الأمان لعمرو بن سعيد الأشدق على أن تكون الخلافة له من بعده إلا أنه غدر به، وقتله ورمى برأسه الى أصحابه[٣] ولم يرع وشيجة النسب التي كانت تربطه بعمرو.

لقد خاف عبدالملك من الأشدق، إذ لو كان حياً لاتّخذ التدابير للقضاء على حكم بني مروان ولكن عبدالملك تغدّى به قبل أن يتعشى به عمر، وقد انتقم الله منه؛ لأنه كان جباراً مسرفاً في إراقة دماء المسلمين وإشاعة الخوف والرعب فيهم.

٣ ـ **القسوة والجفاء:** حيث انعدمت من نفسه الرحمة والرأفة، حتى أ نّه بالغ في إراقة الدماء وسفكها بغير حق، وقد اعترف بذلك هو حين قالت له أم الدرداء: بلغني أنك شربت الطِلى ـ يعني الخمر ـ بعد العبادة والنسك، فقال لها غير متأثم: «اي والله والدماء شربتها»[٤].

وقد نشر الثكل والحزن والحداد في بيوت المسلمين أيام حكمه الرهيب حتى أنّه خطب في يثرب بعد قتله لابن الزبير خطاباً قاسياً أعرب فيه عما كان يحمله في قرارة نفسه من القسوة والسوء قائلاً: «إني لا أُداوي أدواء هذه الأُمة إلّا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم...»[٥].

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٢١٩.

(٢) المصدر السابق : ٢١٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٩٠، ط ١، الأعلمي بيروت، ١٤١٣هـ .

(٤) مختصر تاريخ دمشق : ٢١٩/١٥، ترجمة عبدالملك بن مروان رقم ٢١٠.

(٥) تاريخ ابن كثير : ٦٤/٩.

٤ ـ **البخل:** فكان يسمى (رشح الحجارة) لشدة شحه وبخله[١] وقد عانت الأُمة في أيام حكمه الجوع والفقر والحرمان.

من بدع عبدالملك : خاف عبدالملك أن يتصل ابن الزبير بأهل الشام فيفسدهم عليه فمنعهم من الحج، فقالوا له: أتمنعنا من الحج وهو فريضة فرضها الله، فقال: قال ابن شهاب الزهري انّ رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس.

وصرفهم بذلك عن الحج الى بيت الله الحرام، وصيره الى بيت المقدس وقد استغل الصخرة التي فيه، وروى فيها أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) قد وضع قدمه عليها حين صعوده الى السماء فأقامها لهم مقام الكعبة فبنى عليها قبة وعلى فوقها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأمر الناس أن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة[٢].

وانتقص عبدالملك سلفه من حكام بني أُمية، وقد أدلى بذلك في خطابه الذي ألقاه في يثرب، إذ جاء فيه: «إني والله ما أنا بالخليفة، المستضعف ـ يعني عثمان ـ ولا بالخليفة المداهن ـ يعني معاوية ـ ولا بالخليفة المأفون[٣] ـ يعني يزيد».

وعلّق ابن أبي الحديد على هذه الكلمات بقوله : «وهؤلاء سلفه وأئمته، وبشفعتهم قام ذلك المقام، وبتقدمهم وتأسيسهم نال تلك الرياسة، ولولا العادة المتقدمة، والأجناد المجندة والصنائع القائمة، لكان أبعد خلق الله من ذلك

---

(١) تاريخ القضاعي : ٧٢.

(٢) اليعقوبي: ٣١١/٢.

(٣) المأفون: الضعيف الرأي.

المقام، وأقربهم الى المهلكة إن رام ذلك الشرف...»[1].

من جرائم عبدالملك: وأخطر عمل قام به عبدالملك توليته للسفّاك المعروف الحجّاج بن يوسف الثقفي ، فقد عهد بأُمور المسلمين إلى هذا الانسان الممسوخ الذي اشتهر بقساوته وشهوته في إراقة الدماء.

لقد منحه عبدالملك صلاحيات واسعة النطاق، فجعله يتصرف في أُمور الدولة حسب رغباته التي لم تكن تخضع إلّا لمنطق البطش والاستبداد، وقد أمعن هذا الأثيم في النكاية بالناس، وقهرهم وإذلالهم ، وقد خلق في البلاد الخاضعة لنفوذه جواً من الأزمات السياسية التي لا عهد للناس بمثلها.

ونقم علماء المسلمين وخيارهم على الحجاج ، وكان عمر بن عبدالعزيز من الناقمين على الحجاج، والساخطين عليه، حتى قال فيه: «لو جاءت كل أُمة بخبيثها ، وجئنا بالحجاج لغلبناهم»[2].

وقال عاصم: «ما بقيت لله عزّ وجل حرمة إلّا وقد ارتكبها الحجاج[3].

وقال طاووس: «عجبت لمن يسمي الحجاج مؤمناً»[4].

وقال ابن عماد الحنبلي عنه: «سنة خمس وتسعين فيها أراح الله العباد والبلاد بموت الحجاج بن يوسف الثقفي في ليلة مباركة على الأُمة... كان لا يصبر عن سفك الدماء وانه اكبر لذّاته وله مقحمات عظام»[5].

ولما أراد الحج ولّى على العراق شخصاً اسمه محمد، وقد خطب بين الناس فقال لهم: إني قد استعملت عليكم محمداً، وقد أوصيته فيكم خلاف

(١) شرح ابن أبي الحديد: ٢٥٧/١٥.

(٢) نهاية الإرب: ٣٣٤/٢١.

(٣) تاريخ ابن كثير : ١٣٢/٩.

(٤) تهذيب التهذيب : ٣١١/٢.

(٥) شذرات الذهب: ١٠٦/١ ـ ١٠٧.

وصية رسول الله(صلى الله عليه وآله) بالأنصار فانه قد أوصى أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم، وقد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم، ولا يتجاوز عن مسيئكم...»[١].

وقال الدميري: «كان الحجاج لا يصبر عن سفك الدماء، وكان يخبر عن نفسه أنّ اكبرَ لذّاته إراقته للدماء، وارتكاب امور لا يقدر عليها غيره»[٢].

وقد بالغ في قتل الناس بغير حق، فقدكان عدد من قتلهم صبراً ـ سوى من قتل في حروبه ـ مائة وعشرين ألفاً[٣] وقيل مائة وثلاثين ألفاً[٤].

وقد اعترف رسمياً بسفكه للدماء بغير حق فقد قال: «والله ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرأ على دم مني»[٥].

وانكر عليه عبدالملك إسرافه في ذلك إلا أنه لم يعن به[٦].

وقد وضع سيفه في رقاب القرّاء والعبّاد لأنهم أيدوا ثورة ابن الأشعث، وكان من جملة من قتلهم صبراً سعيد بن جبير أحد أبرز علماء الكوفة وزهادها، ولما بلغ الحسن البصري نبأ قتله قال: والله لقد مات سعيد بن جبير يوم مات وأهل الأرض من مشرقها الى مغربها محتاجون لعلمه[٧].

وحكم جماعة من أعلام المسلمين بكفره وإلحاده، منهم سعيد بن جبير النخعي، ومجاهد، وعاصم بن أبي النجود، والشعبي وغيرهم[٨].

---

(١) مروج الذهب: ٨٦/٣

(٢) حياة الحيوان للدميري: ١٦٧/١.

(٣) تهذيب التهذيب: ٢١١/٢، تيسير الوصول: ٣١/٤، التنبيه والاشراف: ٣١٨، معجم البلدان: ٣٤٩/٥.

(٤) حياة الحيوان: ١٧٠/١، تاريخ الطبري.

(٥) طبقات ابن سعد: ٦٦/٦.

(٦) مروج الذهب: ٧٤/٣.

(٧) حياة الحيوان: ١٧١/١.

(٨) تهذيب التهذيب: ٢١١/٢.

وذلك لأنّ الحجاج قد استهان بالنبي العظيم(صلى الله عليه وآله) حتى فضّل عبدالملك ابن مروان عليه وذلك حين خاطب الله تعالى أمام الناس قائلاً: «أرسولك أفضل ـ يعني النبي ـ أم خليفتك ـ يعني عبدالملك؟»[١].

وكان ينقم ويسخر من الذين يزورون قبر النبي(صلى الله عليه وآله) ويقول: «تبّاً لهم إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية، هلّا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبدالملك، ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله؟!»[٢].

وحفل حكم هذا الخبيث بالجرائم والموبقات فقد نكّل بشيعة آل البيت(عليهم السلام) وأذاع فيهم القتل، وأشاع في بيوتهم الثكل والحزن والحداد، في الوقت الذي كان عبدالملك قد كتب اليه: «جنبني دماء بني عبدالمطلب فليس فيها شفاء من الحرب، وإني رأيت آل بني حرب قد سُلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين بن علي»[٣].

ولكن الحجاج قد تعرض للعلويين وشيعتهم فانطلقت يده في الفتك بهم وسفك دمائهم حتى أن الرجل كان أحب اليه أن يقال له زنديق من أن يقال له من شيعة علي[٤]. وقال المؤرخون: إن خير وسيلة للتقرب الى الحجاج كانت انتقاص الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) عنده فقد أقبل إليه بعض المرتزقة من أوغاد الناس وأجلافهم وهو رافع عقيرته قائلاً:

«أيها الأمير، إن أهلي عقوني فسموني علياً، وإني فقير بائس، وأنا الى صلة الأمير محتاج...». فسرّ الحجاج بذلك وقال: «للطف ما توسلت به ، فقد

(١) النزاع والتخاصم للمقريزي : ٢٧، رسائل الجاحظ : ٢٩٧.

(٢) شرح النهج : ٢٤٢/١٥.

(٣) العقد الفريد : ١٤٩/٣.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٤٣/١١ ـ ٤٤ ، تاريخ الشيعة : ٤٠.

وليتك موضع كذا»[١].

وعلىٰ أي حال فقد أصبح أتباع أهل البيت(عليهم السلام) في عهد هـذا الجـلّاد طعمة للسيوف والرماح، إذ نكّل بهم وقتلهم ولاحقهم تحت كل حجر ومدر وأودع الكثيرين منهم السجون، وأثار جوّاً من الارهاب، لم نشهد له مثيلاً حتى في أيام الطاغية زياد بن أبيه وابنه عبيد الله.

وامتُحنت الكوفة في أيام هذا الجبار كأشد ما تكون المحنة، فـقد أخـذ يقتل على الظنة والتهمة، وخطب في الكوفة خطاباً قاسياً، لم يحمد الله فيه، ولم يثن عليه، ولم يصلّ على النبي(صلى الله عليه وآله) وكان من جملة ما قال فيه:

«يا أهل العراق، يا أهل الشقاق ، والنفاق، والمراق، ومساوئ الاخلاق ان امير المؤمنين ـ يعني عبدالملك ـ فتل كنانته فعجمها عوداً عوداً، فوجدني من أمرّها عوداً، وأصعبها كسراً، فرماكم بي، وانه قلدني عليكم سوطاً وسيفاً، فسقط السوط وبقي السيف[٢] . ثم قال: إني والله لأرى أبصاراً طامحة، وأعناقاً متطاولة، ورؤوساً قد أينعت، وحان قطافها ، وإني أنا صاحبها كأني أنـظر الى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى[٣] ثم أنشد:

أنـا ابـن جـلا وطـلاع الثنايا   مـتى أضـع العـمامة تـعرفوني

ومن جرائم هذا الطاغية: انه قاد جـيشاً مكـثفاً الى مكـة لمـحاربة ابـن الزبير، وقد حاصر البيت الحرام ستة أشهر وسبع عشرة ليلة، وقد أمـر بـرمي الكعبة المشرفة فرميت من جبل أبي قبيس بالمنجنيق[٤].

---

(١) حياة الإمام الحسن بن علي: ٢/٣٣٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٣/٦٨.

(٣) مروج الذهب : ٣/٦٨.

(٤) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر : ٤/٥٠ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٨٤، تاريخ ابن كثير: ٩/٦٣.

واتخذ الحجّاج سجوناً لا تقي من حر ولا برد، وكان يعذب المساجين بأقسى ألوان العذاب، حتى قال المؤرخون: انه مات في حبسه خمسون الف رجل، وثلاثون الف امرأة منهن ستة عشر الفاً مجردات وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد[١] واحصي في محبسه ثلاث وثلاثون الف سجين لم يحبسوا في دَيْن ولا تبعة[٢] وكان يقول لأهل السجن: «**اخسأوا فيها ولا تكلمون**»[٣] تشبيهاً لهم بأهل النار، وتشبيهاً لنفسه بالخالق تعالى، عتواً وتكبراً منه.

وتلقى المسلمون نبأ وفاته بمزيد من السرور والأفراح، وكانت الشتائم تلاحقه من يوم وفاته حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

الإمام الباقر (عليه السلام) مع عبدالملك بن مروان:

أوعز عبدالملك الى عامله على يثرب باعتقال الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) وإرساله إليه مخفوراً ، وتردد عامله في اجابته ورأى أن من الحكمة اغلاق ما أمر به فأجابه بما يلي:

«ليس كتابي هذا خلافاً عليك، ولا ردّاً لأمرك، ولكن رأيت أن أراجعك في الكتاب نصيحة وشفقة عليك، فان الرجل الذي أردته ليس على وجه الأرض اليوم أعف منه، ولا أزهد ، ولا أورع منه، وأنه ليقرأ في محرابه فيجتمع الطير والسباع إليه تعجباً لصوته، وإن قراءته لتشبه مزامير آل داود، وإنه لمن أعلم الناس، وأرأف الناس، وأشد الناس اجتهاداً وعبادة، فكرهت لأمير

---

(١) حياة الحيوان للدميري : ١/١٧٠.
(٢) معجم البلدان : ٥/٣٤٩.
(٣) تهذيب التهذيب : ٢/٢١٢.

المؤمنين التعرض له، فان الله لا يغير ما بقوم، حتى يغيروا ما بأنفسهم...».

ان هذه الرسالة لما وافت عبدالملك عدل عن رأيه في اعتقال الإمام(عليه السلام) ورأى أن الصواب فيما قاله عامله[1].

الإمام الباقر(عليه السلام) وتحرير النقد الاسلامي:

قام الإمام أبو جعفر(عليه السلام) بأسمى خدمة للعالم الاسلامي، فقد حرّر النقد من التبعية للإمبراطورية الرومية، حيث كان النقد يصنع هناك ويحمل شعار الروم النّصارى، وقد جعله الإمام(عليه السلام) مستقلاً بنفسه يحمل الشعار الاسلامي، وقطع الصلة بينه وبين الروم.

أما السبب في ذلك فهو أن عبدالملك بن مروان نظر الى قرطاس قد طرز بمصر فأمر بترجمته الى العربية، فترجم له، وقد كتب عليه الشعار المسيحي الأب والابن والروح فأنكر ذلك، وكتب الى عامله على مصر عبدالعزيز بن مروان بإبطال ذلك وأن يحمل المطرزين للثياب والقراطيس وغيرها على أن يطرزوها بشعار التوحيد، ويكتبوا عليها «**شهد الله أنه لا إله إلّا هو**» وكتب الى عمّاله في جميع الآفاق بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم، ومعاقبة من وجد عنده شيء بعد هذا النهي.

وقام المطرزون بكتابة ذلك، فانتشرت في الآفاق ، وحملت الى الروم ولما علم ملك الروم بذلك انتفخت أوداجه، واستشاط غيظاً وغضباً فكتب الى عبدالملك أن عمل القراطيس بمصر، وسائر ما يطرز إنما يطرز بطراز الروم الى أن أبطلته، فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت، وإن كنت

(١) الدر النظيم : ١٨٨، ضياء العالمين الجزء الثاني في أحوال الإمام الباقر(عليه السلام).

قد أصبت فقد أخطأوا، فاختر من هاتين الحالتين أيهما شئت وأحببت، وقد بعثت إليك بهدية تشبه محلك، وأحببت أن تجعل رد ذلك الطراز الى ما كان عليه في جميع ماكان يطرز من أصناف الاعلاق حالة أشكرك عليها وتأمر بقبضة الهدية.

ولما قرأ عبدالملك الرسالة أعلم الرسول أنه لا جواب له عنده كما رد الهدية، وقفل الرسول راجعاً الى ملك الروم فأخبره الخبر، فضاعف الهدية وكتب إليه ثانياً يطلب باعادة ما نسخه من الشعار، ولما انتهى الرسول الى عبدالملك ردّه، مع هديته، وظل مصمماً على فكرته ، فمضى الرسول الى ملك الروم وعرفه بالأمر، فكتب الى عبدالملك يتهدده ويتوعده وقد جاء في رسالته:

«انك قد استخففت بجوابي وهديتي، ولم تسعفني بحاجتي فتوهمتك استقللت الهدية فأضعفتها، فجريت على سبيلك الأول وقد أضعفتها ثالثة وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز الى ماكان عليه أو لآمرن بنقش الدنانير والدراهم ، فانك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلّا ما ينقش في بلادي، ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام ، فينقش عليها شتم نبيّك، فاذا قرأته إرفضّ جبينك عرقاً، فأحب أن تقبل هديتي، وترد الطراز الى ماكان عليه، ويكون فعل ذلك هدية تودني بها، وتبقى الحال بيني وبينك...».

ولما قرأ عبدالملك كتابه ضاقت عليه الأرض، وحار كيف يصنع، وراح يقول: أحسبني أشأم مولود في الإسلام، لأني جنيت على رسول الله(صلى الله عليه وآله) من شتم هذا الكافر، وسيبقى عليَّ هذا العار الى آخر الدنيا فان النقد الذي توعدني به ملك الروم إذا طبع سوف يتناول في جميع أنحاء العالم.

وجمع عبدالملك الناس، وعرض عليهم الأمر فلم يجد عند أحد رأياً حاسماً، وأشار عليه روح بن زنباع، فقال له: إنّك لتعلم المخرج من هذا الأمر،

ولكنك تتعمد تركه، فأنكر عليه عبدالملك وقال له: ويحك! من ؟. فقال له: عليك بالباقر من أهل بيت النبي(صلى الله عليه وآله).

فأذعن عبدالملك، وصدقه على رأيه، وعرفه أنه غاب عليه الأمر، وكتب من فوره الى عامله على يثرب يأمره بإشخاص الإمام وأن يقوم برعايته والاحتفاء به، وأن يجهزه بمائة ألف درهم، وثلاثمائة ألف درهم لنفقته ، ولما انتهى الكتاب الى العامل قام بما عهد اليه، وخرج الإمام من يثرب الى دمشق فلما سار إليها استقبله عبدالملك، واحتفى به وعرض عليه الأمر فقال(عليه السلام):

«لا يعظم هذا عليك فإنه ليس بشيء من جهتين: إحداهما ان الله عزّ وجلّ لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأُخرىٰ وجود الحيلة فيه».

فقال: ماهي ؟

قال(عليه السلام): تدعو في هذه الساعة بصناع فيضربون بين يديك سككاً للدراهم والدنانير، وتجعل النقش صورة التوحيد وذكر رسول الله(صلى الله عليه وآله) احدهما في وجه الدرهم، والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنّة التي يضرب فيها، وتعمد الى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الأصناف الثلاثة الى العشرة منها وزن عشرة مثاقيل، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعاً واحداً وعشرين مثقالاً، فتجزئها من الثلاثين فيصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل الى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن عشرة ، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل... وأمره بضرب السكة على هذا اللون في جميع مناطق العالم الاسلامي، وأن يكون التعامل بها، وتلغى السكة الأُولىٰ ، ويعاقب بأشد العقوبة

سنة (٩٦ هـ) وكان عمره خمساً وأربعين سنة[١].

ثم بويع سليمان بن عبدالملك بعهد من أبيه بعد هلاك أخيه في جمادى الآخرة سنة (٩٦ هـ) فاستلم الحكم ونكّل بآل الحجاج تنكيلاً فظيعاً، وعهد بتعذيبهم الى عبدالملك بن المهلب[٢] وعزل جميع عمّال الحجاج واطلق في يوم واحد من سجنه واحداً وثمانين ألفاً، وأمرهم أن يلحقوا بأهاليهم، ووجد في السجن ثلاثين ألفاً ممن لا ذنب لهم وثلاثين ألف امرأة[٣] وكانت هذه من مآثره وألطافه على الناس.

لكنه كان مجحفاً أشد الاجحاف في جباية الخراج فقد كتب الى عامله على مصر اسامة بن زيد التنوخي رسالة جاء فيها: «احلب الدر حتى ينقطع، واحلب الدم حتى ينصرم». وقدم عليه اسامة بما جباه من الخراج، وقال له: إني ما جئتك حتى نهكت الرعية وجهدت فان رأيت أن ترفق بها وترفه عليها، وتخفف من خراجها ما تقوى به على عمارة بلادها فافعل فانه يستدرك ذلك في العام المقبل فصاح به سليمان: «هبلتك أُمك احلب الدر، فاذا انقطع فاحلب الدم»[٤].

ودلت هذه البادرة على تجرده من الرحمة والرأفة على رعيته ، فقد أمات الحركة الاقتصادية ، وأشاع الفقر والبؤس في البلاد.

وكان شديد الاعجاب بنفسه، حتى أنّه لبس يوماً أفخر ثيابه وراح يقول: أنا الملك الشاب المهاب، الكريم، الوهاب، وتمثلت أمامه إحدى

(١) تاريخ ابن الأثير: ١٣٨/٤.
(٢) المصدر السابق: ١٣٨/٤.
(٣) تاريخ ابن عساكر : ٨٠/٥.
(٤) الجهشياري: ٣٢.

جواريه فقال لها: كيف ترين أمير المؤمنين؟!!

فقالت: أراه مني النفس، وقرة العين، لولا ما قال الشاعر...

فقال لها: ما قال: ؟

قالت: إنه قال:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان

ليس فيما بدا لنا منك عيب ... عابه الناس غير أنّك فاني

فكانت هذه الأبيات كالصاعقة على رأسه، فقد تبدد جبروته وإعجابه بنفسه، ولم يمكث إلا زمناً يسيراً حتى هلك[١] وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام، وتوفى يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر سنة (٩٩ هـ)[٢].

عمر بن عبدالعزيز

ثم تقلّد الحكم الأُموي عمر بن عبدالعزيز بعهد من سليمان بن عبدالملك في يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة (٩٩ هـ)[٣] ولمس الناس في عهده القصير الأمن، والرفاه، بشكل نسبي، فقد أزال عنهم شيئاً من جور بني مروان وطغيانهم، وكان محنكاً، قد هذبته التجارب، وقد ساس المسلمين سياسة لم يألفوها ممّن قبله.

وكانت لعمر بن عبدالعزيز إنجازات عديدة ميّزته عن سائر الحكّام الأُمويين ويمكن تلخيصها فيما يلي:

(١) مروج الذهب: ١١٣/٣.

(٢) تاريخ ابن الأثير: ١٥١/٤.

(٣) نهاية الإرب: ٣٥٥/٢١.

١ ـ إدانة سب الإمام علي (عليه السلام) ولعنه: كانت الحكومة الأُموية منذ تأسيسها قد تبنت بصورة جادّة سب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وانتقاصه، فان معاوية كان يرى ان هذا السبّ هو السبب في بقاء دولتهم وسلطانهم[1]، لأن مبادئ الإمام (عليه السلام) كانت تطاردهم وتفتح أبواب النضال الشعبي ضد سياستهم القائمة على الظلم والجور والطغيان فكان لابدّ من إسقاط شخصيّته، واعتباره.

وقد أدرك عمر بن عبدالعزيز أن السياسة التي انتهجها آباؤه ضد الإمام (عليه السلام) لم تكن حكيمة ولا رشيدة، فقد جرّت للأُمويين الكثير من المصاعب والمشاكل، وألقتهم في شر عظيم، فعزم على أن يمحو هذه الخطيئة، فأصدر أوامره الحاسمة الى جميع أنحاء العالم الاسلامي بترك سبّ عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وأن يُقرأ عوض السب قوله تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذي القربى﴾**.

وقد علّل عمر نفسه السبب في تركه لما سنّه آباؤه من انتقاص الإمام بقوله: كان أبي إذا خطب فنال من علي تلجلج، فقلت: يا أبت إنك تمضي في خطبتك فاذا أتيت على ذكر علي عرفت منك تقصيراً، قال: أوفطنت لذلك؟ قلت: نعم، فقال: يا بني إن الذين حولنا لو يعلمون من عليٍّ ما نعلم تفرّقوا عنّا الى أولاده.

فلما ولي عمر الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا مثل إبطال ظاهرة سب الإمام[2].

وقد أثارت هذه المكرمة إعجاب الجميع، وأخذ الناس يتحدثون عنه

---

(١) تاريخ دمشق : ٤٧/٢، تاريخ الأُمم والملوك: ١٦٧/٥ ـ ١٦٨ .

(٢) تاريخ ابن الأثير : ١٥٤/٤، حوادث سنة ٩٩ هـ .

بأطيب الحديث ويذكرون شجاعته النادرة في مخالفته لسلفه الطغاة البغاة.

٢ ـ صلته للعلويين: جهدت الحكومة الأُموية منذ تأسيسها على حرمان أهل البيت عليهم السلام من حقوقهم وإشاعة الفاقة في بيوتهم، حتى عانوا الفقر والحرمان، ولكن لما ولي الحكم عمر بن عبدالعزيز أجزل لهم العطاء فقد كتب الى عامله على يثرب أن يقسم فيهم عشرة آلاف دينار، فأجابه عامله: ان علياً قد ولد له في عدة قبائل من قريش، ففي أي ولده ؟ فكتب اليه: إذا أتاك كتابي هذا، فاقسم في ولد علي من فاطمة رضوان الله عليهم عشرة آلاف دينار، فطالما تخطّتهم حقوقه»[1] . وكانت هذه أول صلة تصلهم أيام الحكم الأُموي.

٣ ـ رد فدك: رد عمر فدكاً الى العلويين بعد أن صودرت منهم، واخذت تتعاقب عليها الأيدي، وتتناهب الرجال وارداتها، وآل النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد حرموا منها، وقد روي ردّه لها بصور متعددة منها:

ألف: إن عمر بن عبدالعزيز زار مدينة النبي (صلى الله عليه وآله) وأمر مناديه أن ينادي: من كانت له مظلمة أو ظلامة فليحضر.

فقصده الإمام أبو جعفر (عليه السلام) فقام إليه عمر تكريماً واحتفى به فقال الإمام (عليه السلام) له: «**إنما الدنيا سوق من الأسواق يبتاع فيها الناس ما ينفعهم وما يضرهم، وكم قوم ابتاعوا ما ضرّهم، فلم يصبحوا حتى أتاهم الموت فخرجوا من الدنيا ملومين لما لم يأخذوا ما ينفعهم في الآخرة، فقسم ما جمعوا لمن لم يحمدهم وصاروا الى من لا يعذرهم، فنحن والله حقيقون أن ننظر الى تلك الأعمال التي نتخوف عليهم منها، فنكف عنها، واتق الله، واجعل في نفسك اثنتين ، انظر الى ما تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك فقدمه بين يديك، وانظر الى ما تكره معك إذا قدمت على ربك فارمه وراءك، ولا ترغبن في سلعة**

---

(١) الإمام محمّد الباقر (عليه السلام): ٢/٤٧ ـ ٤٨ .

بارت على من كان قبلك، فترجو أن يجوز عنك، وافتح الأبواب، وسهل الحجاب، وانصف المظلوم، ورد الظالم، ثلاثة من كن فيه استكمل الايمان بالله من إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، ومن إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، ومن اذا قدر لم يتناول ما ليس له...»[١].

ولما سمع عمر كلام الإمام(عليه السلام) أمر بدواة وبياض، وكتب بعد البسملة: «هذا ما رد عمر بن عبدالعزيز ظلامة محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بفدك».

ب ـ إنه لما ولي الخلافة أحضر قريشاً ووجوه الناس، فقال لهم: إن فدكاً كانت بيد رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، فكان يضعها حيث أراه الله، ثم وليها أبو بكر كذلك، ثم عمر كذلك، ثم أقطعها مروان[٢] ثم انها صارت إلي، ولم تكن من مالي أعود علي، وإني أشهدكم أني قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله(صلى الله عليه وآله)[٣].

وليس في هذه الرواية أنه ردها الى العلويين ، وإنما وضعها حيث كان رسول الله(صلى الله عليه وآله) يضعها ومن المعلوم أن رسول الله أقطعها الى بضعته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء(عليها السلام) وتصرفت بها في حياة رسول الله(صلى الله عليه وآله) ولكن القوم رغبوا في مصادرتها لمصالح سياسية دعتهم الى ذلك.

ج ـ إن عمر بن عبدالعزيز لما أعلن رد فدك إلى العلويين نقم عليه بنو أُمية فقالوا له: نقمت على الشيخين ـ يعني أبا بكر وعمر ـ فعلهما وطعنت عليهما، ونسبتهما الى الظلم ، فقال: قد صح عندي وعندكم أن فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) ادعت فدكاً، وكانت في يدها، وما كانت لتكذب على

---

(١) المناقب: ٤/٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٢) هكذا في الأصل والصحيح ثم اقطعها عثمان مروان.

(٣) تاريخ بن الأثير: ٤/١٦٤.

رسول الله(صلى الله عليه وآله) مع شهادة علي، وأُم أيمن وأُم سلمة، وفاطمة عندي صادقة فيما تدعي، وإن لم تقم البيّنة وهي سيدة نساء الجنة، فأنا اليوم أردها على ورثتها أتقرب بذلك الى رسول الله(صلى الله عليه وآله) وأرجو أن تكون فاطمة والحسن والحسين يشفعون لي يوم القيامة، ولو كنت بدل أبي بكر وادعت فاطمة(عليها السلام) كنت أصدقها على دعوتها، ثم سلمها الى الإمام الباقر(عليه السلام)[١].

الإمام محمّد الباقر(عليه السلام) وعمر بن عبدالعزيز

وكانت للإمام أبي جعفر(عليه السلام) عدة مواقف مع عمر بن عبدالعزيز:

منها: تنبؤ الإمام بخلافة عمر: وأخبر الإمام(عليه السلام) بخلافة عمر بن عبدالعزيز وذلك قبل أن تصير إليه الخلافة. قال أبو بصير: كنت مع الإمام أبي جعفر(عليه السلام) في المسجد إذ دخل عمر بن عبدالعزيز، وعليه ثوبان ممصّران متكياً على مولى له، فقال(عليه السلام): ليلينّ هذا الغلام، فيظهر العدل[٢]. إلا أنه قدح في ولايته من جهة وجود من هو أولى منه بالحكم.

ومنها: وصاياه لعمر حين الخلافة: ولما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة كرّم الإمام أبا جعفر(عليه السلام) وعظّمه وأرسل خلفه فنون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، وكان من عُبّاد أهل الكوفة ، فاستجاب له الإمام(عليه السلام) وسافر الى دمشق، فاستقبله عمر استقبالاً رائعاً، واحتفى به، وجرت بينهما أحاديث، وبقي الإمام أياماً في ضيافته ولما أراد الإمام الانصراف الى يثرب خف الى توديعه فجاء الى البلاط الأُموي وعرّف الحاجب بأمره فأخبر عمر بذلك، فخرج رسوله فنادى أين أبو جعفر ليدخل، فاشفق الإمام أن يدخل خشية أن لا يكون هو، فقفل الحاجب الى عمر وأخبره بعدم حضور الإمام، فقال له: كيف قلت؟ قال: قلت: أين

---

(١) سفينة البحار : ٢/٢٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ٤٦/٢٥١ .

أبو جعفر؟ فقال له: اخرج وقل: أين محمد بن علي؟ ففعل ذلك، فقام الإمام(عليه السلام)، ودخل عليه وحدّثه ثم قال له: إني أريد الوداع ، فقال له عمر: أوصني.

فقال(عليه السلام) : «**أُوصيك بتقوى الله، واتخذ الكبير أباً، والصغير ولداً والرجل أخاً...**».

وبهر عمر من وصية الإمام وراح يقول باعجاب: «جمعت لنا والله، ما إن أخذنا به، وأماتنا الله عليه استقام لنا الخير» .

وخرج الإمام من عنده، ولما أراد الرحيل بادره رسول عمر فقال له: إن عمر يريد أن يأتيك. فانتظره الإمام حتى أقبل فجلس بين يدي الإمام مبالغة في تكريمه وتعظيمه، ثم انصرف عنه(١).

ومنها: تقريظه لعمر: ونقلت مباحث الأُمويين الى عمر أن الإمام أبا جعفر(عليه السلام) هو بقية أهله العظماء الذين رفعوا راية الحق والعدل في الأرض، وقد أراد عمر أن يختبره فكتب اليه، فأجابه الإمام(عليه السلام) برسالة فيها موعظة ونصيحة له، فقال عمر: اخرجوا كتابه الى سليمان. فاخرج كتابه، فوجده يقرّظه، ويمدحه، فأنفذه الى عامله على المدينة، وأمره أن يعرضه عليه مع كتابه الى عمر، ويسجّل ما يقوله الإمام(عليه السلام).

وعرضه العامل على الإمام فقال(عليه السلام): **إن سليمان كان جباراً كتبت اليه ما يكتب الى الجبارين، وان صاحبك أظهر أمراً، وكتبت اليه بما شاكله.**

وكتب العامل هذه الكلمات الى عمر فلما قرأها أظهر إعجابه بالإمام(عليه السلام)، وراح يقول: «إنّ أهل هذا البيت لا يخلّيهم الله من فضل...»(٢).

ووجهت لعمر بن عبدالعزيز بعض المؤاخذات رغم جميع مآثره:

---

(١) تاريخ دمشق : ٥٤/٢٧٠ .

(٢) تاريخ اليعقوبي : ٢/٤٨.

منها: أنه أقرّ القطائع التي أقطعها من سبقه من أهل بيته، وهي من دون شك كانت بغير وجه مشروع.

ومنها: أن عمّاله وولاته على الأقطار والأقاليم الاسلامية قد جهدوا في ظلم الناس وابتزاز أموالهم.

حتّى أنّ عمر كان يخطب على المنبر فانبرى إليه رجل فقطع عليه خطابه، وقال له:

إن الذين بعثت في أقطارها نبذوا كتابك واستحل المحرم
طلس الثياب على منابر أرضنا كل يجور وكلهم يتظلم
وأردت أن يلي الأمانة منهم عدل وهيهات الأمين المسلم[1]

ومنها: أنه أقر العطاء الذي كان للأشراف، فلم يغيره في حين أنه كان يتنافى مع المبادئ الإسلامية التي ألزمت بالمساواة بين المسلمين، وألغت التمايز بينهم.

ومنها: أنه زاد في عطاء أهل الشام عشرة دنانير، ولم يفعل مثل ذلك في أهل العراق[2]. ولا وجه لهذا التمييز الذي يتصادم مع روح الإسلام.

وألمت الأمراض بعمر بن عبدالعزيز ، وقالوا: إنه امتنع من التداوي فقيل له: لو تداويت؟ فقال: لوكان دوائي في مسح أذني ما مسحتها، نعم المذهوب اليه ربي[3].

وتنص بعض المصادر على أ نّه سقي السم من قبل الأُمويين لأنهم علموا أنه إن امتدت أيامه فسوف يخرج الأمر منهم، ولا يعهد بالخلافة إلا لمن

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر : ٣٥٠/١.
(٢) تاريخ اليعقوبي : ٤٨/٢.
(٣) تاريخ ابن الأثير : ١٦١/٤.

يصلح لها فعاجلوه[١]. وتوفي في دير سمعان في شهر رجب[٢] سنة (١٠١ هـ).

يزيد بن عبدالملك

واستولىٰ يزيد بن عبدالملك على الحكم بعهد من أخيه سليمان، وأقام أربعين يوماً يسير بين الناس بسياسة عمر بن عبدالعزيز ، فشق ذلك على بني أُمية، فأتوه بأربعين شيخاً فشهدوا بأنه ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب[٣]. فعدل عن سياسة عمر، وساس الناس سياسة عنف وجبروت، وعمد الى عزل جميع ولاة عمر، وكتب مرسوماً الى عماله جاء فيه:

«أما بعد فإنّ عمر بن عبدالعزيز كان مغروراً ، فدعوا ماكنتم تعرفون من عهده، وأعيدوا الناس الى طبقتهم الأُولىٰ، أخصبوا أم أجدبوا، أحبوا أم كرهوا، حيوا أم ماتوا...»[٤].

وعاد الظلم على الناس بأبشع صوره وألوانه، وانتشر الجور، وعم الطغيان جميع أنحاء البلاد.

لقد كان يزيد بن عبدالملك جاهلاً، حقوداً على أهل العلم، حتى أنّه كان يحتقر العلماء، ويسمي الحسن البصري بالشيخ الجاهل[٥] كما كان مسرفاً في اللهو والمجون حتى هام بحب حبابة، وقد ثمل يوماً، فقال: دعوني أطير، فقالت حبابة: على من تدع الأُمة؟ قال: عليك. وخرجت معه الى الأردن يتنزهان فرماها بحبة عنب فدخلت حلقها فشرقت، ومرضت، وماتت فتركها

(١) الانافة في مآثر الخلافة : ١٤٢/١.

(٢) تاريخ ابن الأثير: ٤ / ١٦١.

(٣) المصدر السابق : ٢٣٢/٩.

(٤) العقد الفريد : ١٨٠/٣.

(٥) الطبقات الكبرى : ٩٥/٥.

ثلاثة أيام لم يدفنها حتى أنتنت، وهو يشمها، ويقبلها، وينظر إليها ويبكي، فكلم في أمرها حتى أذن في دفنها، وعاد الى مقره كئيباً حزيناً[١].

وله أخبار كثيرة مخزية في الدعارة واللهو أعرضنا عن ذكرها، وهلك سنة (١٠٥ هـ).

هشام بن عبدالملك

استولى هشام بن عبدالملك على الحكم في اليوم الذي هلك فيه أخوه يزيد لخمس بقين من شوال وهو المعروف بأحول بني أُمية وكان حقوداً على ذوي الاحساب العريقة، ومبغضاً لكل شريف.

ومن مظاهر بخله انه كان يقول: ضع الدرهم على الدرهم يكون مالاً[٢] وقد جمع من المال ما لم يجمعه خليفة قبله[٣].

وقال : ما ندمت على شيء ندامتي على ما أهب، إن الخلافة تحتاج الى الأموال كاحتياج المريض الى الدواء[٤].

ودخل الى بستان له فيها فاكهة فجعل أصحابه يأكلون من ثمرها، فأوعز الى غلامه بقلع الأشجار وزراعة الزيتون لئلا يأكل منه أحد[٥].

ووصفه اليعقوبي بأنه بخيل فظ ظلوم شديد القسوة، وهو الذي قتل زيد ابن علي، وتعرض الإمام أبو جعفر (عليه السلام) في عهده الى ضروب من المحن والآلام والتي كان من بينها ما يلي:

---

(١) الكامل في التاريخ: ١٢١/٥.
(٢) البخلاء : ١٥٠.
(٣) اخبار الدول : ٢٠٠/٢.
(٤) انساب الأشراف : ٣٩٩/٨ طبعة دار الفكر المحققة ١٤١٧ هـ.
(٥) البخلاء: ١٥٠.

حمل الإمام الباقر(عليه السلام) الى دمشق واعتقاله:

لقد أمر الطاغية هشام عاملَه على المدينة بحمل الإمام الى دمشق وقد روى المؤرخون في ذلك روايتين:

الرواية الأُولى: ان الإمام(عليه السلام) لما انتهى الى دمشق، وعلم هشام بقدومه أوعز الى حاشيته أن يقابلوا الإمام بمزيد من التوهين والتوبيخ عندما ينتهي حديثه معه.

ودخل الإمام(عليه السلام) على هشام فسلم على القوم ولم يسلم عليه بالخلافة، فاستشاط هشام غضباً، وأقبل على الإمام(عليه السلام) فقال له:

«يا محمد بن علي لا يزال الرجل منكم قد شق عصا المسلمين، ودعا الى نفسه، وزعم أنه الإمام سفهاً وقلة علم...».

ثمّ سكت هشام فأنبرى عملاؤه وجعلوا ينالون من الإمام ويسخرون منه. وهنا تكلّم الإمام(عليه السلام) فقال:

«أيها الناس: أين تذهبون؟ وأين يراد بكم؟ بنا هدى الله أولكم وبنا يختم آخركم، فان يكن لكم ملك معجّل، فان لنا ملكاً مؤجلاً، وليس بعد ملكنا ملك، لأنا أهل العاقبة، والعاقبة للمتقين...»[1].

وخرج الإمام بعد أن ملأ نفوسهم حزناً وأسى، ولم يستطيعوا الرد على منطقه القويّ.

وازدحم أهل الشام على الإمام(عليه السلام) وهم يقولون : هذا ابن ابي تراب، فرأى الإمام أن يهديهم الى سواء السبيل، ويعرفهم بحقيقة أهل البيت، فقام

---

(١) بحار الأنوار: ٧٥/١١.

فيهم خطيباً، فحمد الله واثنى عليه، وصلى على رسول الله ثم قال:

اجتنبوا أهل الشقاق، وذرية النفاق، وحشو النار، وحصب جهنم عن البدر الزاهر، والبحر الزاخر، والشهاب الثاقب، وشهاب المؤمنين، والصراط المستقيم، من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارها أو يلعنوا كما لعن أصحاب السبت، وكان أمر الله مفعولاً...

ثم قال بعد كلام له:

أبِصِنْوِ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ يعني الإمام أمير المؤمنين ـ تستهزئون؟ أم بيعسوب الدين تلمزون ؟ وأي سبيل بعده تسلكون؟! وأيّ حزن بعده تدفعون؟

هيهات برز ـ والله ـ بالسبق وفاز بالخصل واستولى على الغاية، وأحرز على الختار[1] فانحسرت عنه الأبصار، وخضعت دونه الرقاب، وفرع الذروة العليا، فكذب من رام من نفسه السعي، وأعياه الطلب، فأنّى لهم التناوش[2] من مكان بعيد؟!

ثم قال: فأنّى يسدّ ثلمة أخي رسول الله (صلى الله عليه وآله) اذ شفعوا، وشقيقه إذ نسبوا وندّ يده إذ قتلوا، وذي قرني كنزها إذ فتحوا، ومصلي القبلتين إذ تحرفوا، والمشهود له بالإيمان إذ كفروا، والمدعي لنبذ عهد المشركين إذ نكلوا والخليفة على المهاد ليلة الحصار إذ جزعوا، والمستودع الاسرار ساعة الوداع...»[3].

ولمّا ذاع فضل الإمام بين أهل الشام، أمر الطاغية باعتقاله وسجنه.

وحين احتف به السجناء وأخذوا يتلقون من علومه وآدابه، خشي مدير السجن من الفتنة فبادر الى هشام فأخبره بذلك فأمره بإخراجه من السجن، وإرجاعه إلى بلده[4].

الرواية الثانية: وهي التي رواها لوط بن يحيى الأسدي عن عمارة بن زيد

---

(١) الختار: الغدر.

(٢) التناوش : التناول.

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٢٠٣/٤ ـ ٢٠٤.

(٤) بحار الأنوار : ٧٥/١١.

الواقدي حيث قال: حج هشام بن عبدالملك بن مروان سنة من السنين[١]، وكان قد حج فيها الإمام محمّد بن علي الباقر وابنه الإمام جعفر الصادق(عليهما السلام) فقال جعفر أمام حشد من الناس فيهم مسلمة بن عبدالملك:

«الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبيّاً، وأكرمنا به، فنحن صفوة الله على خلقه، وخيرته من عباده، فالسعيد من تبعنا، والشقي من عادانا وخالفنا...».

وبادر مسلمة بن عبدالملك الى أخيه هشام فأخبره، بمقالة الإمام الصادق(عليه السلام) فأسرّها هشام في نفسه، ولم يتعرض للإمامين بسوء في الحجاز إلا أنه لما قفل راجعاً الى دمشق أمر عامله على يثرب بإشخاصهما إليه ولما انتهيا الى دمشق حجبهما ثلاثة أيام، ولم يسمح لهما بمقابلته استهانة بهما، وفي اليوم الرابع أذن لهما في مقابلته ، وكان مجلساً مكتظاً بالأُمويين وسائر حاشيته، وقد نصب ندماؤه برجاساً[٢] وأشياخ بني أُمية يرمونه.

يقول الإمام الصادق(عليه السلام): **«فلما دخلنا، كان أبي أمامي وأنا خلفه»** فنادى هشام:

«يا محمد ارم مع أشياخ قومك».

فقال أبي: **«قد كبرت عن الرمي، فإن رأيت أن تعفيني»**.

فصاح هشام: «وحقّ من أعزّنا بدينه، ونبيّه محمّد لا أعفيك...» .

وظن الطاغية أن الإمام سوف يخفق في رمايته فيتخذ ذلك وسيلة للحط من شأنه أمام الغوغاء من أهل الشام، وأومأ الى شيخ من بني أُمية أن يناول الإمام(عليه السلام) قوسه. فناوله، وتناول معه سهماً فوضعه في كبد القوس، ورمى به الغرض فأصاب وسطه، ثم تناول سهماً فرمى به فشق السهم الأول الى نصله.

---

(١) ذكر اليعقوبي أن هشاماً حجّ سنة ١٠٦ هجرية.

(٢) البرجاس: جاء في معجم المعرّبات الفارسية: أن (البرجاس) هدف، «شي في الهواء، معلّق على رأس رمح أو نحوه» وهو معرّب ويراد به : هدف السهم.

وتابع الإمام الرمي حتى شق تسعة أسهم بعضها في جوف بعض، ولم يحصل بعض ذلك لأعظم رام في العالم. وأخذ هشام يضطرب من الغيظ ، وورم أنفه، فلم يتمالك أن صاح:

«يا أبا جعفر أنت أرمى العرب والعجم!! وزعمت أنك قد كبرت!!» ثم ادركته الندامة على تقريظه للإمام، فأطرق برأسه الى الأرض والإمام واقف. ولما طال وقوفه غضب(عليه السلام) وبان ذلك على سحنات وجهه الشريف. وكان إذا غضب نظر الى السماء.

ولمّا بصر هشام غضب الإمام قام إليه واعتنقه، وأجلسه عن يمينه، وأقبل عليه بوجهه قائلاً: «يا محمد لا تزال العرب والعجم تسودها قريش، مادام فيها مثلك. لله درك!! مَن علّمك هذا الرمي؟ وفي كم تعلّمته؟ أيرمي جعفر مثل رميك؟...».

فقال أبو جعفر(عليه السلام) : **«إنا لنحن نتوارث الكمال».**

وثار الطاغية ، واحمرّ وجهه، وهو يتميز من الغيظ، وأطرق برأسه الى الأرض، ثم رفع رأسه، وراح يقول: «ألسنا بنو عبدمناف نسبنا ونسبكم واحد؟».

ورد عليه الإمام مزاعمه قائلاً: **«نحن كذلك، ولكن الله اختصنا من مكنون سرّه، وخالص علمه بما لم يخص به أحداً غيرنا».**

وطفق هشام قائلاً: «أليس الله بعث محمداً(صلى الله عليه وآله) من شجرة عبدمناف الى الناس كافة أبيضها وأسودها وأحمرها، فمن أين ورثتم ما ليس لغيركم؟ ورسول الله مبعوث الى الناس كافة، وذلك قول الله عزّ وجل: **﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾** ؟ فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد محمّد نبيّ، ولا أنتم أنبياء؟!»

وردّ عليه الإمام ببالغ الحجة قائلاً: من قوله تعالى لنبيّه **﴿لا تحرك به لسانك**

لتعجل به﴾ فالذي لم يحرك به لسانه لغيرنا أمره الله تعالى أن يخصنا به من دون غيرنا، فلذلك كان يناجي أخاه علياً من دون أصحابه، وأنزل الله به قرآنا في قوله: ﴿وتعيها أُذن واعية﴾ فقال رسول الله : سألت الله أن يجعلها أُذنك يا علي، فلذلك قال علي: علّمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب، خصّه به النبي من مكنون سرّه، كما خصّ الله نبيّه، وعلّمه ما لم يخص به أحداً من قومه، حتى صار إلينا فتوارثناه من دون أهلنا».

والتاع هشام من هذا الجواب، فالتفت الى الإمام ـ وهو غضبان ـ قائلاً: إنَّ علياً كان يدّعي علم الغيب والله لم يطلع على غيبه أحداً، فكيف ادّعىٰ ذلك؟ ومن أين؟

فأجابه الإمام قائلاً: **«إن الله أنزل على نبيّه كتاباً بين دفتيه فيه ما كان وما يكون الى يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ وأوحى الله الى نبيّه أن لا يبقي في عيبة سرّه، ومكنون علمه شيئاً إلّا يناجي به عليّاً، فأمره أن يؤلف القرآن من بعده، ويتولّى غسله وتحنيطه من دون قومه، وقال لأصحابه : حرام على أصحابي وقومي أن ينظروا الى عورتي غير أخي علي، فانه مني، وأنا منه، له ما لي، وعليه ما عليّ، وهو قاضي ديني، ومنجز موعدي، ثم قال لأصحابه: علي بن أبي طالب يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وعامّه إلا عند علي، ولذلك قال رسول الله : «أقضاكم علي» أي هو قاضيكم، وقال عمر بن الخطاب: لولا علي لهلك عمر، يشهد له عمر ويجحده غيره!».**

وأطرق هشام برأسه الى الأرض، ولم يجد منفذاً يسلك فيه للرد على الإمام ، فقال له: «سل حاجتك».

قال الإمام(عليه السلام): **«خلّفت أهلي وعيالي مستوحشين لخروجي».**

قال هشام: آنس الله وحشتهم برجوعك إليهم، فلا تقم وسر من يومك»[١].

وهذه الرواية لم تشر الى ما جرى على الإمام من الاعتقال في دمشق، ولكنها تشير الى خروج الإمام من المدينة في حالة غير طبيعية بحيث استوحش أهله من خروجه.

الإمام الباقر(عليه السلام) مع قسّيس نصراني

والتقى الإمام أبو جعفر(عليه السلام) في الشام مع قسيس من كبار علماء النصارى جرت بينهما مناظرة اعترف القسيس فيها بعجزه ، وعدم استطاعته على محاججة الإمام ومناظرته.

قال أبو بصير: قال أبو جعفر(عليه السلام) : **مررت بالشام ، وأنا متوجه الى بعض خلفاء بني أُمية فاذا قوم يمرون، قلت: أين تريدون؟** قالوا: الى عالم لم نر مثله، يخبرنا بمصلحة شأننا، قال(عليه السلام) : **فتبعتهم حتى دخلوا بهواً عظيماً فيه خلق كثير، فلم ألبث أن خرج شيخ كبير متوكئ على رجلين، قد سقطت حاجباه على عينيه، وقد شدهما فلما استقرّ به المجلس نظر اليّ** وقال: منا أنت أم من الأُمة المرحومة؟

قلت: من الأُمة المرحومة. فقال: أمن علمائها أو من جهّالها؟

قلت: لست من جهّالها. فقال: أنتم الذين تزعمون أنكم تذهبون الى الجنة فتأكلون وتشربون ولا تُحْدِثون؟!!

قلت: نعم. فقال: هات على هذا برهاناً.

فقلت: نعم، الجنين يأكل في بطن أُمه من طعامها ، ويشرب من شرابها، ولا يُحْدِث. فقال: ألست زعمت أنك ليست من علمائها؟

---

(١) دلائل الإمامة : ١٠٤ ـ ١٠٦.

قلت: لست من جهّالها. فقال: أخبرني عن ساعة ليست من النهار، ولا من الليل.

فقلت: هذه ساعة من طلوع الشمس، لا نعدها من ليلنا، ولا من نهارنا وفيها تفيق المرضى.

وبهر القسيس ، وراح يقول للإمام: ألست زعمت أنك لست من علمائها؟!

فقلت: إنما قلت: لست من جهّالها. فقال : والله لأسألنك عن مسألة ترتطم فيها.

فقلت: هات ما عندك. فقال: أخبرني عن رجلين ولدا في ساعدة واحدة، وماتا في ساعة واحدة؟ عاش أحدهما مائة وخمسين سنة، وعاش الآخر خمسين سنة؟

فقلت: ذاك عزير وعزرة، ولدا في يوم واحد، ولما بلغا مبلغ الرجال مرّ عزير على حماره بقرية وهي خاوية على عروشها ، فقال: أنّىٰ يحيي الله هذه بعد موتها، وكان الله قد اصطفاه وهداه، فلمّا قال ذلك غضب الله عليه وأماته مائة عام ثم بعثه، فقيل له: كم لبثت؟ قال: يوماً أو بعض يوم. وعاش الآخر مائة وخمسين عاماً، وقبضه الله وأخاه في يوم واحد.

وصاح القسيس بأصحابه ، والله لا أُكلّمكم ، ولا ترون لي وجهاً اثني عشر شهراً[1]، حيث توهم أنهم تعمّدوا إدخال الإمام أبي جعفر(عليه السلام) عليه لإفحامه وفضحه ، فنهض الإمام أبو جعفر(عليه السلام) وأخذت أندية الشام تتحدث عن وفور فضله، وعن قدراته العلمية.

---

(١) الدر النظيم : ١٩٠، دلائل الإمامة : ١٠٦.

محاولة اغتيال الإمام الباقر(عليه السلام)

وهنا أمر الطاغية بمغادرة الإمام أبي جعفر(عليه السلام) لمدينة دمشق خوفاً من أن يفتتن الناس به، وينقلب الرأي العام ضد بني أُمية، ولكنه أوعز الى أسواق المدن والمحلات التجارية الواقعة في الطريق أن تغلق محلاتها بوجهه، ولا تبيع عليه أية بضاعة، وأراد بذلك هلاك الإمام(عليه السلام) والقضاء عليه.

وسارت قافلة الإمام(عليه السلام) وقد أضناها الجوع والعطش فاجتازت على بعض المدن فبادر أهلها الى إغلاق محلاتهم بوجه الإمام، ولما رأى الإمام ذلك صعد على جبل هناك، ورفع صوته قائلاً:

«يا أهل المدينة الظالم أهلها أنا بقية الله، يقول الله تعالى: ﴿بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين* وما أنا عليكم بحفيظ﴾.

وما أنهى الإمام هذه الكلمات حتى بادر شيخ من شيوخ المدينة فنادى أهل قريته قائلاً:

«يا قوم هذه والله دعوة شعيب ، والله لئن لن تخرجوا الى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذنّ من فوقكم، ومن تحت أرجلكم فصدّقوني هذه المرة، وأطيعوني، وكذبوني فيما تستأنفون فاني ناصح لكم...».

وفزع أهل القرية فاستجابوا لدعوة الشيخ الذي نصحهم ، ففتحوا حوانيتهم واشترى الإمام ما يريده من المتاع[1] وفسدت مكيدة الطاغية وما دبّره للإمام(عليه السلام) وقد انتهت إليه الأنباء بفشل مؤامرته. ولم يقف عند هذا الحد فقد أخذ يطلب له الغوائل حتى دسّ اليه السم القاتل،كما سنذكر ذلك فيما بعد.

---

(١) المناقب : ٤/٦٩٠، بحار الأنوار : ١١/٧٥، راجع حياة الإمام محمد الباقر(عليه السلام) : ٢/٤٠ ـ ٦٦.

أهم ملامح عصر الإمام محمد الباقر (عليه السلام)

١ ـ في الفترة الواقعة بين سنة (٩٥ هـ ـ ٩٧ هـ) وفي بداية تصدّي الإمام محمد الباقر (عليه السلام) للامامة كان الحاكم الأُموي: الوليدُ بن عبد الملك قد بدأ باتخاذ بعض الاساليب لامتصاص النقمة الشعبية التي خلقتها السياسة الارهابية التي انتهجها السفّاك الأثيم الحجّاج بن يوسف وبعض الولاة الآخرين[١].

٢ ـ تصدّعت الجبهة الداخلية للبيت الأُموي المرواني ، ودبّ الخلاف بين الوليد وأخيه سليمان، حيث أراد الوليد خلعه ومبايعة ابنه عبد العزيز، فأبىٰ عليه سليمان، ولم يجبه للبيعة جميع الولاة باستثناء الحجّاج وقتيبة بن مسلم وبعض الخواصّ من الناس، فعزم الوليد على السير إليه ليخلعه بالقوّة فمات قبل ذلك[٢].

٣ ـ وفي بداية حكومة سليمان بن عبد الملك انشغل سليمان بمتابعة ولاة الوليد وعزلهم عن مناصبهم[٣] وحاول إصلاح بعض الاوضاع المتردّية تقرباً إلى الناس، فأطلق المعتقلين وفكّ الأسرىٰ[٤].

٤ ـ كانت الدولة محاطة بجملة من المخاطر من الداخل والخارج[٥]. فانشغل الحكّام والولاة عن ملاحقة أو محاصرة الإمام الباقر (عليه السلام) خوفاً من

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ٧ / ٣.
(٢) المصدر السابق : ٧ / ١٢.
(٣) الكامل في التاريخ: ٥ / ١١.
(٤) المنتظم: ٧ / ١٣.
(٥) الكامل في التاريخ: ٥ / ١٣ وما بعدها.

قاعدته الشعبية العريضة والمتنامية فتصدىٰ (عليه السلام) للإمامة وقام بأداء دوره الاصلاحي والتغييري في أوساط الأُمة الاسلامية، بعيداً عن المواجهة السياسية العلنية للنظام القائم.

مظاهر الانحراف في عصر الإمام الباقر(عليه السلام):

إن إقصاء أهل البيت (عليهم السلام) عن موقع القيادة وإمامة المسلمين أدّىٰ الى الانحراف في جميع مجالات الحياة، وترك تأثيره السلبي على جميع مقومات الشخصية، في الفكر والعاطفة والسلوك، فعمّ الانحراف الدولة والأُمة معاً، كما عمّ التصورات والمبادئ، والموازين والقيم، والأوضاع والتقاليد، والعلاقات والممارسات العملية جميعاً.

نعم تغلغل الانحراف في ميدان النفس، وميدان الحياة الاجتماعية، وتحوّل الإسلام الى طقوس ميتة لا تمتّ الىٰ الواقع بصلة، خلافاً لأهداف الإسلام الذي جاء من أجل تقرير المنهج الإلهي في الحياة. فانحسر عن الكثير من تلك المجالات ليصبح علاقة فرديّة بين الإنسان وخالقه فحسب.

أوّلاً: الانحراف الفكري والعقائدي

ازداد الانحراف في عهود الملوك المتعاقبين على الحكم، وكان للافكار والعقائد نصيبها الاكبر من هذا الانحراف، ولم يكترث الحكّام بهذا الانحراف بل شجّعوا عليه؛ لأنه كان يخدم مصالح الحكم القائم، ويشغل المسلمين عن همومهم الأساسية وبخاصة التفكير في مجال تغيير الاوضاع وإعادتها الى ما كانت عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام).

فكثرت في عهد الأُمويين الانحرافات الفكرية والعقائدية وتعدّدت

وتعاظمت ، وأصبح لها أتباع وأنصار، وتحولت الى تيارات وكيانات خالف الكثير منها الأُسس الواضحة للعقيدة الاسلامية، وابتدعوا ما لا يجوز من الأُمور المخالفة للقرآن الكريم وللسنة النبوية، فانتشرت أفكار الجبر والتفويض والإرجاء، كما انتشرت أفكار التجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه، وكثرت الشبهات حول ثوابت العقيدة، وكثر الحديث حول ماهية الله تعالى وذاته، وتنوّعت تيّارات الغلوّ، حتى زعم البعض حلول الذات الإلهية في قوم من الصالحين، وقالوا بالتناسخ، وانتشرت الزندقة، فجحدوا البعث والنشور، وأسقطوا الثواب والعقاب وزُوِّرت الأحاديث والروايات واختُلِق كثير منها؛ لدعم التسلط الأُموي، كما راج اختلاق الفضائل لصالح المنحرفين من الصحابة، وطرحت نظرية عدالة جميع من صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو رآه أو ولد في عهده، بينما منعوا ـ من جانب آخر ـ من نشر فضائل أهل البيت(عليهم السلام).

وكان للحكّام دور كبير في تشجيع هذا الانحراف المتمثّل في اختلاق النصوص وقد وصف الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ذلك قائلاً: **«إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها : الغلو. وثانيها : التقصير في أمرنا. وثالثها : التصريح بمثالب أعدائنا»**[١].

وانتشرت ظاهرة الإفتاء بالرأي، وراج القياس في الأحكام والتفسير بالرأي لآيات القرآن المجيد ،كما انتشرت أفكار التصوّف والاعتزال عن الحياة، وفصل الدين عن السياسة.

وأشغل الحكّام كثيراً من الناس بالجدل في المسائل العقلية التي لا فائدة فيها، وشجّعوا على اقامة مجالس المناظرة والجدل العقيم في ذات الله تعالى وفي الملائكة، وفي قدم القرآن أو حدوثه.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ١ / ٣٠٤.

وهكذا كان للحكّام دور كبير في خلق المذاهب المنحرفة والتشجيع عليها، لا سيّما بعض المذاهب التي كانت تحمل شعار الانتساب الى أهل البيت (عليهم السلام) كالكيسانية لغرض شق صفوف أتباع أهل البيت (عليهم السلام) الذين كانوا يستهدفون الواقع السياسي المنحرف.

ثانياً: الانحراف السياسي

اتّبع الحكّام الأُمويون سياسة من سبقهم في تحويل الخلافة الى ملك يتوارثه الأبناء عن الآباء دون سابقة علم أو تقوى، وتوزيع المناصب المهمّة والحسّاسة في الدولة على ابنائهم واقربائهم والمتملقين لهم، واستبدوا بالأمر فلا شورىٰ ولا استشارة إلّا مع المنحرفين والفسّاق من بطانتهم. ولشعورهم بعدم الاحقيّة بالخلافة استمروا على نهج من سبقهم في اتخاذ الارهاب والتنكيل وسيلة لتثبيت سلطانهم، فحينما وجد الوليد بن عبد الملك أنّ ولاية عمر بن عبد العزيز علىٰ مكة والمدينة قد أصبحت ملجأً للهاربين من ظلم بقية الولاة، قام بعزله[١] تنكيلاً منه بالمعارضين وارهابهم وغلق منافذ السلامة أمامهم.

وكان سليمان بن عبدالملك محاطاً بثُلّة من الرجال الذين عرفوا بفسقهم وانحرافهم وسوء سيرتهم كما وصفهم أعرابيّ عنده، بعد أن أخذ منه الأمان، فقال له: يا أمير المؤمنين، انه قد تكنّفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، وابتاعوا دنياهم بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله، ولم يخافوا الله فيك، حرب للآخرة وسلم للدنيا، فلا تأمنهم على ما يأمنك الله عليه، فإنّهم لم يأتوا إلّا ما فيه تضييع وللأُمة خسف وعسف، وأنت مسؤول عما اجترموا،

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤ / ٥٧٧.

وليسوا مسؤولين عمّا اجترمت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك[١].

واتّبع ابناء عبد الملك الوليد وسليمان سيرة أبيهم، والتزموا بوصيته في قتل الرافضين للبيعة، والتي جاء فيها: ادع الناس الىٰ البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا[٢].

وأقرّ كثير من الفقهاء سياسة الحكّام الأمويين خوفاً أو طمعاً أو استسلاماً للأمر الواقع، فقد أقرّوا ما ابتدعوا من ممارسات في تولية الحكم كالعهد الى اثنين أو أكثر، فقد عهد سليمان بالحكم الى عمر بن عبد العزيز ومن بعده ليزيد بن عبد الملك، فأقرّ كثير من الفقهاء ذلك، حتىٰ أصبحت نظرية من نظريات تولّي الحكم[٣].

وحينما تولّىٰ عمر بن عبد العزيز الحكم حدث انفراج نسبي في السياسة الأُموية، كما لاحظنا، وقام ببعض الاصلاحات ومنح الحرية النسبية للمعارضين، وألغىٰ بدعة سبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وردّ الى أهل البيت (عليهم السلام) بعض حقوقهم، واعترف بالممارسات الخاطئة لأسلافه من الحكّام، حتى امتدحه الإمام الباقر (عليه السلام) على ذلك[٤].

ولكن حكمه لم يدم طويلاً ؛ إذ عاد الوضع الى ماكان عليه.

وامتازت هذه المرحلة بسرعة تبدّل الحكّام، فقد حكم سليمان ثلاث سنين، وحكم عمر بن عبد العزيز ثلاث سنين أو أقل، وحكم يزيد بن عبد الملك أربع سنين، وكان كل حاكم ينشغل بالإجهاز على ولاة من سبقه، وكثرت الاختلافات في داخل البيت الأُموي تنافساً على الحكم، كما كثرت

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣ / ١٧٨.

(٢) البداية والنهاية: ٩ / ١٦١.

(٣) الاحكام السلطانية: ١٣، الماوردي.

(٤) الكامل في التاريخ: ٥ / ٦٢.

الفتن الداخلية في عهدهم، حتى قام قتيبة بن مسلم بخلع سليمان والاستقلال في خراسان[١].

وقام يزيد بن المهلب في سنة (١٠١ هـ) بخلع يزيد بن عبد الملك وجهّز اليه يزيد من قتله وقتل أتباعه.

وأحاط يزيد نفسه بالمتملّقين الذين يبررون له انحرافاته حتى افتوا له انه ليس على الخلفاء حساب [٢].

وهكذا كانت الأُمة الاسلامية محاطة بالمخاطر من كل جانب، ففي سنة (١٠٤ هـ) ظفر الخزر بالمسلمين وانتصروا عليهم في بعض الثغور.

وفي عهد هشام بن عبد الملك ازداد الارهاب والتنكيل بأهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم وسائر المعارضين، حتى اجترأ هشام بن عبدالملك على سجن الإمام الباقر (عليه السلام) وأقدم على اغتياله[٣]. وأصدر أوامره بقتل بعض أتباع الإمام الباقر (عليه السلام) إلّا أنّ الإمام استطاع أن ينقذهم من القتل[٤].

والتجأ الكثير الىٰ العمل السرّي للإطاحة بالحكم الأُموي، فكان العباسيون يعدّون العدّة ويبثون دعاتهم في الاقاليم البعيدة عن مركز الحكومة وخصوصاً في خراسان، وأخذ زيد ابن الإمام زين العابدين (عليه السلام) يعدّ العدّة للثورة على الأُمويين في وقتها المناسب، لأنّ الأُمويين كانوا قد أحصوا انفاس الناس عليهم لكي لا يتطرقوا إلى انحرافاتهم السياسية أو يعلنوا عن معارضتهم لها.

(١) تاريخ ابن خلدون: ٥ / ١٥١.

(٢) البداية والنهاية: ٩ / ٢٣٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٢٠٦.

(٤) بحار الانوار: ٤٦ / ٢٨٣.

ثالثاً: الانحراف الاخلاقي

لقد حوّل الأُمويون الانظار الى الغزوات، وحشّدوا جميع الطاقات البشريّة والماديّة باتجاه الغزوات؛ وذلك من أجل إشغال المسلمين عن التحدّث حول الاوضاع المنحرفة، وعن التفكير في العمل السياسي أو الثوري لاستبدال نظام الحكم بغيره، ولم يكن هدفهم نشر مفاهيم وقيم الإسلام كما يتصوّر البعض ذلك، لأنّهم كانوا قد خالفوا هذه المفاهيم والقيم في سياستهم الداخلية، وداسوا كثيراً من المقدسات الاسلامية، وشجّعوا على الانحرافات الفكرية.

وأدّىٰ توسّع عمليات الفتح والغزو الى خلق الاضطرابات في المجتمع الإسلامي وتشتيت الأُسر بغياب المعيل أو فقدانه،كما كثرت الجواري والغلمان ممّا أدّىٰ الى التشجيع على الانحراف باقتناء الأثرياء للجواري المغنّيات وتملك المخنثين، وانتقل الانحراف من البلاط الى الأُمّة تبعاً لانحراف الحكّام وفسقهم، فقد انشغلوا باللهو والانسياق وراء الشهوات دون حدود أو قيود حتى كثر الغزل والتشبيب بالنساء في عهد الوليد بن عبد الملك بشكل خاص[١].

وكانت همّة سليمان بن عبد الملك في النساء، وانعكس ذلك على المجتمع حتى كان الرجل يلقىٰ صاحبه فيقول له: كم تزوجت ؟ وماذا عندك من السراري ؟[٢].

وقد وصف أبو حازم الاعرج الوضع الاجتماعي والاخلاقي مجيباً سليمان بن عبد الملك علىٰ سؤاله: ما لنا نكره الموت؟ بقوله: لأنكم عمّرتم

---

(١) الاغاني: ٦ / ٢١٩.

(٢) البداية والنهاية: ٩ / ١٦٥.

دنياكم وأخربتم آخرتكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب[١].

وكان سليمان يسابق بين المغنيين ويمنح السابقين الجوائز الثمينة[٢]، ويجزل العطاء للمغنيات. كما ازداد عدد المخنثين في عهده[٣].

وأقبل يزيد بن عبد الملك على شرب الخمر واللهو[٤]، ولم يتب من الشراب الّا اسبوعاً حتى عاد اليه بتأثير من جاريته حبّابة[٥].

وكان يقول: ما يقرّ عيني ما أوتيت من أمر الخلافة حتىٰ اشتري سلامة وحبّابة فارسل من يشتريهما له[٦].

وهكذا وصل الانحراف الى ذروته، حينما أصبح اللهو والمجون من أُولىٰ هموم حكّام الدولة.

وليس غريباً أن تنحرف الأُمة بانحراف حكامها وولاتهم وأجهزة الدولة، وبهذا الانحراف كانت تبتعد الاغلبية من الناس عن الاهداف الكبرىٰ التي حددها المنهج الاسلامي، ولا تكترث بالاحداث والمخاطر المحيطة بالوجود الاسلامي.

رابعاً : الانحراف في الميدان الاقتصادي

لقد تصرّف الحكّام بالأموال العامّة وكأنّها ملك شخصي لهم، فكانوا ينفقونها حسب رغباتهم واهوائهم، على ملذاتهم وشهواتهم وكان للجواري والمغنيين نصيب كبير في بيت المال، كما كانوا ينفقون الأموال لشراء الذمم

---

(١) مروج الذهب: ٣ / ١٧٧.

(٢) الاغاني: ١ / ٣١٧.

(٣) المصدر السابق: ٤ / ٢٧٢.

(٤) مروج الذهب : ٣ / ١٩٦.

(٥) الاغاني: ١٥ / ٢٩٥.

(٦) المصدر السابق : ٨ / ٣٤٦.

والضمائر، ويمنحونها لمن يشترك في تثبيت سلطانهم أو مدحهم والثناء عليهم، فقد مدح النابغة الشيباني يزيد بن عبد الملك فأمر له بمائة ناقة، وكساه وأجزل صلته[١].

فتنافس الشعراء فيما بينهم للحصول على مزيد من الأموال كما تنافس المغنّون لنيل الهدايا من الحكام أو ولاتهم.

وكان الحكّام يعيشون في أعلىٰ مراتب الترف والبذخ، ويبذّرون أموال المسلمين على لهوهم وشهواتهم، وعلى المقربين لهم، في وقت كان كثير من الناس يعيشون حياة الفقر والجوع والحرمان.

وازداد التمييز الطبقي حينما عُطِّل مبدأ التكافل الاجتماعي، ولم تكترث الدولة بمعاناة الناس وهمومهم ولم تتدخل في الحث على الانفاق.

وقد ضاعف الحكّام من الضرائب، فاضافوا ضرائب جديدة على الصناعات والحرف وخصوصاً في عهد هشام بن عبد الملك، الذي كان ينفق ما تجمّع لديه على الشعراء المادحين له[٢].

وقد وصف سليمان بن عبد الملك حالات الترف والمجون التي وصلوا اليها قائلاً: قد أكلنا الطيب، ولبسنا اللين، وركبنا الفاره، ولم يبق لي لذة إلّا صديق أطرح معه فيما بيني وبينه مؤنة التحفظ[٣].

وهكذا انساق الناس ـ وخصوصاً ـ أتباع الأُمويين وراء شهواتهم ورغباتهم، وانشغل الكثير في السعي للحصول على الأموال بأي وجه أمكن.

---

(١) الاغاني: ٧ / ١٠٩.

(٢) المصدر السابق: ١ / ٣٣٩.

(٣) مروج الذهب: ٣ / ٧٦.

الفصل الثالث

دور الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) في اصلاح الواقع الفاسد

على الرغم من انحراف الحكّام وأجهزتهم الادارية والسياسية عن المبادئ الثابتة التي أرسىٰ دعائمها القرآن الكريم والسنّة النبويّة؛ إلّا أنّ القاعدة الفكرية والتشريعية للدولة بقيت متبنّاةً من قبل الحاكم وأجهزته في مظاهرها العامة، وعلى ضوء ذلك فإنّ دور الإمام (عليه السلام) كان دوراً اصلاحيّاً لإعادة الحاكم وأجهزته وإعادة الأُمة إلى الاستقامة في العقيدة والشريعة، وجعل الإسلام بمفاهيمه وقيمه هو الحاكم على الأفكار والعواطف والمواقف.

وكان اسلوب الإمام (عليه السلام) الاصلاحي متفاوتاً تبعاً لتفاوت الظروف التي كانت تحيط به، وبالحكم القائم، وبالأُمة المسلمة.

لقد كان الإمام (عليه السلام) مقصد العلماء من كل بلاد العالم الاسلامي. وما زار المدينة أحد إلّا عرّج على بيته يأخذ من فضائله وعلومه، وكان يقصده كبار رجالات الفقه الاسلامي: كسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وأبي حنيفة.

وكان دوره (عليه السلام) في الاصلاح يتركّز على اتجاهين متزامنين:

الاتجاه الأول : التحرك في أوساط الأُمة وعموم الناس، بما فيهم المسلمون وأصحاب الديانات الأُخرى، فضلاً عن التحرك على الحكّام وأجهزتهم لإعادتهم الى خطّ الاستقامة أو الحدّ من انحرافاتهم

وحصرها في نطاق محدود.

الاتجاه الثاني: بناء الجماعة الصالحة لتقوم بدورها في إصلاح الأوضاع العامة للأُمة وللدولة طبقاً للأُسس والقواعد الثابتة التي أرسىٰ دعائمها أهل البيت (عليهم السلام) بما ينسجم مع القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة.

محاور الحركة الإصلاحية العامّة للإمام الباقر (عليه السلام)

أوّلاً: الاصلاح الفكري والعقائدي

من الأزمات التي خلّفتها سيرة الحكّام السابقين هي أزمة ارتباك المفاهيم وما رافقها من تقليد وسطحية في الفكر، فلم تتجلّ حقيقة التصور الاسلامي عند الكثير من المسلمين لكثرة التيارات الهدّامة ونشاطها في تحريف المفاهيم السليمة وتزييف الحقائق، فكان دور الإمام (عليه السلام) هو حمل النفوس على التمحيص لتمييز ماهو أصيل من العقيدة عمّا هو زيف، وعلى تحكيم الأفكار والمفاهيم الأصيلة في عالم الضمير وعالم السلوك على حد سواء، والاستقامة على المنهج الذي يريده الله تعالى للإنسان.

وقد مارس الإمام (عليه السلام) عدة نشاطات لإصلاح الأفكار والعقائد، نشير الى أهمّها كما يلي:

١ ـ الردّ على الافكار والعقائد الهدّامة والمذاهب المنحرفة

وجد المنحرفون لأفكارهم وعقائدهم الهدّامة أوساطاً تتقبّلها وتروّج لها ـ جهلاً أو طمعاً أو تآمراً على الإسلام الخالد ـ وفي عهد الإمام الباقر (عليه السلام) نشطت حركة الغلاة بقيادة المغيرة بن سعيد العجلي.

روى علي بن محمد النوفلي أن المغيرة استأذن على أبي جعفر (عليه السلام)

وقال له: أخبر الناس أ نّي أعلم الغيب، وأنا أطعمك العراق، فزجره الإمام (عليه السلام) زجراً شديداً وأسمعه ماكره فانصرف عنه، ثم أتىٰ أبا هاشم عبدالله بن محمد ابن الحنفية فقال له مثل ذلك، فوثب عليه، فضربه ضرباً شديداً أشرف به على الموت، فلمّا برئ أتىٰ الكوفة وكان مشعبذاً فدعا الناس الى آرائه واستغواهم فاتّبعه خلق كثير[١].

واستمرّ الإمام (عليه السلام) في محاصرة المغيرة والتحذير منه وكان يلعنه أمام الناس ويقول: « **لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا** »[٢].

ولعن (عليه السلام) بقية رؤساء الغلاة ومنهم بنان التبّان، فقال: « **لعن الله بنان التبّان، وان بناناً لعنه الله كان يكذب على أبي** »[٣].

وكان (عليه السلام) يحذّر المسلمين وخصوصاً أنصار أهل البيت (عليهم السلام) من افكار الغلو، ويرشدهم الى الاعتقاد السليم، بقوله:

« **لا تضعوا عليّاً دون ما وضعه الله، ولا ترفعوه فوق ما رفعه الله** »[٤].

وكان (عليه السلام) يخاطب أنصاره قائلاً: «**يا معشر الشيعة شيعة آل محمد كونوا النمرقة الوسطى: يرجع اليكم الغالي، ويلحق بكم التالي**»[٥].

وحذّر (عليه السلام) من المرجئة ولعنهم حين قال: «**اللهمّ العن المرجئة فإنهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة**»[٦].

وكان (عليه السلام) يحذّرمن افكارالمفوضة والمجبرة. ومن اقواله في ذلك: «إيّاك

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٨ / ١٢١.
(٢) بحار الانوار: ٢٥ / ٢٩٧.
(٣) المصدر السابق: ٢٥ / ٢٩٧.
(٤) المصدر السابق: ٢٥ / ٢٨٣.
(٥) المصدر السابق: ٦٧: ١٠١.
(٦) المصدر السابق: ٤٦ / ٢٩١.

أن تقول بالتفويض! فإنّ الله عزّ وجلّ لم يفوّض الأمر الىٰ خلقه وهناً وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً»(١).

وفي عرض هذا الردّ القاطع الصريح كان الإمام(عليه السلام) يبيّن الافكار السليمة حول التوحيد لكي تتعرف الأُمة على عقيدتها السليمة.

وكان ممّا ركّز عليه الإمام(عليه السلام) في هذا المجال بيان مقومات التوحيد ونفي التشبيه والتجسيم لله تعالى.

قال (عليه السلام) : **«يا ذا الذي كان قبل كل شيء، ثم خلق كل شيء، ثم يبقى ويفنىٰ كلّ شيء، ويا ذا الذي ليس في السموات العلىٰ ولا في الارضين السفلى، ولا فوقهنّ، ولا بينهنّ ولا تحتهنّ إله يعبد غيره»**(٢).

وفي جوابه (عليه السلام) للسائلين عن جواز القول بأنّ الله موجود، قال: **«نعم، تخرجه من الحدّين: حدّ الابطال، وحدّ التشبيه»**(٣).

وقال (عليه السلام): **«ان ربّي تبارك وتعالى كان لم يزل حيّاً بلاكيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كيف، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدع له مكاناً »**(٤).

كما ركّز الإمام الباقر(عليه السلام) على العبودية الخالصة لله ونهىٰ عن الممارسات التي تتضمّن الشرك بالله تعالى .

قال (عليه السلام): **« لو انّ عبداً عمل عملاً يطلب به وجه الله عزّ جلّ والدار الآخرة، فأدخل فيه رضىٰ أحد من الناس كان مشركاً »**(٥).

---

(١) بحار الانوار: ٥ / ٢٩٨.

(٢) المصدر السابق : ٣ / ٢٨٥.

(٣) المصدر السابق : ٣ / ٢٦٥.

(٤) المصدر السابق: ٣ / ٣٢٦.

(٥) المصدر السابق : ٦٩ / ٢٩٧.

كما دعا الى الانقطاع الكامل لله تعالى بقوله: « **لا يكون العبد عابداً لله حق عبادته؛ حتى ينقطع عن الخلق كلّه اليه** »[١].

ونهى الإمام(عليه السلام) عن التكلم في ذات الله تعالى، وذلك لأنّ الإنسان المحدود لا يحيط بغير المحدود فلا ينفعه البحث عن الذات اللامحدودة إلّا بُعداً، ومن هنا كان التكلم عن ذاته تعالى عبثاً لا جدوى وراءه، فنهىٰ (عليه السلام) عن ذلك، وحذّر منه بقوله: «**ان الناس لا يزال لهم المنطق، حتى يتكلموا في الله، فاذا سمعتم ذلك فقولوا: لا اله إلّا الله الواحد الذي ليس كمثله شيء** »[٢].

وممّا ركّز عليه الإمام الباقر(عليه السلام) الردع من اتّباع المذاهب المنحرفة والأفكار الهدّامة هو بيان عاقبة أهل الشبهات والأهواء والبدع، واستهدف الإمام(عليه السلام) من التركيز على عاقبة المنحرفين فكرياً وعقائدياً إبعاد المسلمين عن التأثر بهم، وإزالة حالة الأُنس والأُلفة بينهم وبين الأفكار والعقائد المنحرفة.

قال (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى : ﴿**هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً**﴾: **هم النصارىٰ والقسيسون والرهبان وأهل الشبهات والأهواء من أهل القبلة والحرورية وأهل البدع**[٣].

٢ ـ الحوار مع المذاهب والرموز المنحرفة

يعتبر الحوار احدىٰ الوسائل التي تقع في طريق اصلاح الناس، حيث تزعزع المناظرة الهادفة والحوار السليم الأفكار والمفاهيم المنحرفة.

---

(١) بحار الأنوار : ٦٧ / ٢١١.

(٢) المصدر السابق: ٣ / ٢٦٤.

(٣) المصدر السابق : ٢ / ٢٩٨.

من هنا قام الإمام (عليه السلام) بمحاورة بعض رؤوس المخالفين، لتأثيرهم الكبير على أتباعهم لو صلحوا واستقاموا على الحقّ. وإليك بعض مناظراته:

مع علماء النصارىٰ: حينما أخرج هشام بن عبد الملك الإمام (عليه السلام) من المدينة الى الشام كان(عليه السلام) يجلس مع أهل الشام في مجالسهم، فبينا هو جالس وعنده جماعة من الناس يسألونه، اذ نظر الى النصارىٰ يدخلون في جبل هناك، فسأل عن حالهم، فأُخبر انهم يأتون عالماً لهم في كل سنة في هذا اليوم يسألون عمّا يريدون وعمّا يكون في عامهم، وقد أدرك هذا العالم أصحاب الحوارييّن من اصحاب عيسى (عليه السلام)، فقال الإمام (عليه السلام): فهلمّ نذهب إليه؟ فذهب (عليه السلام) الى مكانهم، فقال له النصراني: اسألك أو تسألني؟ قال (عليه السلام): تسألني، فسأله عن مسائل عديدة حول الوقت، وحول أهل الجنّة، وحول عزرة وعزير، فأجابه (عليه السلام) عن كل مسألة.

فقال النصراني: يا معشر النصارىٰ ما رأيت أحداً قطّ أعلم من هذا الرجل لا تسألوني عن حرف وهذا بالشام ردّوني فردّوه الىٰ كهفه، ورجع النصارىٰ مع الإمام (عليه السلام).

وفي رواية: انّه أسلم وأسلم معه أصحابه على يد الإمام (عليه السلام)[١].

مع هشام بن عبد الملك: ناظره هشام بن عبد الملك في مسائل متنوعة تتعلق بمقامات أهل البيت (عليهم السلام) وميراثهم لعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) - وادعاء الإمام علي (عليه السلام) علم الغيب، فأجابه الإمام (عليه السلام) عن مسائله المتنوعة وناظره في اثبات مقامات أهل البيت (عليهم السلام) مستشهداً بالآيات القرآنية والاحاديث

(١) بحار الانوار: ٤٦ / ٣١٣ـ ٣١٥.

الشريفة، فلم يستطع هشام ان يردّ عليه، وناظره في مواضع أُخرى، فقال له هشام: (اعطني عهد الله وميثاقه ألّا ترفع هذا الحديث الى أحد ما حييت)، قال الإمام الصادق (عليه السلام): **فأعطاه أبي من ذلك ما أرضاه**(١).

وقد ذكرنا تفصيل المناظرتين في بحثٍ سابق فراجع(٢).

مع الحسن البصري: قال له الحسن البصري: جئت لأسألك عن أشياء من كتاب الله تعالى.

وبعد حوار قصير قال له (عليه السلام): **بلغني عنك أمر فما أدري أكذاك أنت؟ أم يُكذب عليك؟** قال الحسن: ما هو ؟

قال (عليه السلام): **زعموا أنّك تقول: إنَّ الله خلق العباد ففوّض اليهم أُمورهم.**

فسكت الحسن... ثمّ وضّح له الإمام (عليه السلام) بطلان القول بالتفويض وحذّره قائلاً: **وإيّاك أن تقول بالتفويض، فإنّ الله عز وجل لم يفوّض الأمر إلى خلقه، وهناً منه وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً**(٣).

وله (عليه السلام) مناظرات مع محمد بن المنكدر ـ من مشاهير زهاد ذلك العصر ـ ومع نافع بن الأزرق أحد رؤساء الخوارج، ومع عبد الله بن معمر الليثي، ومع قتادة بن دعامة البصري(٤) واحتجاجات لا يتحمّل شرحها هذا المختصر.

---

(١) بحار الأنوار : ٤٦ / ٣٠٨، ٣١٦.
(٢) راجع مبحث ملامح وأبعاد هامة في عصر الإمام الباقر(عليه السلام) .
(٣) الاحتجاج : ١٨٤/٢ .
(٤) أعيان الشيعة : ٦٥٣/١ .

٣ ـ إدانة فقهاء البلاط

جاء قتادة بن دعامة البصري الى الإمام (عليه السلام) وقد هيّأ له أربعين مسألة ليمتحنه بها، فقال له (عليه السلام): **أنت فقيه أهل البصرة؟** قال قتادة: نعم، فقال (عليه السلام): **«ويحك يا قتادة انّ الله عزّ وجل خلق خلقاً، فجعلهم حججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قوّام بأمره، نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه»**، فسكت قتادة طويلاً، ثم قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء، وقدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدّام أحد منهم ما اضطرب قدّامك[١].

وأدان الإمام الباقر (عليه السلام) أبا حنيفة لقوله بالقياس، وعلّق الأُستاذ محمد أبو زهرة على هذه الإدانة قائلاً: تتبيّن إمامة الباقر للعلماء، يحاسبهم على ما يبدو منهم، وكأنّه الرئيس يحاكم مرؤوسيه ليحملهم على الجادة، وهم يقبلون طائعين تلك الرئاسة[٢].

٤ ـ الدعوة الىٰ أخذ الفكر من مصادره النقيّة

لقد حذّر الإمام (عليه السلام) الناس من الوقوع في شراك الافكار والآراء والعقائد المنحرفة، وحذّر من البدع وجعلها أحد مصاديق الشرك فقال:

« أدنى الشرك أن يبتدع الرجل رأياً فيُحَبّ عليه ويبغَض »[٣].

كما حذّر من الإفتاء بالرأي فقال: **«من أفتىٰ الناس بغير علم ولا هوىٰ من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه»**[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٦ / ٣٥٧.

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية: ٦٨٩.

(٣) المحاسن: ٢٠٧.

(٤) المصدر السابق : ٢٠٥.

ومن هنا كان يدعو الناس الى اخذ العلم والفكر من منابعه النقية وهم أهل البيت المعصومون من كل زيغ وانحراف. قال(عليه السلام) لسلمة بن كهيل وللحكم بن عتيبة: «**شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا**»(١).

وكان يحذّر من مجالسة أصحاب الخصومات ويقول: «**لا تجالسوا أصحاب الخصومات، فإنهم يخوضون في آيات الله**»(٢).

كما كان يشجع على ذكر مقامات أهل البيت (عليهم السلام) وفضائلهم فإنّها من أسباب نشر الحق والفضيلة، فعن سعد الاسكاف، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): اني اجلس فأقصّ، واذكر حقكم وفضلكم. فقال (عليه السلام): « **وددت انّ على كل ثلاثين ذراعاً قاصّاً مثلك** »(٣).

٥ ـ نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام)

لقد فتح الإمام (عليه السلام) أبواب مدرسته العلمية لعامة أبناء الأُمة الإسلامية، حتى وفد اليها طلاب العلم من مختلف البقاع الإسلامية، وأخذ عنه العلم عدد كبير من المسلمين بشتىٰ اتّجاهاتهم وميولهم ، منهم: عطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، والزهري، وربيعة الرأي، وابن جريج، والاوزاعي، وبسام الصيرفي(٤)، وأبو حنيفة وغيرهم(٥).

وفي ذلك قال عبد الله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً

---

(١) الكافي: ١ / ٣٩٩.
(٢) كشف الغمة: ٢ / ١٢٠.
(٣) رجال الكشي: ٢١٥.
(٤) سير أعلام النبلاء: ٤ / ٤٠١.
(٥) تاريخ المذاهب الإسلامية: ٣٦١.

منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه متعلم[١].

وكانت أحاديثه مسندة عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، كما كان يرسل الحديث ولا يسنده. وحينما سئل عن ذلك، قال: **إذا حدّثت بالحديث فلم اسنده، فسندي فيه أبي زين العابدين عن أبيه الحسين الشهيد عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل عن الله عزّ وجلّ**[٢].

ثانياً : تأسيس المدرسة الفقهية النموذجية[٣]

لقد جهد الإمام الباقر وولده الصادق (عليهما السلام) على نشر الفقه الاسلامي وتبنّيا نشره بصورة إيجابية في وقت كان المجتمع الاسلامي غارقاً في الأحداث والاضطرابات السياسية، حيث أهملت الحكومات في تلك العصور الشؤون الدينية إهمالاً تاماً، حتى لم تعد الشعوب الاسلامية تفقه من أمور دينها القليل ولا الكثير، يقول الدكتور علي حسن: «وقد أدى تتبعنا للنصوص التأريخية إلى امثلة كثيرة تدل على هذه الظاهرة ـ أي اهمال الشؤون الدينية ـ التي كانت تسود القرن الأول سواء لدى الحكام أو العلماء أو الشعب، ونعني بها عدم المعرفة بشؤون الدين، والتأرجح وعدم الجزم والقطع فيها حتى في العبادات، فمن ذلك ما روي أن ابن عباس خطب في آخر شهر رمضان على منبر البصرة فقال: اخرجوا صدقة صومكم فكان الناس لم يعلموا، فقال: من ها هنا من أهل المدينة؟ فقوموا إلى إخوانكم فعلموهم، فإنهم لا يعلمون فرض رسول الله(صلى الله عليه وآله)[٤] .

---

(١) مختصر تاريخ دمشق: ٢٣ / ٧٩.

(٢) اعلام الورى: ٢٩٤.

(٣) راجع حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ، باقر شريف القرشي ١/٢١٥ ـ ٢٢٦.

(٤) الاحكام في أصول الاحكام لابن حزم: ٢ / ١٣١.

فأهل البلاد الاسلامية لم يعرفوا شؤون دينهم معرفة كافية، وقد كان يوجد في بلاد الشام من لا يعرف عدد الصلوات المفروضة، حتى راحوا يسألون الصحابة عن ذلك[١].

إن الدور المشرق الذي قام به الإمام الباقر والصادق (عليهما السلام) في نشر الفقه وبيان أحكام شريعة الله كان من اعظم الخدمات التي قدّماها للعالم الاسلامي.

وسعىٰ إلى الأخذ من علومهما أبناء الصحابة والتابعون، ورؤساء المذاهب الاسلامية كأبي حنيفة ومالك وغيرهما، وتخرج على يد الإمام أبي جعفر (عليه السلام) جمهرة كبيرة من الفقهاء كزرارة بن اعين، ومحمد بن مسلم وابان ابن تغلب، وإليهم يرجع الفضل في تدوين أحاديث الإمام (عليه السلام) وقد أصبحوا من مراجع الفتيا بين المسلمين، وبذلك أعاد الإمام أبو جعفر (عليه السلام) للإسلام نضارته وحافظ على ثرواته الدينية من الضياع والضمور.

ومن الجدير بالذكر أن الشيعة هم أول من سبق إلى تدوين الفقه . فقد قال مصطفى عبد الرازق: «ومن المعقول أن يكون النزوع إلى تدوين الفقه كان أسرع إلى الشيعة لأن اعتقادهم العصمة في أئمتهم أو ما يشبه العصمة كان حرياً إلى تدوين أقضيتهم وفتاواهم»[٢].

وبذلك فقد ساهمت الشيعة في بناء الصرح الاسلامي، وحافظت على أهم ثرواته... ولابد لنا من وقفة قصيرة للنظر في فقه أهل البيت (عليهم السلام) الذي هو مستمد من الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله).

---

(١) سنن النسائي: ١ / ٤٢.

(٢) تمهيد لتأريخ الفلسفة الاسلامية: ص٢٠٢.

مميّزات مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الفقهيّة

١ ـ الاتصال بالنبي (صلى الله عليه وآله) : والشيء المهم في فقه أهل البيت (عليهم السلام) هو أنه يتصل اتصالاً مباشراً بالنبي (صلى الله عليه وآله) فطريقه إليه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وجعلهم النبي (صلى الله عليه وآله) سفن النجاة، وأمن العباد، وعدلاء الذكر الحكيم حسبما تواترت الاخبار بذلك.

قال(عليه السلام): «**لو إننا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من قبلنا، ولكنا حدثنا ببينة من ربنا بينها لنبيه(صلى الله عليه وآله) فبينها لنا**»[1].

٢ ـ المرونة : إن فقه أهل البيت يساير الحياة، ويواكب التطور، ولا يشذ عن الفطرة ويتمشى مع جميع متطلبات الحياة، فليس فيه ـ والحمد لله ـ حرج ولا ضيق، ولا ضرر، ولا إضرار، وإنما فيه الصالح العام، والتوازن في جميع مناحي تشريعاته، وقد نال اعجاب جميع رجال القانون، واعترفوا بأنه من أثرى ما قنن في عالم التشريع عمقاً وأصالة وإبداعاً.

٣ ـ فتح باب الاجتهاد : إنّ من أهم ما تميز به فقه أهل البيت (عليهم السلام) هو فتح باب الاجتهاد، فقد دلّ ذلك على حيوية فقه أهل البيت، وتفاعله مع الحياة واستمراره في العطاء لجميع شؤون الانسان، وإنه لا يقف مكتوفاً أمام الاحداث المستجدة التي يبتلى بها الناس خصوصاً في هذا العصر الذي برزت فيه كثير من الأحداث واستحدثت فيه كثير من الموضوعات، وقد أدرك كبار علماء المسلمين من الأزهر مدى الحاجة الملحّة إلى فتح باب الاجتهاد، ومتابعة الشيعة الإمامية في هذه الناحية.

---

(١) اعلام الورى: ٢٧٠.

قال السيد رشيد رضا: «ولا نعرف في ترك الاجتهاد منفعة ما، وأمّا مضارّه فكثيرة، وكلها ترجع إلى إهمال العقل، وقطع طريق العلم، والحرمان من استغلال الفكر، وقد أهمل المسلمون كل علم بترك الاجتهاد، فصاروا إلى ما نرى»[١].

٤ ـ الرجوع الى حكم العقل : انفرد فقهاء الامامية عن بقية المذاهب الاسلامية فجعلوا العقل واحداً من المصادر الأربعة لاستنباط الاحكام الشرعية، وقد أضفوا عليه أسمى ألوان التقديس فاعتبروه رسول الله الباطني، وإنه مما يُعبَد به الرحمن، ويكتَسب به الجنان. ومن الطبيعي ان الرجوع إلى حكم العقل إنّما يجوز إذا لم يكن في المسألة نص خاص أو عام وإلا فهو حاكم عليه، وإن للعقل مسرحاً كبيراً في علم الاصول الذي يتوقف عليه الاجتهاد.

ثالثاً : الاصلاح السياسي

استثمر الإمام (عليه السلام) بعض ظروف الانفراج السياسي النسبي من أجل بناء وتوسعة القاعدة الشعبية، وتسليحها بالفكر السياسي السليم المنسجم مع رؤية أهل البيت (عليهم السلام)، وتعبئة الطاقات لاتخاذ الموقف المناسب في الوقت المناسب، ولهذا لم تنطلق أي ثورة علوية في عهده، لعدم اكتمال شروطها من حيث العدة والعدد.

وكان الإمام (عليه السلام) يقدّم للأُمة المفاهيم والافكار السياسية الأساسية مع الحيطة والحذر؛ وكانت له مواقف سياسية صريحة من بعض الحكام لإعادتهم الى جادة الصواب.

وقد تجلّى دوره الاصلاحي في الممارسات التالية :

---

(١) الوحدة الاسلامية: ٩٩.

١ ـ الدعوة الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحرّران الانسان والمجتمع من الوان الانحراف في الفكر والعاطفة والسلوك، ويحوّلان المفاهيم والقيم الاسلامية الثابتة الى ممارسات سلوكية واضحة المعالم، تترجم فيها الآراء والنصوص الى مشاعر وعواطف وأعمال وحركات وعلاقات متجسدة في الواقع لكي تكون الأُمة والدولة بمستوىٰ المسؤولية في الحياة، والمسؤولية هي حمل الأمانة الإلهية وخلافة الله تعالى في الأرض.

ومن هنا جاءت تأكيدات الإمام (عليه السلام) على هذه الفريضة التي جعلها شاملة لجميع مرافق الحياة الانسانية حيث قال: «**ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلّ المكاسب، وتردّ المظالم وتعمّر الأرض، وينتصف من الاعداء ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم، والفظوا بألسنتكم ، وصكّوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم...**»[1].

وحذّر (عليه السلام) من مغبّة التخليّ عن المسؤولية، ومداهنة المنحرفين حكّاماً كانوا أم من سائر أفراد الأمة فقال: «**أوحى الله تعالى الىٰ شعيب النبي (عليه السلام) إنّي لمعذّب من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم، فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار ؟**

فأوحىٰ الله عز وجل إليه: إنهم داهنوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا لغضبي»[2].

وحث (عليه السلام) على هذه المسؤولية وبيّن آثار التخلي عنها فقال: «**الأمر**

(١) تهذيب الاحكام: ٦ / ١٨٠.

(٢) المصدر السابق: ٦ / ١٨١.

بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله عزّ وجلّ، فمن نصرهما أعزّه الله، ومن خذلهما خذله الله عز وجل»[١].

٢ ـ نشر المفاهيم السياسية السليمة

وجّه الإمام (عليه السلام) الأنظار الى دور أهل البيت (عليهم السلام) في قيادة الأُمة، وتوجيهها نحو الاستقامة والرشاد فقال: «**نحن ولاة أمر الله وخزائن علم الله، وورثة وحي الله، وحملة كتاب الله، طاعتنا فريضة، وحبّنا إيمان، وبغضنا كفر، محبّنا في الجنة، ومبغضنا في النار**»[٢].

وحذّر الأُمة من الابتعاد عن نهج أهل البيت (عليهم السلام) فقال (عليه السلام) : «**برئ الله ممن يبرأ منّا، لعن الله من لعننا، أهلك الله من عادانا**»[٣].

وحثّ (عليه السلام) على نصرتهم فقال : «**من أعاننا بلسانه علىٰ عدوّنا أنطقه الله بحجته يوم موقفه بين يديه عزّ وجلّ**»[٤].

ووضّح (عليه السلام) حدود الموالاة لهم، وبيّن المعيار لمعرفة الموالاة والموالين في حالة التباس المفاهيم واختلاط المعايير، فقال: «**أمّا محبتنا، فيخلص الحبّ لناكما يخلص الذهب بالنّار لاكدر فيه، من أراد أن يعلم حبّنا، فليمتحن قلبه فإن شاركه في حبّنا حبّ عدوِّنا، فليس منّا ولسنا منه**»[٥].

وأكّد على انّ طرق تولّي الإمام لمنصب الامامة منحصرة بالنصّ والوصية، ولا عبرة بما هو الشائع من البيعة والعهد والغلبة، ومما جاء في ذلك قوله (عليه السلام): «**كل من دان الله عزّ وجلّ بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله فسعيه غير**

(١) الخصال: ١ / ٤٢.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٢٢٣.
(٣) بحار الانوار: ٢٧ / ٢٢٢.
(٤) المصدر السابق: ٢ / ١٣٥.
(٥) المصدر السابق : ٢٧ / ٥١.

مقبول، وهو ضالّ متحيّر، والله شانئ لأعماله...»[١].

وبيّن مواصفات الإمام لكي تتمكن الأُمة من التمييز والتشخيص في خضم الاحداث التي حُرِّفت فيها المفاهيم وزُوِّرت فيها الحقائق فقال (عليه السلام) : **«ان الإمامة لا تصلح الّا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن المحارم، وحلم يملك به غضبه، وحسن الخلافة على من ولي، حتى يكون له كالوالد الرحيم»**[٢].

ورسم قاعدة كلية في أساسيات حقوق وواجبات الإمام تجاه الأُمة، لكي تدرك الأُمة مدى قرب وبعد الحكّام عن أداء مسؤوليتهم، فقال (عليه السلام): **«حقّه عليهم أن يسمعوا ويطيعوا... وحقهم عليه: يقسم بينهم بالسوية ويعدل في الرعيّة»**[٣].

وفي خضم الاحداث الصاخبة وما طرأ من تشويه وتدليس في الحقائق، بيّن (عليه السلام) المفهوم الحقيقي للتشيع، لكي لا يعطي مبرّراً للحكّام الأُمويين لتشويه سمعة أنصار أهل البيت (عليهم السلام) في المحافل المختلفة، واستغلال بعض السلبيات للطعن في مفاهيم الولاء والتولي، فقال (عليه السلام): **«فوالله ما شيعتنا الّا من اتقىٰ الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون الّا بالتواضع، والتخشع، والامانة، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبر بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة، والغارمين، والأيتام، وصدق الحديث وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس الّا من خير، وكانوا اُمناء عشائرهم في الأشياء»**[٤].

والتشيّع ليس ادعاءً بل هو ممارسة عملية محسوسة في الواقع، والشيعي هو مثال التديّن والاخلاص والطّاعة لله تعالى.

ولم يكتف الإمام الباقر(عليه السلام) ببيان المظاهر الخارجية لمن ينتسب

---

(١) الكافي: ١ / ١٨٤.

(٢) الخصال: ١ / ١١٦.

(٣) بحار الانوار: ٢٧ / ٢٤٤.

(٤) الكافي: ٢ / ٧٤.

لمدرسة أهل البيت(عليهم السلام) وإنّما تعدّى ذلك الى مجموعة من المعالم الفريدة لشيعتهم، فقال (عليه السلام): «**انّما شيعة علي (عليه السلام) الشاحبون الناحلون الذابلون، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، متغيّرة ألوانهم، مصفرّة وجوههم، إذا جنّهم الليل اتّخذوا الأرض فراشاً، واستقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم، كثيرة دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكاؤهم، يفرح الناس وهم محزونون**»[١].

٣ـ فضح الواقع الأُموي

كشف الإمام (عليه السلام) حقيقة الحكم الأُموي وكيفية وصوله الىٰ الحكم، وما مارسه من أعمال لإدامة السيطرة على رقاب المسلمين، ووضّح الجرائم التي ارتكبها سلف هؤلاء الحكّام في حق أهل البيت (عليهم السلام) وأنصارهم، فبعد أن بيّن ملابسات الخلافة، وكيفية الاستحواذ عليها وإقصاء أهل البيت (عليهم السلام) عن موقعهم فيها، قال: «**... وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن (عليه السلام) فَقُتِلَتْ شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان من يذكر بحبّنا والانقطاع الينا سُجِن أو نُهِبَ ماله، أو هُدِمَت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين (عليه السلام) ثم جاء الحجّاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنٍّ وتهمة، حتىٰ أنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحبُّ اليه من أن يقال: شيعة عليّ، وحتىٰ صار الرجل الذي يذكر بالخير ـ ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً ـ يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سَلَفَ من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولاكانت ولا وقعت وهو يحسب أنّها حقٌّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب، ولا بقلة ورع**»[٢].

---

(١) بحار الانوار: ٦٥ / ١٤٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١١ / ٤٢، ٤٤.

٤ ـ الدعوة الى مقاطعة الحكم القائم

دعا (عليه السلام) الى مقاطعة الحكم الجائر ونهىٰ عن إسناده بأي شكل من أشكال المساندة وإن كانت لا تتعلق بسياستهم، فقال (عليه السلام) ـ في معرض جوابه عن العمل معهم ـ: «**ولا مدة قلم، إنّ أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلّا أصابوا من دينه مثله**»[١].

ووضّح أساسيات التعامل مع الحكام الجائرين والفاسقين بقوله: «**لا دين لمن دان بطاعة من عصىٰ الله**»[٢].

وأكد (عليه السلام) على أن تكون العلاقة معهم علاقة التوجيه والارشاد، والقيام بأداء مسؤولية الوعظ فقال: «**من مشىٰ الى سلطان جائر، فأمره بتقوى الله، وخوّفه ووعظه كان له مثل أجر الثقلين من الجن والانس، ومثل أعمالهم**»[٣].

واستثنى (عليه السلام) المواقف التي تتخذ من أجل مصلحة الإسلام الكبرىٰ، فجوّز إسنادهم بالسلاح إن كان القتال مع أعداء الإسلام، لأنهم يدفعون بالسلاح العدو المشترك، قال (عليه السلام) لمن كان يحمل إليهم السلاح: «**إحمل إليهم، فإنّ الله يدفع بهم عدوّنا وعدوّكم ـ يعني الروم ـ وبعهم، فإذا كانت الحرب بيننا فلا تحملوا**»[٤].

وقال (عليه السلام) في حق حكّام الجور: «**ان ائمة الجور واتباعهم لمعزولون عن دين الله والحقّ، قد ضلّوا بأعمالهم التي يعملونها**»[٥].

---

(١) الكافي: ٥ / ١٠٧.

(٢) بحار الانوار: ٢ / ١٢٢.

(٣) بحار الأنوار : ٧٢ / ٣٧٥.

(٤) الكافي: ٥ / ١١٢، كتاب المعيشة، باب بيع السلاح منهم.

(٥) المحاسن: ٩٣.

٥ـ مواقفه المباشرة من الحكّام المنحرفين

انّ دور الإمام الحقيقي هو دور القدوة، ومن أهم المسؤوليات الملقاة على عاتقه إصلاح الحاكم والأُمة معاً، والقضاء على الانحراف في مهده. أو الحيلولة دون التمادي فيه، وهذا الدور تختلف أساليبه وبرامجه تبعاً للعوامل والظروف السياسية المحيطة بالامام، وتتغير المواقف تبعاً للمقومات التالية:

أ ـ المصلحة الاسلامية العامة.

ب ـ المصلحة الاسلامية الخاصة، والتي تتعلق بالحفاظ على منهج أهل البيت (عليهم السلام) ورفده بالعناصر النزيهة، لضمان استمرار حركته في الأُمة.

ت ـ الظروف العامة والخاصة من حيث قوة الحاكم، وقوة القاعدة الشعبية لأهل البيت (عليهم السلام).

وكانت التقيّة أُسلوباً يتخذه الإمام (عليه السلام) في مواقفه من الحاكم الجائر عندما لا تكون المواجهة العلنية مفيدة ومثمرة، وأوضح الإمام حدودها بقوله: **« التقية في كل ضرورة »**[١]. وقال (عليه السلام): **«إنما جعلت التقيّة ليحقن بها الدماء، فإذا بلغ الدم فلا تقيّة»**[٢].

وفي العهود التي سبقت عهد عمر بن عبد العزيز، كان الإمام (عليه السلام) يتّقي المواجهة مع الحاكم حفاظاً على كيان أهل البيت (عليهم السلام) وإبعاداً لأنصاره عن حراب الحاكم وأعوانه، ولم يتدخل (عليه السلام) في شؤون الحاكم الاّ في حدود ضيّقة، وحينما وصل الأمر الى عمر بن عبد العزيز وتبدلت الاوضاع والظروف تقرب عمر بن عبدالعزيز إلىٰ أهل البيت (عليهم السلام) وفضّلهم على بني أمية، قائلاً: أُفضّلهم لأنّي سمعت... أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقول: **«إنّما فاطمة شجنة**[٣] **منّي**

---

(١) بحار الانوار: ٧٢ / ٣٩٩.

(٢) المصدر السابق .

(٣) الشجن : القرع من كل شيء.

يسرّني ما أسرّها، ويسوؤني ما أساءها، فأنا ابتغي سرور رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأتقي مساءته»[١].

واستثمر الإمام (عليه السلام) هذه الحرية النسبيّة، فقام بدوره في اصلاح الحاكم وأجهزته وإرشاده وحثّه على الاستقامة في التعامل مع الرعيّة.

وحينما بعث اليه ان يقدم عليه، لبّىٰ (عليه السلام) الدعوة واجتمع معه، وأخذ ينصحه ويطلب منه أن يوفق بين ممارساته وبين القيم الاسلامية في مجال التعامل، وممّا جاء في نصائحه له قوله (عليه السلام): «... **فاتق الله، واجعل في قلبك اثنتين تنظر الّذي تحبّ أن يكون معك إذا قدمت على ربّك، فقدّمه بين يديك، وتنظر الذي تكرهه أن يكون معك إذا قدمت على ربّك، فابتغ به البدل، ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك، واتق الله يا عمر وافتح الأبواب وسهّل الحجاب، وانصر المظلوم وردّ المظالم**»[٢].

واستشاره عمر في بعض الأمور، وحينما أراد الرجوع الىٰ المدينة قال له عمر: فأوصني يا أبا جعفر، فقال (عليه السلام): «**أُوصيك بتقوى الله واتّخذ الكبير أباً، والصغير ولداً، والرجل أخاً**»[٣].

وفي عهد هشام بن عبد الملك كان (عليه السلام) يتحرك تبعاً لمواقف هشام من حيث اللين والشدة، فحينما دخل هشام المسجد الحرام نظر الى الإمام (عليه السلام) وقد أحدق الناس به، فقال: من هذا ؟ فقيل له: محمد بن علي بن الحسين، فقال: هذا المفتون به أهل العراق؟! فأرسل اليه، وسأله بعض الاسئلة، فأفحمه الإمام (عليه السلام) وظهر عليه أمام أتباعه[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٦ / ٣٢٠.

(٢) المصدر السابق : ٧٥ / ١٨٢.

(٣) مختصر تاريخ دمشق: ٢٣ / ٧٧.

([illegible] ق: ٢٣ / ٧٩.

ولمّا حُمل الىٰ الشام وأراد هشام أن ينتقص منه، نهض قائماً ثم قال: **«أيها الناس أين تذهبون وأين يراد بكم؟ بنا هدى الله أوّلكم، وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجّل، فإنّ لنا ملكاً مؤجلاً...»**[١].

٦ ـ موقفه من الثورة المسلحة

وقف الإمام (عليه السلام) موقف الحياد من الثورات التي قادها الخوارج، فلم يصدر منه تأييد ولا معارضة، لكي لا يستثمر قادة الثورات أو الحكّام موقف الإمام (عليه السلام) لصالحهم، ولكي تستمر روح الثورة في النفوس.

وفي عهده (عليه السلام) لم تنطلق أي ثورة علوية يقودها أحد أهل البيت (عليهم السلام) أو أحد أنصارهم، لأنّ الإمام (عليه السلام) كان مشغولاً ببناء وتوسعة القاعدة الشعبية، لكي تنطلق فيما بعد، أي بعد اكمال العدّة والعدد، وكان (عليه السلام) يوجّه الانظار الى ثورة أخيه زيد التي أخبر أنها ستنطلق في المستقبل القريب.

وكان يربط بين موقف زيد المستقبلي وبين موقفه (عليه السلام) منه فيقول: **«أمّا عبد الله فيدي التي أبطش بها، وأما عمر فبصري الذي أبصر به، وأما زيد فلساني الذي أنطق به* ...»**[٢].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٢٠٦ .

(*) عبدالله الباهر أخو الإمام الباقر(عليه السلام) ،كان من أبرز علماء المسلمين في فضله، وسموّ منزلته العلمية ، وقد روى عن أبيه علوماً شتىٰ ، وكتب الناس عنه ذلك. «غاية الاختصار ١٠٦» .

وأما عمر بن علي بن الحسين(عليه السلام) فهو أخو الإمام الباقر(عليه السلام) أيضاً كان فاضلاً جليلاً ووُلّي صدقات النبي(صلى الله عليه وآله) وصدقات أمير المؤمنين(عليه السلام) وكان ورعاً سخيّاً، ويروى عنه، قال: يشترط على من ابتاع صدقات علي(عليه السلام) أن يثلم في الحائط كذا وكذا ثلمة لا يمنع من دخله أن يأكل منه.

وكذلك زيد الشهيد فإنه ثالث إخوته ، وكان من أجلّ علماء المسلمين وقد تخصص في علوم كثيرة كعلم الفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام وغيرها، وهو الذي تبنّىٰ حقوق المظلومين والمضطهدين، وقاد سيرتهم النضالية في ثروته الخالدة التي نشرت الوعي السياسي في المجتمع الإسلامي وساهمت مساهمة إيجابية وفعّالة في الإطاحة بالحكم الأُموي.

(٢) سفينة البحار: ٢ / ٢٧٣.

وكان (عليه السلام) يحذِّر من خذلان زيد ومحاربته فيقول: **«ان أخي زيد بن علي خارج فمقتول على الحق، فالويل لمن خذله، والويل لمن حاربه، والويل لمن قاتله»**[١].

وكان (عليه السلام) هو الموجّه لحركة أخيه زيد، وكان زيد أحد المنضوين تحت لواء إمامته، وكانت حركته العسكرية ذراعاً واقعياً لأهل البيت (عليهم السلام) ليقاوموا من خلالها انحراف الحكّام بعد عجز الاساليب الاخرى عن التأثير.

وممّا يؤكد هذه التبعية قول زيد رحمه الله:

ثوىٰ باقر العلم في ملحدٍ   إمام الورى طيّب المولد

فمن لي سوىٰ جعفر بعده   إمام الورى الأوحد الأمجد[٢]

فتأجلت الثورة المسلحة الى وقتها المناسب وتفجّرت بعد أقلّ من عشر سنين من استشهاد الإمام محمد الباقر (عليه السلام).

رابعاً: الاصلاح الاخلاقي والاجتماعي

بذل الإمام (عليه السلام) عناية فائقة لاصلاح الاخلاق وتغيير الاوضاع الاجتماعية باتجاه القواعد والموازين والقيم العليا الثابتة في الشريعة الاسلامية، وكانت مهمته التركيز على اصلاح جميع الوجودات القائمة، بدءً بالمقربين منه ثم الاوساط الاجتماعية ثم المؤسسات الحكومية واتباع الحاكم.

وكان (عليه السلام) يستثمر جميع الفرص المتاحة للاصلاح والتغيير وبناء واقع جديد، ولهذا تعددت اساليبه الاصلاحية والتغييرية في المجال الاخلاقي والاجتماعي. وإليك بعض نشاطاته في هذا المجال:

١ ـ الدعوة لتطبيق السنّة النبوية

---

(١) مقتل الخوارزمي: ٢ / ١١٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٢١٣.

قام الإمام (عليه السلام) بنشر الاحاديث الشريفة النبوية المرتبطة بالجوانب الاخلاقية والاجتماعية لكي تكون هي الحاكمة على الممارسات السلوكية والعلاقات الاجتماعية، ولكي تكون نبراساً لافراد المجتمع بمختلف طبقاتهم في مسيرتهم الانسانية، تنطلق بهم نحو السمو والتكامل، والارتقاء للوصول الىٰ المقامات العالية التي وصل اليها الصالحون والاولياء.

وكان (عليه السلام) ـ من خلال نشر هذه الاحاديث النبوية ـ يشير الىٰ العوامل الاساسية في صلاح الاخلاق والاوضاع الاجتماعية، وهي صلاح الفقهاء والامراء، فقد روى (عليه السلام) قول جدّه (صلى الله عليه وآله): «**صنفان من أُمتي إذا صلحا صلحت أُمتي، واذا فسدا فسدت أُمتي ... الفقهاء والأُمراء**»[1].

ودعا (عليه السلام) الى اخلاص النصيحة والايثار في الممارسة الاصلاحية على ضوء ما جاء عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله): «**لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه**»[2].

وأكّد (عليه السلام) على دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى العفّة وتعجيل الخير بقوله: «**ان الله يحبُّ الحييَّ الحليم العفيف المتعفف**»[3]. وقوله (صلى الله عليه وآله): «**ان الله يحب من الخير ما يعجّل**»[4].

وأكّد (عليه السلام) على الاحاديث الداعية الى حسن الخلق والكف عن أعراض المؤمنين منها قوله(عليه السلام): «**والذي لا اله إلّا هو ما أُعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلّا بحسن ظنّه بالله ورجائه له، وحسن خلقه، والكف عن اغتياب المؤمنين**»[5].

---

(١) الخصال: ١ / ٢٦.

(٢) الكافي: ٢ / ٢٠٨.

(٣) المصدر السابق : ٢ / ١١٢.

(٤) المصدر السابق : ٢ / ١٤٢.

(٥) المصدر السابق : ٢ / ٧٢.

وقال (عليه السلام): **«ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السؤال»**(١).

ودعا (عليه السلام) الى ادخال السرور على المؤمن كما ورد في قول رسول الله(صلى الله عليه وآله): **« من سرَّ مؤمناً فقد سرني ومن سرني فقد سر الله »**(٢).

وحث (عليه السلام) على صلة الرحم بقوله(صلى الله عليه وآله) : **«ان أعجل الخير ثواباً صلة الرحم»**(٣).

وذكر (عليه السلام) عشرات الاحاديث الشريفة التي تدعو الىٰ مكارم الاخلاق في الصدق والايثار والتعاون والوفاء بالعهد وحسن التعامل مع المسلمين وغيرهم، اضافة الى الاحاديث الناهية عن الممارسات السلبية كالكذب والبهتان والتعيير ونقض العهد، والخيانة والاعتداء على الاعراض والنفوس.

وممّا جاء في ذلك قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): **«سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية»**(٤).

وقال (عليه السلام): **سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن خيار العباد، فقال: «الذين إذا أحسنوا استبشروا، واذا أساؤا استغفروا، وإذا أُعطوا شكروا وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا»**(٥).

ولم يكتف (عليه السلام) بنشر الاحاديث الشريفة والدعوة الى تجسيد محتواها في الواقع، وإنّما قام بأداء دور القدوة في ذلك فكان بنفسه قمة في جميع المكارم والمآثر، وقد أبرز للمسلمين من خلال سلوكه نموذجاً من أرقىٰ

---

(١) الكافي: ١ / ٦٠.

(٢) المصدر السابق : ٢ / ١٨٨ .

(٣) المصدر السابق: ٢ / ١٥٢.

(٤) المحاسن: ١٠٢.

(٥) الخصال: ١ / ٣١٧.

نماذج الخلق الاسلامي الرفيع، فكان (عليه السلام) القمة السامية في الصدق والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وفي التواضع واحترام الآخرين، والاهتمام بأُمور المسلمين، وقضاء حوائج المحتاجين، فكانت معالجته للواقع معالجة عملية من خلال سلوكه النموذجي مع مختلف أصناف الناس موالين، ومخالفين.

٢ ـ الدعوة الى مكارم الأخلاق

كشّف الإمام (عليه السلام) دعوته الى اصلاح مكارم الاخلاق لتكون هي العلامة الفارقة لتعامل المسلمين فيما بينهم، فكان (عليه السلام) يدعو الى افشاء السلام وهو مظهر من مظاهر روح الإخاء والودّ والمحبة والصفاء في العلاقات الاجتماعية حتى قال (عليه السلام): «**ان الله يحب افشاء السلام**»(١).

ودعا الى العفّة واعتبرها افضل العبادة، فقال: «**أفضل العبادة عفّة البطن والفرج**»(٢).

ودعا الى تطهير اللسان وتقييده بقيود شرعية، لإدامة العلاقات بين الناس، فقال (عليه السلام): «**قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم، فإنّ الله يبغض اللعان السبّاب الطّعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحّش، السائل الملحف، ويحبّ الحيي الحليم العفيف المتعفّف**»(٣).

ووضّح كيفية التعامل مع مختلف طبقات المجتمع فقال: «**صانع المنافق بلسانك، وأخلص مودتك للمؤمن، وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته**»(٤).

وبيّن أُسس التعامل مع مختلف الأصناف من الناس فقال: «**اربع من كنّ**

(١) تحف العقول: ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق : ٢١٧ .

(٣) المصدر السابق : ٢٢٠.

(٤) المصدر السابق: ٢١٣.

فيه بنىٰ الله له بيتاً في الجنّة، من آوىٰ اليتيم، ورحم الضعيف، وأشفق على والديه، ورفق بمملوكه»(١).

ودعا (عليه السلام) الى الارتباط بأهل التقوىٰ وتعميق أواصر العلاقات معهم لما اختصوا به من خصائص تؤثر على المصاحبين لهم تأثيراً إيجابياً لتجسيد المثل والقيم الاسلامية في الواقع، قال (عليه السلام): **«ان أهل التقوىٰ أيسر أهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعانوك، قوّالين بحق الله، قوّامين بأمر الله»**(٢).

ووضّح (عليه السلام) بعض حقوق المؤمن على المؤمن فقال: **«إنّ المؤمن أخ المؤمن لا يشتمه ولا يحرمه ولا يسيء به الظن»**(٣).

وقال (عليه السلام): **«من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه نصره الله في الدنيا والآخرة، ومن لم ينصره، ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه خفضه الله في الدنيا والآخرة»**(٤).

وحذّر من ظلم الآخرين أو الاعانة على ظلمهم فقال: **«من أعان على مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله»**(٥).

ودعا الىٰ مقابلة الاساءة والقطيعة بالاحسان والصلة فقال: **«ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة: أن تعفو عمّن ظلمك وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك»**(٦).

---

(١) الخصال: ١ / ٢٢٣.
(٢) صفة الصفوة: ٢ / ١٠٩.
(٣) تحف العقول: ٢١٦.
(٤) المحاسن : ١٠٣.
(٥) المصدر السابق .
(٦) تحف العقول: ٢١٤.

خامساً: الاصلاح الاقتصادي

لم يكن الإمام (عليه السلام) علىٰ رأس سلطة حتىٰ يستطيع اصلاح الاوضاع الاقتصادية اصلاحاً عملياً وجذرياً، ولذا اقتصر (عليه السلام) علىٰ نشر المفاهيم الاسلامية المرتبطة بالحياة الاقتصادية السليمة متمثّلة في النظام الاقتصادي الاسلامي، والتي تعصم مراعاتها الانسان والمجتمع من الانحراف الاقتصادي التي من أسبابها: الانسياق وراء اشباع الشهوات اشباعاً مخلاً بالتوازن الاقتصادي، فحدّد الإمام (عليه السلام) الاهداف المتوخاة من التصرّف بالاموال، إذ جعل الله المال وسيلة لتحقيق الهدف الذي خلق الانسان من أجله، وهو الوصول الىٰ عبادة الله تعالىٰ، وتطبيق منهجه في الحياة، قال(عليه السلام): «**نعم العون الدنيا علىٰ طلب الآخرة**»[١].

وأوضح الأهداف المشروعة التي يبتغي طلب المال من أجلها، فقال(عليه السلام): «**من طلب الرزق في الدنيا استعفافاً عن الناس، وتوسيعاً علىٰ أهله، وتعطفاً علىٰ جاره؛ لقي الله عزّوجلّ يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر**»[٢].

واستعان (عليه السلام) بالأحاديث الشريفة الواردة في ضرورة المشروعية في التصرفات الاقتصادية، فروىٰ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انّه قال: «**العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال**»[٣].

وأكّد (عليه السلام) علىٰ حرمة جملة من التصرفات المالية كالتطفيف في المكيال، إذ قال (عليه السلام): «**اُنزِل في الكيل: ﴿ويل للمطففين﴾، ولم يجعل الويل لأحد**

(١) الكافي: ٥ / ٧٣.

(٢) المصدر السابق: ٥ / ٧٨.

(٣) المصدر السابق.

حتىٰ يسميه كافراً . . . »(١).

كما دعا (عليه السلام) الى استصلاح المال وتنمية الثروة بشكل صحيح بقوله (عليه السلام): «**من المروءة استصلاح المال**»(٢).

وقدّم اشباع حاجات المسلمين وسد ثغرات حياتهم علىٰ أهم العبادات المستحبّة وهو الحج تطوعاً ، فقال (عليه السلام) : «**لأن أحجّ حجة أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة ورقبة** ـ حتىٰ انتهى الىٰ سبعين ـ ، **ولأن أعول أهل بيت من المسلمين، أشبع جوعتهم وأكسو عورتهم وأكفّ وجوههم عن الناس أحبّ اليّ من أن أحجّ حجة وحجة** ـ حتىٰ انتهى الى عشر و عشر وعشر ومثلها حتى انتهى الىٰ سبعين ـ»(٣).

ودعا (عليه السلام) الىٰ الترفّع عن الحرص والطمع حيث روىٰ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: « . . . **لن تموت نفس حتّىٰ تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حلّه ، فإنّه لا يدرك ما عند الله إلّا بطاعته** »(٤).

ووجّه الأنظار الىٰ الآثار السلبية للحرص فقال : « **مثل الحريص علىٰ الدنيا ، كمثل دودة القزّ ، كلّما ازدادت علىٰ نفسها لفّاً ؛ كان أبعد لها من الخروج حتىٰ تموت غمّاً**»(٥).

وأكّد علىٰ زوال المال ما دام الانسان مخلوقاً للآخرة ومعرّضاً للفناء فقال : « **ملك ينادي كل يوم : ابنَ آدم؛ لِدْ للموت ، واجمع للفناء ، وابن للخراب** »(٦).

---

(١) تفسير نور الثقلين : ٥ / ٥٢٧ .
(٢) الخصال : ١/ ١٠.
(٣) الكافي : ٤ / ٢ .
(٤) المصدر السابق : ٢ / ٧٤ .
(٥) المصدر السابق : ٢ / ١٣٤ .
(٦) المصدر السابق : ٢ / ١٣١ .

وكان (عليه السلام) يحثّ علىٰ القناعة لأنها إحدىٰ مقدمات السعادة الروحية ، وقد تجلّى ذلك في سلوكه وقوله (عليه السلام) : « **من قنع بما أوتي قرّت عينه** »[١].

ودعا الىٰ مراعاة القصد والوسطية وتجنّب الافراط والتفريط في الطرف والإنفاق في مختلف الظروف واعتبره من المنجيات ، فقال(عليه السلام) : « **امّا المنجيات فخوف الله في السر والعلانية ، والقصد في الغنىٰ والفقر** »[٢].

كما حدّد الإمام(عليه السلام) لكل انسان حقّه ، وحذّر من الاعتداء علىٰ أموال الآخرين لأنها تؤدي الىٰ الخلل الاقتصادي فضلاً عمّا لها من تأثيرات سلبية أُخرى علىٰ المستقبل الأُخروي للفرد والمجتمع ، نلاحظ ذلك في قوله (عليه السلام) : « **من أصاب مالاً من أربع لم يقبل منه أربع : من اصاب مالاً من غلول أو ربا أو خيانة أو سرقة ؛ لم يقبل منه في زكاة ولا صدقة ولا في حجّ ولا في عمرة** »[٣].

ومن أجل تحقيق التوازن الاقتصادي ، ورفع المستوىٰ المعاشي لعموم الناس دعا (عليه السلام) الىٰ الالتزام بالانفاق الواجب، فقال : « **ان الله تبارك وتعالىٰ قرن الزكاة بالصلاة . . . فمن أقام الصلاة ، ولم يؤت الزكاة ، فكأنه لم يقم الصلاة** »[٤].

ورویٰ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله : « **ملعون كل مالٍ لا يزكّىٰ** »[٥].

وبيّن الآثار السلبية لمنع الزكاة فقال (عليه السلام) : « **وجدنا في كتاب عليّ (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها** »[٦].

وحدّد (عليه السلام) حدود البذل بأنه الإيصال الىٰ مرتبة إغناء الفقير لإنقاذه من الفقر وآثاره السلبية ، فقال (عليه السلام) : « **اذا أعطيته فأغنه** »[٧].

---

(١) سفينة البحار : ٢ / ٤٥٢ .

(٢) الخصال : ١ / ٨٤.

(٣) أمالي الصدوق : ٣٥٩.

(٤) الكافي : ٣ / ٥٠٦ .

(٥) وسائل الشيعة : ٩ / ٢٩ .

(٦) الكافي : ٣ / ٥٠٥ .

(٧) المصدر السابق : ٣ / ٥٤٨ .

ولا يتحقق التوازن الاقتصادي ولا التكافل الاجتماعي إلّا باشتراك جميع الناس في ممارسات مكثّفة لرفع المستوىٰ الاقتصادي لجميع الفقراء والمعوزين ، من خلال القيام بالايثار والانفاق التطوعي مضافاً الى أداء الحقّ الشرعي الواجب، لذا حث (عليه السلام) علىٰ الاحسان وأداء اعمال البر والصدقة فقال: **« البرّ والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ، ويدفعان سبعين ميتة سوء »**[1].

وحث علىٰ معونة الاخوان وقضاء حوائجهم فقال(عليه السلام) : **«من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام في حاجته ؛ ابتلي بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر »**[2].

وروىٰ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انّه قال : **« داووا مرضاكم بالصدقة ... وحصنوا أموالكم بالزكاة »**[3].

وحدّد الإمام (عليه السلام) موارد الانفاق المنسجمة مع الشريعة الإسلامية ، وأثبت انحراف الأُسلوب الذي قام به الحكّام حيث قاموا بتوزيع الأموال حسب أهوائهم ورغباتهم دون التقيد بالقيود التي وضعها المنهج الاسلامي .

فقد روىٰ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله : **« خمسة لعنتُهم وكلُّ نبيّ مجاب ... وذكر منهم: المستأثر بالفيء والمستحل له »**[4].

كما حدّد (عليه السلام) موارد اعطاء الصدقات فقال : **« ان الصدقة لا تحلّ لمحترف ، ولا لذي مرّة سوي قوي ... »**[5].

وكان (عليه السلام) يقوم بانفاق ما يحصل عليه علىٰ الفقراء والمعوزين لتقتدي به الأُمة ، وتعرف انحراف الممارسات المالية التي كان يقوم بها الحكام والمخالفة للأُسس الإسلامية والقواعد الثابتة للانفاق .

---

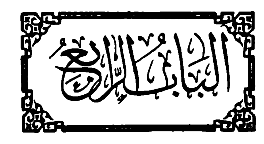
(١) الخصال : ١ / ٤٨ .

(٢) المحاسن : ٩٩ .

(٣) وسائل الشيعة : ٩ / ٢٩ .

(٤) الكافي : ٢ / ٢٩٣ .

(٥) وسائل الشيعة : ٩ / ٢٣١ .



فيه فصول :

الفصل الأوّل :

الإمام الباقر (عليه السلام) وبناء الجماعة الصالحة

الفصل الثاني :

اغتيال الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) واستشهاده

الفصل الثالث :

تراث الإمام محمّد الباقر (عليه السلام)

الفصل الأوّل

الإمام الباقر (عليه السلام) وبناء الجماعة الصالحة[1]

إن إصلاح الأوضاع الاجتماعية يتوقف علىٰ وجود جماعة صالحة تقوم بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الىٰ الإسلام والىٰ المنهج السليم الذي تبنّاه أهل البيت (عليهم السلام) استناداً الىٰ الأوامر الإلهية في تشكيل الأُمة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر .

ولهذا سعىٰ الائمة المعصومون (عليهم السلام) الىٰ بناء الجماعة الصالحة ورسم المعالم والملامح اللازمة لها لتكون الطليعة الواعية المخلصة لتبنّي مسؤولية الاصلاح والتغيير طبقاً لمنهج أهل البيت (عليهم السلام) .

وقد شرع أهل البيت(عليه السلام) في تكوين الجماعة الصالحة منذ عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله). فإنّه الى جانب تبليغه العام قام بإعداد مجموعة صالحة تهتم بالدعوة الى الله على بصيرة ووعي وأبدىٰ لهم عناية فائقة حيث خصص لهم أوقاتاً خاصة، وكلّف الإمام علياً (عليه السلام) بإعداد آخرين .

واستمرالإمام علي(عليه السلام) بعد رحيل رسول الله(صلى الله عليه وآله) بانجاز هذه المهمّة، وكرّس جهوده لتهيئة الطليعة والكوادر الرسالية. وقد أثمرت نشاطاته حينما

---

(١) اعتمدنا في هذا البحث بشكل اساسي على الكتاب القيّم الذي نشره المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) «دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة» لسماحة السيد محمد باقر الحكيم (دام عزه) واستخلصنا منه ما يناسب حياة الإمام محمد الباقر(عليه السلام) بشكل خاص من هذه الموسوعة.

عادت له السلطة، وكان لتلك الكتلة الصالحة دور كبير في إخماد الفتن الداخلية وتقرير منهج أهل البيت (عليهم السلام) في الواقع العملي.

وواصل الإمام الحسن (عليه السلام) مسيرة جده وأبيه ، حيث كان أحد بنود الهدنة مع معاوية هو إيقاف الملاحقة لأنصاره وأنصار أبيه ، وتفرّغ الإمام (عليه السلام) بعد الهدنة لتوسيع قاعدة الجماعة الصالحة لتقوم بأداء دورها في الوقت والظرف المناسب . وبالفعل قامت بالتصدي للانحراف الأُموي في عهد يزيد ، وشاركت مع الإمام الحسين (عليه السلام) في حركته المسلحة للاطاحة بالحكم الجائر .

وكان للجماعة الصالحة دور كبير في قيادة الثورات المسلحة ضد الحكم الأُموي على طول الخط، كثورة أهل المدينة ، وثورة المختار ، وثورة التوابين، التي أعقبت ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) الإصلاحية وكان لمجموعها دور كبير في إرساء دعائم منهج أهل البيت (عليهم السلام) وتعميقه وتجذيره في العقول والقلوب والممارسات السلوكية والتعجيل في زوال الحكومات الجائرة.

واستمر الإمام زين العابدين (عليه السلام) في استثمار الفرص المتاحة لتكملة البناء الذي شيّده من سبقه من الائمة الأطهار، فقد تمتع بحرية نسبية في إعداد الطليعة الرسالية في عهد عبد الملك بن مروان ، لتكون ذراعاً لحركة أهل البيت (عليهم السلام) في عهده.

واستمر الإمام الباقر (عليه السلام) في تشييد هذا الصرح ورفده بعناصر جديدة لتستمر الحركة الإصلاحية على منهج أهل البيت (عليهم السلام) وتقريره في واقع الحياة ، فقد ربّىٰ (عليه السلام) مجموعة من الفقهاء المصلحين وعلىٰ رأسهم : زرارة بن أعين ، ومعروف بن خربوذ ، وأبو بصير الأسدي ، والفضيل بن يسار ، ومحمد بن مسلم الطائفي ، وبريد بن معاوية العجلي .

وربّىٰ طبقة ثانية التي تلي المتقدمين ومنهم: حمران بن أعين ، واخوته، وعبدالله بن ميمون القدّاح ، ومحمد بن مروان الكوفي ، واسماعيل ابن الفضل الهاشمي ، وابو هارون المكفوف . . . وآخرون[١].

وتنوّعت مهمة الجماعة الصالحة ، فمنهم الفقهاء ، ومنهم قادة الثورات ، ومنهم المصلحون الذين كانوا يجوبون الأمصار لتعميق منهج أهل البيت (عليهم السلام) في القلوب والنفوس .

وفيما يلي سوف نستعرض بعض مظاهر حركة الإمام (عليه السلام) في بناء الجماعة الصالحة ، وإعدادها إعداداً شمولياً بشمول الإسلام وشمول منهج أهل البيت (عليهم السلام) لجميع مرافق الحياة الانسانية .

وقد أوضحنا أن المهمّة الأساسية للإمام الباقر(عليه السلام) بعد العقود الثلاثة من النشاط المستمر للإمام زين العابدين(عليه السلام) بهذا الاتجاه هي رسم المعالم التفصيلية للجماعة الصالحة وبيان كل ما يلزم لتكوين المجتمع الاسلامي النموذجي في وسط التيارات المنحرفة التي ملأت الساحة الإسلامية العامّة، وهي الى جانب كونها النموذج المطلوب للأُمة المسلمة الرائدة تكون الذراع الحقيقي للأئمة(عليهم السلام) لإقرار الإسلام الشامل في المجتمع الإسلامي الآخذ بالتمادي في الانحراف والانهيار؛ إذ من خلالها يكون النشاط الحقيقي للإمام الباقر(عليه السلام) في مرحلته الخاصة التي تجلّت في رسم هذه المعالم وإقرارها وتربية الأجيال عليها. وهي المهمة التي اشترك فيها أبوه الإمام زين العابدين وابنه الإمام الصادق وحفيده الإمام الكاظم(عليهم السلام).

وقد لخصّنا هذا البحث الأساسي في عشر نقاط أساسية ترتبط بالجماعة الصالحة وتوضح معالمها الرئيسة .

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٢٢٩ .

أولاً : الإمام الباقر (عليه السلام) ومقومات الجماعة الصالحة

١ ـ العقيدة السليمة

في خضم الأحداث والمواقف المتباينة والمتناقضة جراء تعدد التيارات الفكرية والعقائدية ، واضطراب عقول الكثير من المسلمين ، لابتعادهم عن إدراك أُسس العقيدة السليمة ، قام الإمام (عليه السلام) بدور كبير في بيان العقيدة السليمة للجماعة الصالحة ؛ لتقوم بدورها في اصلاح المفاهيم والافكار ، ونشر عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) في مختلف الاوساط وعلىٰ جميع المستويات .

لقد بيّن (عليه السلام) الأُسس العامة للتوحيد ، فعن حريز بن عبدالله ، وعبدالله بن مسكان قالا : قال أبو جعفر (عليه السلام) : « **لا يكون شيء في الارض ولا في السماء إلّا بهذه الخصال السبعة : بمشيّة ، وارادة ، وقضاء ، وإذن ، وكتاب ، وأجل ، فمن زعم أنه يقدر علىٰ نقض واحدة منهنَّ فقدِ كفر** »[1].

وبيّن حقيقة التوحيد تمييزاً لعقيدة أهل البيت (عليهم السلام) عن العقائد الاخرىٰ فقال(عليه السلام) : « **لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس ، معروف بالآيات ، منعوت بالعلامات ، لا يجور في قضيته ، بان من الاشياء وبانت الأشياء منه** »[2].

وبيّن حدود الوصف لله تعالىٰ فنهىٰ عن التكلم في ذات الله وما يتفرع عنه من آراء ومفاهيم ، فقال (عليه السلام) : « **تكلموا فيما دون العرش ، ولا تكلموا فيما فوق**

---

(١) المحاسن : ٢٤٤ .

(٢) مختصر تاريخ دمشق : ٢٣ / ٨١ .

العرش ، فانّ قوماً تكلموا في الله فتاهوا . . . »(١).

وبيّن (عليه السلام) معياري الايـمان والإسـلام فـقال : **« الايـمان إقـرار وعـمل ، والإسلام إقرار بلا عمل »**(٢).

وقال (عليه السلام) : **« الإيمان ماكان في القلب ، والإسلام ما عليه التناكح والتوارث وحقنت به الدماء ، والايمان يشرك الإسلام ، والإسلام لا يشرك الايمان »**(٣).

وبيّن الأصل الأساسي من أُصول العقيدة بعد أصل التوحيد وهو الولاية والإمامة المجعولة من الله تعالىٰ ؛ لأن الولي والإمام يقوم بدور الحجّة نيابة عن الله تعالىٰ، وبيّن مصير من لا يتولّىٰ من نصّبه الله تعالىٰ ، فقال : **« إنّ من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه بلا إمام عادل من الله ، فإنّ سعيه غير مقبول وهو ضالّ متحيّر ، ومثله كمثل شاة لا راعي لها ضلّت عن راعيها وقطيعها فتاهت ذاهبة وجائية يومها ، فلمّا أن جنّها الليل بصرت بقطيع غنم مع راعيها فجاءت اليها فباتت معها في ربضتها متحيّرة تطلب راعيها وقطيعها ، فبصرت بسرح قطيع غنم آخر فعمدت نحوه وحنّت اليها ، فـصاح بـها الرّاعـي الحقي بقطيعكِ فإنّكِ تائهة متحيّرة قد ضللت عن راعيك وقطيعك ، فهجمت ذعرة متحيّرة لا راعي لها يرشدها الىٰ مرعاها ويردّها ، فبينا هي كذلك اذ اغتنم الذئب ضـيعتها فأكـلها ، وهكذا يا محمّد بن مسلم من أصبح من هذه الأُمة ولا إمام له من الله عادل أصـبح تـائهاً متحيّراً ، إن مات علىٰ حاله تلك مات ميتة كفر ونفاق ، واعـلم يـا مـحمد أنّ أئـمة الحـقّ وأتباعهم علىٰ دين الله . . . »**(٤).

وبيّن حدود ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وحدود شفاعتهم فقال : « يا جابر!

---

(١) المحاسن : ٢٣٨ .

(٢) تحف العقول : ٢١٧ .

(٣) المصدر السابق : ٢١٨ .

(٤) المحاسن : ٩٢ ، ٩٣ .

فو الله ما يُتقرب الىٰ الله تبارك وتعالىٰ إلّا بالطاعة ، وما معنا براءة من النار ، ولا علىٰ الله لأحدٍ من حجّة ، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، ولا تنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع »(١).

وحذّر اتباعه من التأثر بافكار واعتقادات الغلاة لأنها مخالفة للتوحيد ، ومخالفة للمنهج العقائدي لأهل البيت (عليهم السلام) .

٢ ـ مرجعية أهل البيت (عليهم السلام)

ان المنهج الاسلامي هو منهج واقعي للحياة ، بكل ما للحياة من تشكيلات وتنظيمات وأوضاع وقيم وأخلاق وآداب وعبادات وشعائر، وهو كمنهج نظري يراد تطبيقه في الواقع بحاجة الىٰ قدوة تجسّده في الواقع كي يقتدي بها الناس ليندفعوا اشواطاً الىٰ الأمام في مسيرة التنفيذ والتطبيق ، ولهذا ركّز الإمام (عليه السلام) علىٰ القدوة الناطقة بالكتاب والسنّة وهم أهل البيت (عليهم السلام) تمييزاً عن غيرهم من الذين تنكبوا طريق الاستقامة وانحرفوا عن المنهج انطلاقاً من أهوائهم ومصالحهم التي تخدم السلاطين والحكّام وانفلاتاً من قيود العقيدة والشريعة .

فقد أكّد الإمام (عليه السلام) علىٰ الولاية باعتبارها أهم أركان الإسلام فقال: «**بني الإسلام علىٰ خمس : علىٰ الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية**»(٢)، التي أوضحها في نص آخر بأنها الولاية لأهل البيت(عليهم السلام)(٣).

وأورد الاحاديث الشريفة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي تؤكد علىٰ ولاية

---

(١) الكافي : ٢ / ٧٤.

(٢) المصدر السابق : ٢ / ١٨ .

(٣) الخصال : ١ / ٢٧٨ .

أهل البيت (عليهم السلام) ومرجعيتهم في الأُمة ، ومنها توجيه الانظار الىٰ ولاية أول الائمة أعني الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) متمثّلة بـالولاء العـاطفي له ، قـال رسول الله (صلى الله عليه وآله) . « **ما من مؤمن إلّا وقد خلص ودّي الىٰ قلبه ، وما خلص ودّي الىٰ قلب أحد إلّا وقد خلص ودّ عليّ الىٰ قلبه ، كذب يا علي من زعم أنه يحبّني ويبغضك** »[1].

وفسرّ الآيات النازلة في حق أهل البيت (عليهم السلام) وبيّن مـؤدّاهـا بشكـل دقيق وهو مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) في جميع شؤون الحياة فكرية وعاطفية وسلوكية .

ففي قوله تعالى:

﴿ **فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** ﴾[2] ، قال (عليه السلام) : **نحن أهل الذكر** .

وفي قوله تعالى: ﴿ **لتكونوا شهداء علىٰ الناس** ﴾[3] ، قال (عليه السلام) : **نحن هم** .

وفي قوله تعالى: ﴿ **وكذلك جعلناكم أُمة وسطاً** ﴾[4] ، قال (عليه السلام) : **نحن الأُمة الوسط** .

وفي قوله تعالى: ﴿ **وكونوا مع الصادقين** ﴾[5] ، قال (عليه السلام) : **أي مع آل محمد**[6].

وأ مّا أحاديثه التي رواها عن رسول الله حول ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ومرجعيتهم للأُمة فمنها قوله (صلى الله عليه وآله) : « **أنا رسول الله الىٰ النّاس أجمعين ولكن سيكون بعدي أئمة علىٰ الناس من أهل بيتي من الله ، يقومون في الناس فيكذّبونهم ويظلمونهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم ، ألا فمن والاهم واتّبعهم وصدّقهم فهو منّي ومعي وسيلقاني ، ألا**

---

(١) المحاسن : ١٥١ .

(٢) النحل (١٦): ٤٣ .

(٣) البقرة (٢) : ١٤٣ .

(٤) البقرة (٢): ١٤٣ .

(٥) التوبة (٩): ١١٩ .

(٦) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ١٩٤ ، ١٩٥ .

ومن ظلمهم وأعان على ظلمهم وكذّبهم ، فليس مني ولا معي وأنا منه بريء »(١).

وحثّ (عليه السلام) على الرجوع الى القرآن والسنّة ، وأكّد مرجعية أهل البيت(عليهم السلام) باعتبار أنّ سنّتهم امتداد للسنّة النبويّة الشريفة، وباعتبار أعلميّتهم بمنهج القرآن الكريم وسيرة النبي العظيم؛ فإنّهم أهل بيت الوحي والرسالة فهم أدرى بما في البيت.

٣ ـ خصائص الانتماء لأهل البيت(عليهم السلام)

بيّن الإمام (عليه السلام) خصائص الانسان الشيعي وهو الإنسان الموالي والمتّبع لأهل البيت(عليهم السلام) تمييزاً له عمّن سواه ممّن يحمل شعار الولاء والمشايعة لهم، قال (عليه السلام) : « **فو الله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله واطاعه . . .** »(٢).

وقال أيضاً : « **لا تذهب بكم المذاهب ، فو الله ما شيعتنا إلّا من اطاع الله عزّوجلّ** »(٣).

وبيّن الخصائص الولائية والسلوكية للجماعة الصالحة من حيث علاقاتهم فيما بينهم وعلاقاتهم مع الآخرين. فقال(عليه السلام) : « **انما شيعة عليّ : المتباذلون في ولايتنا . المتحابّون في مودّتنا . المتزاورون لإحياء أمرنا .**

الذين إذا اغضبوا لم يظلموا . وإذا رضوا لم يسرفوا . بركة على من جاوروا . سلم لمن خالطوا »(٤).

وقال أيضاً : « **إنما شيعة عليّ : من لا يعدو صوتُه سمعَه ، ولا شحناؤه بدنَه، لا يمدح لنا قالياً . ولا يواصل لنا مبغضاً . ولا يجالس لنا عائباً** »(٥).

---

(١) المحاسن : ١٥٥.

(٢) الكافي : ٢ / ٧٤.

(٣) المصدر السابق : ٢ / ٧٣ .

(٤) تحف العقول : ٢٢٠ .

(٥) بحار الأنوار : ٦٥ / ١٦٨ .

وقال أيضاً : « **إنما شيعة عليّ : الحلماء العلماء ، الذبل الشفاه ، تعرف الرهبانية علىٰ وجوههم** »(١).

وقال أيضاً: «**إنّما المؤمن الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحقّ، والذي إذا قدر لم تخرجه قدرته إلى التعدّي الى ما ليس له بحقّ**»(٢).

وبيّن (عليه السلام) أُسس التقييم الموضوعي لمن يريد إثبات صحة انتمائه للجماعة الصالحة. ومن هذه الأُسس عرض الإنسان نفسه علىٰ كتاب الله.

قال (عليه السلام) : « **يا جابر واعلم بأنّك لا تكون لنا وليّاً حتىٰ لو اجتمع عليك أهل مصرك ، وقالوا : انك رجل سوء لم يحزنك ذلك ، ولو قالوا : انك رجل صالح لم يسرّك ذلك. ولكن اعرض نفسك علىٰ كتاب الله ؛ فإن كنت سالكاً سبيله زاهداً في تزهيده راغباً في ترغيبه خائفاً من تخويفه فاثبت وأبشر ، فإنه لا يضرّك ما قيل فيك . وان كنت مبائناً للقرآن فما الذي يغرك من نفسك ؟!. . .** »(٣).

والعلامة المميّزة لأفراد الجماعة الصالحة هي التزامهم بمبادئ القرآن الكريم وقيمه في مختلف مجالات الحياة الإسلامية ، في العبادة والارتباط بالله تعالىٰ ، وفي العلاقات الاجتماعية ، وقد بيّن ذلك بقوله (عليه السلام) ـ كما مرّ سابقاً ـ :

«**فوالله ما شيعتنا إلّا من اتّقىٰ الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلّا بالتواضع والتخشع والأمانة . وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة . والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء ، وأهل المسكنة ، والغارمين ، والأيتام. وصدق الحديث وتلاوة القرآن . وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير. وكانوا أُمناء عشائرهم في الأشياء** »(٤).

---

(١) بحار الأنوار : ٦٥ / ١٨٩ .

(٢) الكافي: ٢/٢٣٤.

(٣) تحف العقول : ٢٠٦ ، مستدرك الوسائل : ١/٤٦٠.

(٤) الكافي : ٢ / ٧٤ .

ثانياً : الإمام الباقر (عليه السلام) والتزكية

١ ـ مقوّمات التزكية عند الإمام الباقر(عليه السلام):

لا تتحقق التزكية إلّا بعد أن تنطلق من القلب والضمير وتتفاعل مع الشعور بخشية مستمرة وحذر دائم وتوقٍّ من الرغائب والشهوات ، والمطامع والمطامح ، فلا بد وأن تكون شعوراً في الضمير ، وحالة في الوجدان ، وضعاً في المشاعر لتتهيأ النفوس لتلقي أُسسها وتقريرها في الواقع ، ولهذا ركّز الإمام(عليه السلام) في الجانب النظري علىٰ أهم المقومات التي تدفع النفس للتزكية وهي :

أ ـ تحكيم العقل.

ب ـ تبعية الإرادة الإنسانية للإرادة الإلهية.

ج ـ استشعار الرقابة الإلهية.

د ـ التوجّه الى اليوم الآخر.

أ ـ تحكيم العقل :

ان الله تعالىٰ خلق الانسان مزوداً بعقل وشهوة ، ومنحه معرفة سبل الهداية من خلال البينات والحقائق الثابتة ، وهو مكلف بإعداد القلب للتلقي والاستجابة والتطلع الىٰ افق اعلىٰ واهتمامات أرفع من الرغبات والشهوات الحسّية، ولهذا ركّز الإمام (عليه السلام) علىٰ تحكيم العقل علىٰ جميع الرغبات والشهوات ، ليكون للإنسان واعظ من نفسه يعينه على تزكية نفسه.

قال (عليه السلام) : « **من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً ، فإن مواعظ الناس لن تغني**

عنه شيئاً »[١].

وقال أيضاً : « **من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّ ميزانه** »[٢].

ب ـ تبعية الإرادة الإنسانية للإرادة الإلهية :

ان تكامل النفس لا يتم إلّا من خلال التطابق بين الإرادة الإنسانية والإرادة الإلهية وذلك باتباع المنهج الإلهي في الحياة ، وهذا التطابق يحتاج الىٰ مجاهدة الهوىٰ والهيمنة علىٰ الشهوات وتقييدها بقيود شرعية؛ فإنّ مجاهدة النفس تجعل الإنسان مستعدّاً بالفعل لتلقّي الفيض الإلهي لإكمال نفسه وتزكيتها على أساس المنهج الربّاني للإنسان في هذه الحياة.

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : « **يقول الله عزّوجلّ : وعزّتي وجلالي ، لا يؤثر عبد هواي علىٰ هواه إلّا جعلت غناه في قلبه ، وهمّه في آخرته . . .** »[٣].

ج ـ استشعار الرقابة الإلهية :

لا تتم التزكية إلّا باستشعار الرقابة الإلهية في العقل والضمير والوجدان ، والإحساس بأنّ الله تعالىٰ محيط بالإنسان، يحصي عليه حركاته وسكناته ، ولهذا ركّز الإمام الباقر (عليه السلام) علىٰ هذه الرقابة لتكون هي الدافع لاصلاح النفس وتزكيتها ، ففي موعظته لجماعة من أنصاره قال: « **ويلك . . . كلّما عرضت لك شهوة أو ارتكاب ذنب سارعت اليه وأقدمت بجهلك عليه ، فارتكبته كأنك لست بعين الله ، أو كأن الله ليس لك بالمرصاد ! . . .** »[٤].

---

(١) تحف العقول : ٢١٤ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) جامع الأخبار : ٢٧٠ .

(٤) تحف العقول : ٢١٢ .

د ـ التوجّه الىٰ اليوم الآخر :

إن التوجه الىٰ الحياة الأُخرىٰ الخالدة يمنع الانسان من الانحراف ويدفعه لتخليص النفس من ربقة الشهوات وظلمة المطامع وأدناس الهوىٰ. وقد وجّه الإمام (عليه السلام) الجماعة الصالحة الىٰ ذلك اليوم ليجعلوه نصب أعينهم ليكون حافزاً لهم لاصلاح النفس وتزكيتها ، ومما جاء في موعظته لجماعة منهم قوله (عليه السلام) : « ... **يا طالب الجنّة ما أطول نومك وأكَلَّ مطيّتك ، وأوهىٰ همتك ، فلله أنت من طالب ومطلوب!**

ويا هارباً من النار ما أحث مطيتك إليها وما أكسبك لما يوقعك فيها!

يا ابن الأيام الثلاث : يومك الذي ولدت فيه ، ويومك الذي تنزل فيه قبرك ، ويومك الذي تخرج فيه إلىٰ ربك ، فياله من يوم عظيم! يا ذوي الهيئة المعجبة والهيم المعطنة ما لي أرىٰ أجسامكم عامرة وقلوبكم دامرة؟! »[1].

وبيّن الإمام (عليه السلام) ان الدنيا دار بلاء وامتحان، وان هذا الابتلاء يتناسب مع درجة إيمان الإنسان فقال : « **إنّما يبتلىٰ المؤمن في الدنيا علىٰ قدر دينه** »[2].

٢ ـ منهج التزكية عند الإمام الباقر (عليه السلام)

رسم الإمام (عليه السلام) للجماعة الصالحة منهجاً واقعياً متكاملاً وشاملاً لتزكية النفس وتربيتها بحيث يكون كفيلاً بتحقيقها عند مراعاته بشكل دقيق.

وتتحدد معالم هذا المنهج بالنقاط التالية :

---

(١) تحف العقول : ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٢) جامع الاخبار : ٣١٣ .

أ ـ الارتباط الدائم بالله تعالىٰ

الارتباط بالله تعالىٰ والاستسلام له والعزم علىٰ طاعته من شأنه أن يمحّص القلوب ، ويطهّر النفوس ، لأنه ينقل الإنسان من مرحلة التفكّر والتدبّر في عظمة الله تعالىٰ وهيمنته ورقابته الىٰ مرحلة العمل الصالح في ظلّ هذا التدبر ، فالعزم يتبعه العون منه تعالىٰ ، ويتبعه التثبيت علىٰ المضي في طريق تزكية النفس .

والارتباط بالله تعالىٰ يبدأ بمعرفته التي تحول بين الإنسان وبين مخالفة ربّه وخالقه ، قال (عليه السلام) : « **ما عرف الله من عصاه** »[١].

فإنّ المعرفة تنتج الحبّ والحبّ الصادق يحول بين الإنسان وبين مخالفة محبوبه.

والارتباط بالله تعالىٰ يتجسد في مراتب عديدة منها : حسن الظن بالله ورجاء رحمته ، فقد روىٰ عن جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : « **والذي لا اله إلّا هو ما أُعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلّا بحسن ظنّه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب الناس** »[٢].

ويتحقق الارتباط بالله تعالىٰ أيضاً عن طريق المداومة علىٰ العبادات وقد حثّ الإمام (عليه السلام) الجماعة الصالحة علىٰ كثرة العبادة، حتىٰ جعلها احدىٰ خصائصهم ـ كما تقدم ـ.

وحثّ (عليه السلام) علىٰ قراءة القرآن الكريم والسير على منهاجه.

كما حثّ (عليه السلام) علىٰ جعل الروابط والعلاقات الاجتماعية قائمة علىٰ أساس القرب والبعد من الله تعالىٰ ، فقد أورد أحاديث لرسول الله (صلى الله عليه وآله) تؤكد

---

(١) تحف العقول : ٢١٥ .

(٢) الكافي : ٢ / ٧٢.

علىٰ ذلك ومنها قوله (عليه السلام) : « **ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان ، ومن أحبّ في الله ، وأبغض في الله ، وأعطىٰ في الله ، ومنع في الله ؛ فهو من أصفياء الله** »(١).

ب ـ الاقرار بالذنب والتوبة

ان منهج أهل البيت (عليهم السلام) يهدف الىٰ علاج النفوس البشرية ، واستجاشة عناصر الخير فيها ، والىٰ مطاردة عوامل الشر والضعف والغفلة.

والطبيعة البشرية قد تستقيم مرة وتنحرف مرة أُخرىٰ ، ولهذا فإنّ العودة الىٰ الاستقامة تقتضي محاسبة النفس باستمرار ، والاقرار بالأخطاء ، ثم التوبة ، والعزم علىٰ عدم العود ، ولذا أكّد الإمام (عليه السلام) علىٰ هذه المقومات ، وبدأ بالاقرار بالذنب كمقدمة للنجاة منه ، فقال (عليه السلام) : « **والله ما ينجو من الذنب إلّا من أقرّ به** »(٢).

وقال (عليه السلام) : « **كفىٰ بالندم توبة** »(٣).

والاقرار يتبعه الغفران بعد طلبه من الله تعالىٰ ، قال (عليه السلام) : « **لقد غفر الله لرجل من أهل البادية بكلمتين دعا بهما قال : اللهم إن تعذبني فأهل ذلك أنا ، وإن تغفر لي فأهل ذلك أنت ، فغفر له** »(٤).

والتوبة تمحي الذنب فيعود الانسان من خلالها الىٰ الاستقامة ثانية ، قال (عليه السلام) : « **التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمقيم علىٰ الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ** »(٥).

---

(١) المحاسن : ٢٦٣ .
(٢) الكافي : ٢ / ٣١١.
(٣) وسائل الشيعة : ١٦ / ٥٩ .
(٤) المصدر السابق : ١٦ / ٦٠ .
(٥) الكافي : ٢ / ٣١٦.

ج ـ الحذر من التورّط بالذنوب

الحذر والحيطة من الذنوب ضرورة ملحة في تزكية النفس ، وهي تتطلب الدقة في تناول كل خالجة وكل حركة وكل موقف ، وتتطلب التحليل الشامل للاسباب والظواهر ، والعوامل المسبّبة للموقف ، والتعالي بالنفس في ميادينها الباطنية ، ولهذا دعا الإمام (عليه السلام) الىٰ الحذر والحيطة من جميع الممارسات فقال: « **انّ الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة اشياء : خبأ رضاه في طاعته ، فلا تحقرن من الطاعة شيئاً فلعلّ رضاه فيه ، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً فلعلّ سخطه فيه ، وخبأ أولياءه في خلقه ، فلا تحقرنّ أحداً فلعلّه ذلك الولي** »[١].

ودعا (عليه السلام) الىٰ الاحتياط في القول في الحكم علىٰ الاشخاص والاعمال والممارسات فقال : « **لا يسلم أحد من الذنوب حتىٰ يخزن لسانه** »[٢].

وقال (عليه السلام) لاحد أصحابه : « **يا فضيل بلّغ من لقيت من موالينا عنّا السلام ، وقل لهم : إني أقول : أني لا أغني عنكم من الله شيئاً إلّا بورع ، فاحفظوا السنتكم ، وكفّوا أيديكم ، وعليكم بالصبر والصلاة ؛ ان الله مع الصابرين** »[٣].

د ـ تعميق الحياء الداخلي

ان موجبات التزكية كامنة في النفس ذاتها ، قبل التأثر بالعوامل الخارجية ، والتزكية ليست مجرد كلمات ورؤىٰ نظرية بل هي ممارسة وسلوك عملي ، يجب ان تنطلق من داخل النفس الانسانية ، ولا بد ان يتسلّح الانسان

---

(١) كشف الغمة : ٢ / ١٤٨ .

(٢) تحف العقول : ٢١٨ .

(٣) تفسير العياشي : ١ / ٦٨ .

بالواعز الذاتي الذي يصدّه عن فعل القبيح ، ولذا أكّد الإمام (عليه السلام) علىٰ الحياء لأنه حصن حصين يردع الأهواء والشهوات من الانطلاق اللامحدود ، قال (عليه السلام) : « **الحياء والإيمان مقرونان في قرن ، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه** »[1].

هـ ـ كسر الأُلفة بين الانسان وسلوكه الجاهلي

حينما يعتاد الانسان علىٰ السلوك الجاهلي فإنه سيأنس به ، ويألفه حتىٰ يصبح وكأنه جزء من كيانه ، ترضاه نفسه ، ويقبله قلبه ، ولهذا فهو بحاجة الىٰ كسر هذه الألفة وهذا الأُنس إن أراد أن يزكّي نفسه ويسمو بها الىٰ مشارف الكمال ، ولذا أكّد الإمام (عليه السلام) علىٰ بعض الخطوات التي تكسر هذه الأُلفة ، فقال: « **ان الله يبغض الفاحش المتفحّش** »[2].

وزرع في النفس كراهية الطمع والرغبات المذلة ، فقال : « **بئس العبد عبد يكون له طمع يقوده ، وبئس العبد عبد له رغبة تذله** »[3].

ومن أجل زرع الكراهية للشر روىٰ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله : « **ألا إن شرار أُمتي الذين يكرمون مخافة شرّهم ، الا وإنّ من أكرمه النّاس اتقاء شرّه فليس منّي** »[4].

وقال (عليه السلام) : « ... **إنّ أسرع الشر عقوبة البغي ، وكفىٰ بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يَعمى عليه من نفسه ، وأن يأمر للناس بما لا يستطيع التحوّل عنه ، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه** »[5].

فإذا كسرت الأُلفة بين الانسان وسلوكه الجاهلي فإنّه سيقلع عنه ، ويكون مهيّئاً لتقبل السلوك الاسلامي.

---

(١) تحف العقول : ٢١٧ .

(٢) الكافي : ٢ / ٢٤٥ .

(٣) وسائل الشيعة : ١٦ / ٢٤ .

(٤) الخصال : ١ / ١٥.

(٥) مختصر تاريخ دمشق : ٢٣ / ٨٦.

و ـ ازالة الحاجز النفسي بين الانسان والسلوك السليم

قد يحدث حاجز نفسي بين الانسان والسلوك السليم بسبب ضغط الأهواء والشهوات، أو بسبب الهواجس والوساوس المطبقة عليه ، وسوء التصور ، ورواسب الجاهلية ، والضعف البشري ، فلا بد من ازالة هذه الحواجز أولاً ثم التمرين علىٰ ممارسة السلوك السليم ثانياً .

فقد حبّب الإمام (عليه السلام) الىٰ اصحابه السلوك الصالح ، بربطه بالعبادة وطلب العون من الله تعالىٰ ، فقال : « **ما من عبادة أفضل من عفّة بطنٍ وفرجٍ ، وما من شيء أحبُّ الىٰ الله من أن يُسأل ، وما يدفع القضاء إلّا الدعاء ، وإن اسرع الخير ثواباً البرّ...** »[1].

وحبّب الىٰ النفوس حسن الخلق والرفق ، فقال : « **من أُعطي الخلق والرفق ، فقد أُعطي الخير كلّه ، والراحة ، وحسن حاله في دنياه وآخرته ، ومن حُرم الرفق والخلق كان ذلك له سبيلاً الىٰ كل شرّ وبليّة إلّا من عصمه الله تعالىٰ** »[2].

وحبّب الىٰ نفوس أصحابه الأدب وحسن السيرة ، فقال : « **ما استوىٰ رجلان في حسبٍ ودينٍ قط إلّا كان أفضلهما عند الله آدبهما** »[3].

وروىٰ (عليه السلام) عن الإمام عليّ (عليه السلام) قوله : « **انّ من أعون الأخلاق علىٰ الدين الزهد في الدنيا** »[4].

وحثَّ (عليه السلام) علىٰ أداء العبادات المندوبة لكي تتجذر في النفوس وفي الارادة، لأنها تساعد علىٰ اصلاح النفس وتزكيتها ، وبيّن ثواب من عمل بها ،

---

(١) مختصر تاريخ دمشق : ٢٣ / ٨٦.

(٢) حلية الاولياء : ٣ / ١٨٧ .

(٣) مختصر تاريخ دمشق : ٢٣ / ٨٥.

(٤) وسائل الشيعة : ١٦ / ١٢.

واستمر علىٰ أدائها في جميع الظروف والأحوال.

وحثّ علىٰ التمرّن علىٰ الأخلاق الفاضلة والخصائص الحميدة، فقال (عليه السلام): **« عليكم بالورع والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة الىٰ من ائتمنكم عليها براً كان أو فاجراً، فلو أن قاتل عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ائتمنني علىٰ أمانة لأديتها اليه**[1].

ثالثاً: المنهج التثقيفي عند الإمام الباقر (عليه السلام)

العلم خير وسيلة لتجلية حقيقة التصور الاسلامي، والمنهج الإلهي في الحياة الانسانية. وهو الوسيلة المُثلىٰ لتوجيه الجماعة الصالحة للارتفاع بها الى مستوىٰ الامانة العظيمة التي ناطها الله بها. ولذا كان أهل البيت (عليهم السلام) يتشدّدون مع الجماعة الصالحة في أمر تلقي العلوم المرتبطة بالعقيدة والشريعة من مصادرها الأصيلة وهي القرآن والسنة الشريفة.

وفي منهج الإمام الباقر (عليه السلام) التثقيفي والتعليمي المعد للجماعة الصالحة نلاحظ التأكيد على الأُمور التالية:

١ ـ الحث علىٰ طلب العلم

حثّ الإمام (عليه السلام) علىٰ طلب العلم، وخصوصاً علم الفقه فقال: **« الكمال كل الكمال: التفقه في الدين، والصبر علىٰ النائبة وتقدير المعيشة »**[2].

وحث (عليه السلام) علىٰ السؤال باعتباره مفتاح العلم، وروىٰ عن

---

(١) تحف العقول: ٢١٩.

(٢) الكافي: ١ / ٣٢.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله : **« العلم خزائن ومفتاحها السؤال ، فاسئلوا يرحمكم الله ، فانه يؤجر فيه أربعة : السائل ، والمعلم ، والمستمع ، والمجيب لهم »**[١].

٢ ـ موقع العلماء المتميّز وفضلهم

بيّن الإمام الباقر (عليه السلام) فضل العالم وقدّمه علىٰ العابد ، لأن العلم الحقيقي يجعل الانسان علىٰ وعي كامل بالحقائق والتصورات وبالاحداث والمواقف ، فلا يختلط عليه أمر بأمر ولا موقف بموقف فيكون قادراً علىٰ التمييز والتشخيص ، وإصابة الواقع في جميع مجالاته ، قال (عليه السلام) : **« عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد »**[٢].

وقال (عليه السلام) : **« والله لموت عالم أحبّ الىٰ ابليس من موت سبعين عابداً »**[٣].

وبيّن (عليه السلام) خصائص العالم فقال : **« إنّ الفقيه حق الفقيه : الزاهد في الدنيا ، الراغب في الآخرة ، المتمسك بسنة النبي »**[٤].

٣ ـ الاخلاص في طلب العلم

حث (عليه السلام) علىٰ إخلاص النية في طلب العلم ، بأن يكون الهدف النهائي من طلبه للعلم هو الوصول الىٰ الحقّ ، وتقريره في عقول الناس وقلوبهم تقرباً الىٰ الله تعالىٰ ، وتجسيداً لمنهجه في الحياة.

قال (عليه السلام) : **« من طلب العلم ليباهي به العلماء ، أو يماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس اليه ، فليتبوء مقعده من النار ، إنّ الرئاسة لا تصلح إلّا لأهلها »**[٥].

---

(١) حلية الاولياء : ٣ / ١٩٢ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ١٨٣ .

(٣) تذكرة الخواص : ٣٠٤ .

(٤) الكافي : ١ / ٧٠ .

(٥) المصدر السابق : ١ / ٤٧ .

٤ ـ ضرورة نشر العلم وتثقيف الناس

حث الإمام (عليه السلام) علىٰ نشر العلم وتعليمه للناس ، وإشاعته في الأوساط المختلفة ، نهي عن كتمانه ، بقوله (عليه السلام) : « **من علّم باب هدىٰ فله أجر من عمل به ، ولا ينقص أُولئك من أُجورهم شيئاً . . .** »(١).

وقال (عليه السلام) : « **رحم الله عبداً أحيا العلم . . . يذاكر به أهل الدين وأهل الورع** »(٢).

وجعل علىٰ العلم زكاة فقال : « **زكاة العلم أن تعلّمه عباد الله** »(٣).

كما جعل تذاكره ومدارسته صلاة ، فقال : « **تذاكر العلم دراسة ، والدراسة صلاة حسنة** »(٤).

٥ ـ مزالق وآفات المتعلّمين

ان الانسان مهما أُوتي من علم فإنه يبقىٰ بحاجة الىٰ المزيد ، ويبقىٰ في كثير من الأحيان جاهلاً ببعض الحقائق ، لذا حثّ الإمام (عليه السلام) علىٰ الاحتياط في الاجابة لكي يأمن الانحراف ، ولا تؤدي الىٰ تغرير الآخرين، قال (عليه السلام) : «**الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة ، وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه** »(٥).

وقال: « **ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا : الله اعلم ، ان الرجل لينتزع الآية من القرآن يخرّ فيها أبعد ما بين السماء والأرض** »(٦).

وجعل هذا الاحتياط حقاً لله علىٰ العباد ، فقال : « **حق الله علىٰ العباد : أن**

---

(١) الكافي : ١ / ٣٥.

(٢ و ٣ و ٤) المصدر السابق : ١ / ٤١ .

(٥) المصدر السابق : ١ / ٥٠ .

(٦) المصدر السابق : ١ / ٤٢ .

يقولوا ما يعلمون ، ويقفوا عندما لا يعلمون »[١].

٦ ـ المرجعية العلمية

من الحقائق المشهورة عند المسلمين أنّ علياً (عليه السلام) أعلم الصحابة بكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله)، وهو باب علم الرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد علّم أبناءه ما تعلّمه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانوا يتوارثون العلم فيما بينهم، من هنا كان أهل البيت (عليهم السلام) أعلم الناس بالقرآن والسنّة ، ولهذا أكّد الإمام الباقر (عليه السلام) علىٰ مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) العلمية ، وبيّن أن علمهم موروث منذ آدم الىٰ يومه هذا، فقال : « **ان العلم الذي نزل مع آدم (عليه السلام) لم يرفع ، والعلم يتوارث ، وكان عليّ (عليه السلام) عالم هذه الأُمة ، وانه لم يهلك منّا عالم قط إلّا خلفه من أهله من علم مثل علمه ، أو ما شاء الله »**[٢].

وبيّن اختصاص أهل البيت (عليهم السلام) بعلم القرآن ظاهره وباطنه فقال: « **ما يستطيع أحد ان يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الاوصياء »**[٣].

كما بيّن أ نّ علمهم (عليهم السلام) علم صائب، فقال : « **ليس عند أحد من الناس حقّ ولا صواب ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حقّ إلّا ما خرج منّا أهل البيت»**[٤].

وقد أثبت الواقع أهليّتهم (عليهم السلام) للمرجعية العلمية العامّة للمسلمين جميعاً، فكانوا مقصد العلماء من جميع أمصار العالم الاسلامي .

وكان (عليه السلام) يحث الجماعة الصالحة على الرجوع لأهل البيت الأطهار

---

(١) الكافي : ١ / ٤٣ .
(٢) المصدر السابق : ١ / ٢٢٢ .
(٣) المصدر السابق: ١ / ٢٢٨ .
(٤) المصدر السابق : ١ / ٣٩٩ .

تجسيداً لهذه المرجعية وتحصيناً لهم من الزيغ والانحراف[١].

وكان أيضاً يرشد اصحابه الىٰ مراجعة العلماء الذين أخذوا العلم من أهل البيت (عليهم السلام) واتقنوا فنونه وأُسسه وقواعده[٢].

٧ ـ المؤسسات الثقافية

كان للإمام الباقر (عليه السلام) دور كبير في توسيع المؤسسات الثقافية ، فقد أسس عدة مدارس في أهم الامصار الإسلامية :

• مدرسة المدينة : وكان يشرف عليها مباشرة ، وينتقي منها الفقهاء ليواصلوا حمل العلم ونشره .

• مدرسة الكوفة : وكان يشرف عليها من تتلمذ علىٰ يديه ، وتخرّج من مدرسته ، وقد اثمرت هذه المدرسة في نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) وارجاع الناس اليهم ، حتىٰ اعترف الحاكم الأُموي هشام بن عبدالملك بهذه الحقيقة ، فقد أشار إلى الإمام (عليه السلام) قائلاً : هذا المفتون به أهل العراق[٣].

ولذا أمر الأُمويون بمنع أهل العراق من الالتقاء بالإمام (عليه السلام)[٤] .

• مدرسة قم : وكان يشرف عليها بعض من تتلّمذ علىٰ يدي الإمام (عليه السلام) وهي متفرعة من مدرسة الكوفة .

وتأثرت بمدرسة الكوفة وقم مدارس أُخرىٰ في الشرق الإسلامي ، كمدرسة الري وخراسان[٥].

---

(١) المحاسن: ٢١٣.

(٢) بحار الانوار : ٤٦ / ٣٢٨ .

(٣) مختصر تاريخ دمشق : ٢٣ / ٧٩ .

(٤) المصدر السابق : ٢٣ / ٨٣ .

(٥) دور أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة : ١ / ١٣٣ .

وهنالك مدارس جوّالة كان يؤسسها طلابه أينما حلّوا وهي محدودة بحدود عدد الأفراد المشرفين وبمقدار الاستجابة لهم من قبل الناس .

والمؤسسات الثقافية كان لها دور كبير في تخريج الفقهاء والمبلغين من مختلف الأمصار .

وكانت أساليب الإمام التثقيفية متنوعة ، بعضها ذو طابع فردي والآخر ذو طابع جماعي. كما كان التثقيف يتم عن طريق التدريس ، وأُخرى عن طريق الرسائل والوصايا.

ولم يكن تثقيفه وتعليمه مقتصراً علىٰ الفقه والأُصول أو العلوم الدينية بشكل خاص، بل كان شاملاً لجميع العلوم المعروفة آنذاك[1].

رابعاً : الإمام الباقر (عليه السلام) وإحياء الروح الثورية في الأمّة

كانت ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ذات دور كبير في إحياء الروح الثورية، وإلهاب الحماس في النفوس المؤمنة بالله ورسوله ضدّ الحكّام الظالمين، ولهذا نشط الإمام الباقر (عليه السلام) ليجعل الثورة حيّة تمنح الناس طاقة ثورية لخوض المواجهة في وقتها وظرفها المناسب .

وقد تجسد إحياؤه للروح الثورية هذه في مظهرين :

الأول : اقامة الشعائر الحسينية

كان الإمام (عليه السلام) يقوم بنفسه باحياء الشعائر الحسينية ، حيث كان يقيم مجالس العزاء في منزله ، دون معارضة من قبل الحكّام الأُمويين لأنهم لا يستطيعون منع مجلس عزاء يقيمه الإمام (عليه السلام) علىٰ جدِّه ، ولأنهم كانوا

---

(١) الإرشاد : ٢٦٤ .

يحاولون إلقاء اللوم في قتل الحسين وأهل بيته وصحبه علىٰ آل أبي سفيان .

وتجسّدت الشعائر الحسينية بالممارسات التالية :

١ ـ الحزن وإقامة مجالس العزاء: شجّع الإمام علىٰ البكاء لمصاب جدّه الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، والأبرار من صحابته من أجل أن تتجذّر الرابطة العاطفية به (عليه السلام) في المشاعر ، وكان يقول : « **من ذرفت عيناه علىٰ مصاب الحسين ولو مثل البعوضة غفر الله له ذنوبه** »[١].

٢ ـ الزيارة: حثّ الإمام الباقر (عليه السلام) علىٰ زيارة قبر جدّه الإمام الحسين (عليه السلام) لتعميق الارتباط به شخصاً ومنهجاً ، واستلهام روح الثورة منه ، ومعاهدته علىٰ الاستمرار علىٰ نهجه .

وكان يؤكد لمحبّيه والمؤمنين بقيادته الاهتمام بها، ويقول : « **مروا شيعتنا بزيارة الحسين بن علي ، وزيارته مفروضة علىٰ من أقرّ للحسين بالإمامة** »[٢].

وأكّد (عليه السلام) علىٰ لزوم اقتران حب أهل البيت (عليهم السلام) بزيارة قبر الحسين(عليه السلام) كما جاء في قوله : « **من كان لنا محبّاً فليرغب في زيارة قبر الحسين**(عليه السلام)، **فمن كان للحسين زوّاراً عرفناه بالحب لنا أهل البيت** »[٣].

٣ ـ إنشاء الشعر: كما كان(عليه السلام) يشجع علىٰ قول الشعر في الإمام الحسين (عليه السلام) وقد بذل من أمواله لنوادب يندبن بمنىٰ أيام الموسم[٤].

وقد أثمر هذا الحثّ إحياء روح الثورة والنهوض ، حتى أن الثورات

---

(١) بحار الأنوار : ٩٨ / ١ .

(٢) المصدر السابق: ٤٤ / ٢٩٣ .

(٣) المصدر السابق : ٩٨ / ٤ .

(٤) مقتل الحسين للمقرّم : ١٠٦ .

التي انطلقت بعد عصر الإمام الباقر (عليه السلام) كانت تنطلق في عاشوراء ؛ إذ كان الثّوار يتزوّدون من قبره (عليه السلام) ثم ينطلقون بثورتهم وحركتهم المسلّحة غالباً.

الثاني : إحياء الإيمان بقضية الإمام المهدي (عليه السلام)

إن الصراع بين الإسلام والجاهلية ، وبين الحق والباطل لا ينتهي ما دام كل منهما موجوداً وله كيان وقيادة وأنصار . ويستمر الصراع الىٰ أن ينتصر الحق علىٰ الباطل في نهاية الشوط . ويمثل ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) وثورته ضد الظلم العالمي الشامل آخر حلقة من حلقات الصراع المستمرة حيث يختفي الباطل ولا يبقىٰ له كيان مستقل.

وانتظار الإمام المهدي الثائر (عليه السلام) هو حركة ايجابية وتعبير عن حيويّة الروح الثوريّة وهو يتطلّب تعبئة الافكار والطاقات للاشتراك في عملية الخلاص والانقاذ الشامل .

وقد أكّد جميع الائمة من أهل البيت (عليهم السلام) علىٰ هذه الحقيقة لا سيّما الإمام الباقر (عليه السلام)؛ وذلك لكي تتعمق هذه القضيّة الكبرىٰ في العقول والنفوس جميعاً.

قال (عليه السلام) : **« انّما نجومكم كنجوم السماء كلّما غاب نجم طلع نجم حتىٰ اذا أشرتم بأصابعكم ، وملتم بحواجبكم غيَّب الله عنكم نجمكم واستوت بنو عبد المطّلب فلم يعرف أيٌّ من أيّ فإذا طلع نجمكم ، فاحمدوا ربّكم »**[1].

واعتبر ثورة الإمام المهدي (عليه السلام) من الأمر الإلهي المحتوم، حين قال : **«من المحتوم الّذي حتمه الله قيام قائمنا »**[2].

---

(١) بحار الأنوار : ٥١ / ١٣٨ .

(٢) المصدر السابق : ٥١ / ١٣٩ .

وقال (عليه السلام) : **« لا تزالوان تمدّون أعناقكم الىٰ الرجل منّا تقولون هو هذا ، فيذهب الله به ، حتىٰ يبعث الله لهذا الأمر من لا تدرون ولد أم لم يولد ، خلق أو لم يخلق »**(١).

وكان يهيّء الاذهان للتعبئة الىٰ ذلك اليوم ويقول : **« إذا قام قائمنا وظهر مهديّنا كان الرجل أجرأ من ليث وأمضىٰ من سنان »**(٢).

خامساً : الإمام الباقر (عليه السلام) وتشخيص هوية الجماعة الصالحة

اهتم الإمام الباقر (عليه السلام) بتشخيص هوية الجماعة الصالحة ، وتمييزها عن غيرها من الهويات التي ترافق سائر الوجودات والكيانات والتيارات القائمة في الواقع .

وقد كان للجماعة الصالحة وجود مميّز من حيث الاسم والصفات ومن حيث الولاء والاقتداء ، ومن حيث التقييم والدرجة والمرتبة من بين الدرجات والمراتب ، فهي تنتمي الى الإسلام أولاً والىٰ منهج أهل البيت ثانياً.

وتشخيص الهوية له آثار ايجابية علىٰ تجذر الانتماء وإدامته ، وله آثار عملية علىٰ الافكار والعواطف والممارسات السلوكية ، حيث انها تتبع الانتماء ، وتتحرك علىٰ ضوء الاهداف المحدّدة للهوية المشخصة ، ومن هذه الآثار :

١ ـ الشعور بالانتماء وهو أمر فطري يدفع الانسان للاعتزاز بانتمائه ، لأنه يشعر بأن شخصيته ووجوده يحددها الانتماء والهوية الظاهرة .

٢ ـ ان لتشخيص الهوية دوراً كبيراً من وحدة الاهداف ووحدة البرامج ، ووحدة المصير ، ووحدة المصالح ، ولهذه الوحدة دور أساسي في

---

(١) بحار الأنوار : ٥١ / ١٤٠ .

(٢) حلية الأولياء : ٣ / ١٨٤ .

تحريك المنتمين الى العمل الجاد والحركة الدؤوبة لتحقيق الأهداف المنشودة والتضحية من أجلها.

٣ ـ ان لتشخيص الهوية دوراً كبيراً في تعميق علاقات الأُخوة داخل الجماعة الصالحة ، ودفعها نحو التآزر والتكاتف والتعاون من أجل رفع مستواها الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي ،كما يمنحها القوة والمنعة والعزّة.

٤ ـ إنّ تشخيص الهوية والشعور بالانتماء الموحد يدفع الحركة باتّجاه توسيع قاعدتها الشعبية على أساس تقوية مظاهر الهوية في الواقع الموضوعي ويدفعها نحو التنافس المشروع مع الوجودات القائمة لربط بقية أفراد الأُمة بالمفاهيم والقيم الصالحة ، وتجسيدها في الواقع .

محاور الانتماء في الجماعة الصالحة

الإسلام هو المحور الاساسي للانتماء عند الجماعة الصالحة ، وهو المحرك الأول للعمل والحركة وللسلوك وللعلاقات ، والمصلحة الإسلامية العليا هي الحاكمة على جميع المصالح .

والإسلام هو الانتماء الاساسي الذي يدفع بالمنتمين إليه نحو التعالي على الأواصر الضيّقة والروابط الثانوية ، ويوجّه الانظار والمواقف الى الهدف المشترك والىٰ الأُفق الأرحب الذي تنضوي تحته جميع الانتماءات ، لتكون العلاقات في ظله قائمة على أساس التكافل والتراحم والتناصح ، والأمانة والعدل والسماحة والمودة والاحسان ، وهذه العلاقات تتطلب التحرر من ضغط القيم والاوضاع المحدودة ، والمصالح والمطامع الذاتية العارضة .

والإسلام هو الانتماء الأرحب الذي يضم جميع من نطق بالشهادتين ، فهو في رأي الإمام الباقر (عليه السلام) : «... **والإسلام ما عليه التناكح والتوارث وحقنت به الدماء** »(١).

وعلىٰ ذلك فإن الجماعة الصالحة هي جزء من المجتمع الاسلامي الكبير بمختلف تياراته ومذاهبه الفكرية والسياسية ، ومسؤولة عن الحفاظ علىٰ هذا الوجود من التصدّع .

والفكر المشترك أو العقيدة المشتركة بين الجماعة الصالحة وسائر الجماعات القائمة هي : الايمان بالله ورسله وكتبه ، والايمان برسالة خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) والإيمان بيوم القيامة .

والانتماء الى منهج أهل البيت (عليهم السلام) هو الهوية المشخصة للجماعة الصالحة لتمييزها عن غيرها من الجماعات التي تنتمي الىٰ مناهج اُخرىٰ .

والانتماء الى أهل البيت (عليهم السلام) يعني الولاء لهم بجميع مراتبه ومصاديقه المتمثّلة في حبّهم ونصرتهم، والاستسلام لأوامرهم ونواهيهم التي هي أوامر الله ورسوله للإنسان المسلم على مدى الحياة وفي جميع مجالاة الحياة؛ بحيث تكون العقول والقلوب والأفعال منسجمة مع منهجهم العقائدي والسياسي في آن واحد ، لأنهم الامتداد الحقيقي للرسالة الإسلامية وهم القيّمون على المنهج الإلهي الذي أرسى دعائمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث الثقلين وغيره من النصوص النبويّة الشريفة. ومن هنا قال الإمام الباقر (عليه السلام) : « **نحن أهل بيت الرحمة وشجرة النبوة ومعدن الحكمة ، ومختلف الملائكة ومهبط الوحي** »(٢).

وهذا الانتماء يجعل جميع أفراد الجماعة الصالحة مكلفين بأداء دور القدوة ازاء الانتماء الرحب وهو الإسلام ، فينبغي أن يكونوا قدوة لغيرهم ،

---

(١) تحف العقول : ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٢) الارشاد : ٢٦٦ .

وقد وصفهم الإمام (عليه السلام) في أحاديث متقدمة بمواصفات خاصة ومنها : طاعة الله ، والتقوى ، وأداء الواجبات واجتناب المحرمات ، وحسن الخلق ، وحسن السيرة ، وأكّد على أن هذا الانتماء لا يتحقق إلّا بالتقوىٰ والورع والعمل الصالح .

مشخصات الهوية

الأول : الاسم

أطلق الإمام الباقر (عليه السلام) تبعاً لآبائه وأجداده (عليهم السلام) عدداً من الاسماء والعناوين لتشخيص هوية الجماعة الصالحة وفرزها وتمييزها عن غيرها في خضم الالتباس في المفاهيم والخلط في العناوين ، ومنها[1].

١ ـ شيعة عليّ .

٢ ـ شيعة فاطمة .

٣ ـ شيعة آل محمد .

٤ ـ شيعة ولد فاطمة .

واسم الشيعة هو مورد اعتزاز الجماعة الصالحة لمشايعتهم أهل البيت (عليهم السلام) المطهّرين من كل رجس ودنس.

وقد بشّر الإمام الباقر (عليه السلام) افراد الجماعة الصالحة بهذا الاسم ، فعن أبي بصير ، قال : « **ليهنكم الاسم ، قلت : ما هو جعلت فداك ؟ قال : «وإنّ من شيعته لإبراهيم»**[2] وقوله : ﴿ **فاستغاثه الّذي من شيعته علىٰ الّذي من عدوه** ﴾[3]، فليهنكم الاسم[4].

(١) بحار الأنوار : ٦٥ / ١٤ ، ٤٨ ، ٦٠ ، ٥٦ .

(٢) الصافات (٣٧): ٨٣.

(٣) القصص (٢٨): ١٥ .

(٤) بحار الأنوار : ٦٥ / ١٢ ـ ١٣ .

فهذا الاسم اسم شريف سمّىٰ به الله تعالى أتباع الأنبياء السابقين .

وأقرّ (عليه السلام) اسم الرافضة على الجماعة الصالحه بعد أن سمّاهم به اتباع السلطان، فحينما شكى اليه بعض أصحابه هذه التسمية قال له : « **وأنا من الرافضة** » قالها ثلاثاً[١].

وعن أبي بصير ، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : جعلت فداك اسم سمّينا به استحلّت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا قال: وما هو ، قال: الرّافضة ، فقال أبو جعفر (عليه السلام) : «**انّ سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون فأتوا موسىٰ (عليه السلام) فلم يكن في قوم موسىٰ (عليه السلام) أشدّ اجتهاداً ولا أشدّ حباً لهارون منهم ، فسمّاهم قوم موسىٰ الرّافضة ، فأوحىٰ الله الى موسىٰ : أن ثبّت لهم هذا الاسم في التوراة ، فإني قد نحلتهم ، وذلك اسم قد نحلكموه الله** »[٢].

وهنالك أسماء أُخرىٰ ذكرها الإمام الباقر (عليه السلام) وهي : المؤمن والموالي[٣].

الثاني : الصفات

وصف الإمام الباقر (عليه السلام) أفراد الجماعة الصالحة بمواصفات خاصة تشخصهم بها عن غيرهم[٤] ومنها :

١ ـ أصحاب اليمين .

٢ ـ خير البرية .

٣ ـ أولياء الله .

---

(١) المحاسن : ١٥٧ .

(٢) المصدر السابق : ١٥٧ .

(٣) بحار الأنوار : ٦٥ / ١٦ .

(٤) المصدر السابق : ٦٥ / ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٨ ، ٤٤ .

٤ ـ شُرَط الله .

٥ ـ أعوان الله .

الثالث : منزلة الجماعة الصالحة

ذكر الإمام (عليه السلام) للجماعة الصالحة التي تحمل اسم شيعة أهل البيت (عليهم السلام) منزلة ومرتبة في كلتا الحياتين: الدنيا والآخرة .

١ ـ منزلة الجماعة الصالحة في الحياة الدنيا: ان الجماعة الصالحة مرّت بمراحل من التمحيص في داخل النفس وفي مكنون الضمير ، وفي الواقع العملي ، فخرجت مستقرة علىٰ الحق ، واتبعت منهج أهل البيت (عليهم السلام) في وقت كان فيه قادته مطاردين ملاحقين محاصرين من جهات شتى ، واستقرارها على الحق هذا جعل لها منزلة ومرتبة في دار الاختبار والامتحان ، وقد أوضح الإمام (عليه السلام) هذه الفضيلة بقوله : « **انّ الله عزّوجلّ أعطىٰ المؤمن ثلاث خصال : العزّ في الدنيا والدين ، والفلج في الآخرة ، والمهابة في صدور العالمين** »[1].

ودخل الإمام المسجد الحرام فوجد فيه جماعة من أصحابه ، فدنا منهم وسلَّم ثم قال لهم : « **والله انّي لأحبُّ ريحكم وأرواحكم ... انتم شُرط الله ، وأنتم أعوان الله ، وأنتم أنصار الله ، وأنتم السابقون الأولوّن والسابقون الآخرون ... قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ألا وإنّ لكل شيء شرفاً ، وشرف الدين الشيعة ، ألا وإنَّ لكل شيء عماداً وعماد الدين الشيعة ، الا وإنّ لكل شيء سيداً وسيّد المجالس مجلس شيعتنا ...** »[2].

والجماعة الصالحة هي المعيار العملي في الولاء لأهل البيت (عليهم السلام)

---

(١) بحار الأنوار : ٦٥ / ١٦ .

(٢) بشارة المصطفىٰ : ١٦ .

لقوله (عليه السلام) : **«كونوا النمرقة الوسطىٰ يرجع اليكم الغالي ويلحق بكم التالي»**[١].

٢ ـ منزلة الجماعة الصالحة في الحياة الآخرة: إنّ للجماعة الصالحة منزلة في الحياة الأُخرىٰ ، لأنها اجتازت الامتحان الإلهي بنجاح ، وثبتت علىٰ المنهج الإلهي في جميع الأبعاد: في الفكر والعاطفة والسلوك ، وبذلت الغالي والنفيس دفاعاً عن القيم الإسلامية الثابتة التي ارسى دعائمها القرآن ورسول الإسلام (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام).

ومن هذه المنازل والمراتب هي كرامتهم عند الله تعالى ، قال الإمام الباقر (عليه السلام) : **« ان الله سبحانه يبعث شيعتنا يوم القيامة من قبورهم . . . ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، مسكنة روعاتهم ، مستورة عوراتهم ، قد اعطوا الأمن والأمان ، يخاف الناس ولا يخافون ، ويحزن الناس ولا يحزنون ، يحشرون علىٰ نوق لها أجنحة من ذهب تتلألأ ، قد ذلّلت من غير رياضة أعناقها من ياقوت أحمر ، ألين من الحرير ، لكرامتهم علىٰ الله »**[٢].

قال (عليه السلام) : **« وفي شيعة ولد فاطمة أنزل الله هذه الآية خاصة ﴿ قُل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنَّ الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾[٣]»**[٤].

وروى (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله : **« انَّ علياً وشيعته هم الفائزون »**[٥].

وهذه المنازل والمراتب سينالها أفراد الجماعة الصالحة المتّبعين منهج ائمتهم المطيعين لله تعالىٰ إذ جسّدوا القيم الإلهية في واقع الحياة.

---

(١) بحار الأنوار : ٦٥ / ١٧٨ .
(٢) بشارة المصطفىٰ : ٥٥ ، ٥٦ .
(٣) الزمر (٣٩): ٥٣ .
(٤) قرب الاسناد : ٢٩ .
(٥) بحار الأنوار : ٦٥ / ٣١.

سادساً : الإمام الباقر (عليه السلام) والعلاقات في نظام الجماعة الصالحة

الجماعة الصالحة لها قيادة وطليعة وقاعدة ترتبط فيما بينها بعلاقات تحدّدها المفاهيم والقيم الحاكمة علىٰ جميع الافراد ومن مختلف المستويات .

ولكل من مراتب الجماعة علاقات مع الجماعات الأُخرىٰ تحدّدها الاهداف والمصالح المشتركة ضمن الأُفق الأرحب والمصير الأكبر .

وتربطها علاقات مع اتباع الاديان الأُخرىٰ من المعاهدين وأهل الذمة .

١ ـ العلاقات داخل الجماعة الصالحة

أ ـ العلاقة بين القيادة والطليعة: القيادة تتمثل في الإمام المعصوم(عليه السلام) الذي يشرف علىٰ بناء وتوجيه الجماعة الصالحة ، وتنظيم شؤونها المختلفة ، وهو المرجع في إصدار الأوامر واتخاذ الخطط والقرارات .

وبما ان الجماعة الصالحة لها امتداد في جميع البلدان والامصار ، لذا فإنّ العلاقة بين أفرادها وبين الإمام (عليه السلام) تكون عن طريق الطليعة الواعية المخلصة والتي تتمثل بالوكلاء ، وهم المقربون من الإمام (عليه السلام) والمختصون به، وهم بدورهم يشرفون علىٰ باقي افراد الجماعة .

وقدكان الإمام (عليه السلام) يخصص كثيراً من وقته لتوجيه الطليعة وارشادها عن طريق اللقاءات المباشرة اليومية ، واللقاءات الدورية ، وعن طريق المراسلات .

ب ـ **العلاقة بين القيادة والقاعدة:** كانت للإمام (عليه السلام) علاقات مباشرة وغير مباشرة مع قواعده في المدينة ، وفي مختلف الامصار ، وكان أهل المدينة وغيرهم يلتقون به ويزورونه ، وكان يقوم (عليه السلام) بزيارتهم والالتقاء بهم ، أما المقيمون في بلدان أُخرىٰ فكانوا يلتقون به في موسم الحج وغيره ، وكان (عليه السلام) يراسل بعضهم ، لتدوم العلاقة بينه وبينهم ، وقد رسم لهم منهاجاً في العلاقات ، وجعل عليهم أن يزوروه، حين قال (عليه السلام) : « **إنّما أُمر الناس أن ياتوا هذه الاحجار ، فيطوفوا بها ، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم** »[1].

وقال أيضاً : « **تمام الحج لقاء الإمام** »[2].

وكانت العلاقة مستمرة بين الإمام (عليه السلام) والقاعدة عن طريق الطليعة (الوكلاء) ، وعن طريق المراسلة .

ج ـ **العلاقة بين الافراد:** حث الإمام (عليه السلام) علىٰ ادامة العلاقة بين افراد الجماعة الصالحة ، وقال : « **تزاوروا في بيوتكم ، فإن ذلك حياة لأمرنا ، رحم الله عبداً أحيىٰ أمرنا** »[3].

ونهىٰ (عليه السلام) عن المقاطعة والهجران فقال : « **ما من مؤمنين اهتجرا فوق ثلاث إلّا وبرئت منهما في الثالثة** »، فقيل له : يا ابن رسول الله هذا حال الظالم ، فما بال المظلوم ؟ فقال (عليه السلام) : « **ما بال المظلوم لا يصير الىٰ الظالم؟ فيقول : أنا الظالم حتىٰ يصطلحا** »[4].

---

(١) الكافي : ٤ / ٥٤٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الخصال : ١ / ٢٢ .

(٤) المصدر السابق : ١ / ١٨٣ .

أسس العلاقات الداخلية

أ ـ طاعة الإمام (عليه السلام): الإمام المعصوم هو القائد الربّاني للجماعة الصالحة ، وهو المشرف علىٰ جميع شؤونها ، وان جميع البرامج والخطط لا يمكن تحقيقها بالصورة المشروعة إلّا بالرجوع اليه وامتثال أوامره والاخلاص له في النصيحة ، وقد روى الإمام الباقر (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انّه قال : « **ما نظر الله عزّوجلّ الىٰ وليّ له يجهد نفسه بالطاعة لإمامه والنصيحة إلّا كان معنا في الرفيق الاعلىٰ** »(١).

ب ـ قاعدة الحب في الله والبغض في الله: وروىٰ الإمام الباقر (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال : « **ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان ، ومن أحبّ في الله ، وأبغض في الله ، وأعطىٰ في الله، ومنع في الله فهو من أصفياء الله** »(٢).

ج ـ اخلاص المودّة: إن الحب والمودة هي أساس العلاقات داخل الجماعة الصالحة؛ لذا قال (عليه السلام) : « **واخلص مودتك للمؤمن** »(٣).

د ـ الايثار من أجل حقوق الاخوان: قال (عليه السلام) : « **أشرف أخلاق الأئمة والفاضلين من شيعتنا استعمال التقية وأخذ النفس بحقوق الاخوان** »(٤).

---

(١) الكافي : ١ / ٤٠٤ .
(٢) المحاسن : ٢٦٣ .
(٣) تحف العقول : ٢١٣ .
(٤) جامع الاخبار : ٢٥٢ .

هـ ـ التكافل الاجتماعي

و ـ التناصر والتآزر

ز ـ ادامة العلاقة: قال (عليه السلام) : « **ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة : أن تعفو عمّن ظلمك ، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك** »[1].

وقال (عليه السلام) : « **ان المؤمن أخ المؤمن لا يشتمه ولا يحرمه ولا يسيء به الظن** »[2].

٢ ـ العلاقات مع الجماعات الإسلامية الاُخرىٰ

١ ـ إنّ التعايش والانفتاح مع عامة المسلمين وجمهورهم الذين ليس لهم عداء لأهل البيت (عليهم السلام) ـ وإن كانوا لا يرون لهم حق الولاية والإمامة ـ هو من سيرة الإمام (عليه السلام) وقد كانت للجماعة الصالحة علاقات واسعة مع جماعات عديدة من المسلمين.

٢ ـ العلاقة السلبية مع اعداء أهل البيت (عليهم السلام): إنّ المقاطعة هي السمة الغالبة للعلاقات مع من نصب العداء لأهل البيت(عليهم السلام)، ويلحق بها مقاطعة أصحاب البدع ، والغلاة ، وأعوان النظام الجائر ممّن أبغض أهل البيت (عليهم السلام).

ودرجة المقاطعة تتحكم بها الظروف عادة، فإذا كانت الظروف غير مؤاتية فالمصانعة هي العلاقة المختارة، فقد قال (عليه السلام): «**صانع المنافق بلسانك** »[3].

٣ ـ إنّ المشاركة في النشاطات العامة التي فيها مصلحة للاسلام ومصلحة الجماعة الصالحة هي أمر مطلوب ومحمود ولا يضرّ بالانتماء لأهل البيت(عليهم السلام).

---

(١) تحف العقول : ٢١٤ .

(٢) المصدر السابق : ٢١٦ .

(٣) المصدر السابق : ٢١٣ .

٣ ـ العلاقة مع أهل الذمة

رسم الإمام (عليه السلام) منهجاً لعلاقة الجماعة الصالحة مع أهل الذمّة ، على أساس المعايشة وعدم الاعتداء ، قال (عليه السلام) : « ... **فإذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم ، وحرمت أموالهم وحلّت لنا مناكحهم** »[١].

وقال (عليه السلام) : « **ما من رجل أمن رجلاً على ذمة ثم قتله إلّا جاء يوم القيامة يحمل لواء الغدر** »[٢].

وحرّم (عليه السلام) الاعتداء على أموالهم وممتلكاتهم بغصبٍ أو سرقة أو غش[٣] .

وأوصى باحترام احكامهم الفقهية والمدنية وأحكام القضاء والمواريث ، وان كانت مخالفة للشريعة الإسلامية[٤] .

٤ ـ العلاقة مع الكفّار

إنّ العلاقة مع الكفّار قائمة على أساس قاعدة البراءة ، وهي المفاصلة بين الإسلام والكفر ، فلا تجوز المعاونة لهم بأي لون ، ويحرم إسنادهم بأي شكل من أشكال الإسناد .

والبراءة تستدعي المقاومة بل المواجهة معهم أحياناً، ولذا كان(عليه السلام) يشجع على بيع السلاح لمن يحارب به الكفّار وان كان مخالفاً أو معادياً لأهل

---

(١) تحف العقول : ٢١٠ ، والمعروف عند علماء مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) أن النكاح الجائز مع أهل الذمّة هو النكاح المؤقت فحسب.

(٢) الكافي : ٥ / ٣١.

(٣) المصدر السابق : ٥ / ٥٦٨ .

(٤) وسائل الشيعة : ٢٦ : ٣١٩ .

البيت (عليهم السلام) وللجماعة الصالحة؛ فإنّ هذا العمل في رأي الإمام (عليه السلام) يتم به دفع العدو المشترك ، وإبعاد خطره الذي يهدّد الكيان الاسلامي.

سابعاً : الإمام الباقر (عليه السلام) والنظام الأمني للجماعة الصالحة

أولى الإمام (عليه السلام) اهتماماً خاصاً بالنظام الأمني للجماعة الصالحة ، حفاظاً علىٰ سلامة أفرادها وكيانها من التصدّع أو التصفية الجسدية ، ليبقى أفرادها أحراراً في حركتهم الاصلاحية والتغييرية. والاحتياط والحذر الأمني له آثار ايجابية علىٰ سلامة العقيدة وسلامة الشريعة وسلامة القيم الإسلامية ، فإنّ أي خلل في الوضع الأمني يؤدي الىٰ سجن أو قتل أو تهجير من له تأثير ايجابي في الأُمة ، وبالتالي يكون خير فرصة للمنحرفين لنشر عقائدهم وافكارهم لبلبلة الأفكار وخلق الاضطراب في العقول والقلوب والنفوس ، بعد خلو الميدان من المصلحين الذين ينتمون الى الجماعة الصالحة .

والاهتمام بالنظام الأمني يضمن للجماعة الصالحة بقاء القيادة وهي المعصومة (عليه السلام) بين ظهرانيهم ، ترشدهم وتوجههم وتربيهم ، وتعلّمهم أحكام الدين وسبل الشريعة .

وللنظام الأمني معالم ومظاهر يمكن تحديدها في النقاط التالية :

١ ـ التقيّة

التقية عملية مشروعة لما لها من آثار ايجابية على سير الجماعة الصالحة وتوجيه حركتها نحو اصلاح الواقع وتغييره دون عرقلة أو منع أو تحجيم .

وللتقية موارد عديدة تحددها طبيعة الظروف المحيطة بالفرد

وبالجماعة الصالحة ، من حيث القوة والضعف ، ومن حيث موقف الحكام وأجهزته من الإمام (عليه السلام) ومن الجماعة الصالحة.

والقاعدة الاساسية في استخدام التقية هي قول الإمام (عليه السلام) : « **التقيّة في كل ضرورة** »[١].

فالضرورة هي التي تحدّد استثمارها واستخدامها من حيث الوجوب والاستحباب، ومن حيث المرّة والتكرار .

والهدف من التقيّة هو حقن الدماء وحفظها في مواقف ليست ضرورية، وليس لها تأثير علىٰ سير حركة الاصلاح والتغيير ، أمّا إذا لم تحقق هدفها ذاك فلا ينبغي ممارستها .

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : « **إنما جعلت التقيّة ليحقن بها الدماء ، فإذا بلغ الدّم فلا تقيّة** »[٢].

ومن موارد التقيّة :

أ ـ كتمان المعتقد بالاسلام إذا كان المجتمع مجتمعاً غير اسلامي محارباً للمسلمين ، وكتمان المعتقد بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) إذا كان المجتمع مخالفاً أو معادياً لهم ، ويستحل قتل أو تعذيب من يروّج له أو يعلن الانتماء اليه .

أو كان الاعلان عن المعتقد يؤدي الىٰ عزل المؤمن عن المجتمع وعدم التأثر بقوله وفعله ، أي في حال عرقلة مهمة الاصلاح والتغيير .

ب ـ كتمان الأحكام الفقهية إن ادّت الىٰ الضرر الكبير .

ت ـ كتمان الآراء السياسية .

ث ـ كتمان الأسرار السياسية .

---

(١) بحار الأنوار : ٧٢ / ٣٩٩.

(٢) المصدر السابق : ٧٢ / ٣٩٩.

ج ـ كتمان البرامج والخطط المعدّة لاصلاح الواقع وتغييره .

والتقية قد تكون بكتمان هذه الموارد ، أو التظاهر بغيرها . وبعبارة أُخرىٰ: ان التقيّة هي المصانعة مع المخالفين أو المعادين للجماعة الصالحة تخلّصاً من عدوانهم وأذاهم، أو إضرارهم بالعمل.

والتقيّة هي الموقف المتوازن بين الانعزال عن المجتمع والابتعاد عن ميدان الاصلاح والتغيير ، وبين المواجهة والصراع ، لأنّ عدم ممارستها يؤدي الىٰ واحد من الموقفين ، وفي كليهما لا يحقق الانسان اهدافه في الحياة الاجتماعية ، وقد يؤدي احياناً الىٰ النكوص والتراجع أو التخلّي نهائياً عن المنهج السليم ، أو الانحراف عنه .

فالانعزال قد يؤدي الىٰ الوقوع في حبائل الغلو ، والتحول إلى الباطنية كما حدث للحركة الاسماعيلية .

والمواجهة قد تؤدي الىٰ الضعف أمام أساليب الأرهاب والإغراء والخداع والتضليل ان كانت الجماعة الصالحة غير مهيئة لخوض غمار الصراع والمواجهة .

وقد استطاع الإمام (عليه السلام) أن يحافظ علىٰ أمن الجماعة الصالحة بتأكيده علىٰ التقيّة ، حيث استطاع أن يوسّع قاعدته الشعبية ، ويرفد الجماعة الصالحة بأفراد جدد ، وبكوادر جديدة ، واستطاع أن ينشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) وان يشيع الفضائل والمكارم في المجتمع ، دون ان يمنح للحكّام فرصة لاغتياله أو اعتقاله أو منعه من نشاطاته العامة في التدريس ، واللقاءات ، والزيارات .

والتقيّة قد تتوقف احياناً وفي حدود خاصة علىٰ تظاهر الانسان بالجنون حفاظاً علىٰ نفسه والجماعة التي ينتمي اليها ، وهي حالة نادرة أمر بها الإمام (عليه السلام) جابر بن يزيد الجعفي ، حيث كتب اليه كتاباً في ذلك، فلما دخل

الكوفة ، لم يُرَ ضاحكاً ولا مسروراً ، وتظاهر بالجنون ، وبعد أيام من كتاب الإمام (عليه السلام) جاء كتاب هشام بن عبد الملك يأمر بقتله ، فتركه الوالي ولم يقتله ، بعد أن أخبره الناس بجنونه(١).

٢ ـ كتمان الاسرار

ان الظروف المحيطة بالإمام (عليه السلام) وبالجماعة الصالحة جعلت الإمام (عليه السلام) يأمر بكتمان الاسرار ، قال (عليه السلام) : « **اكتموا اسرارنا ولا تحمّلوا الناس علىٰ أعناقنا** »(٢).

والجماعة الصالحة محاطة بجماعات وتيارات وأجهزة أمنية تتابع أقوالها وأفعالها وممارساتها العملية ، وتستثمر الثغرات والفرص المتاحة لتشويه سمعتها في عقيدتها وفي أحكامها وفي سلوكها ، وتحجيم دورها في الحياة ؛ ولهذا فهي بحاجة الىٰ عناية اضافية بكتمان الاسرار ، سواء كانت ممّا يتعلق بفضائل ومكارم أهل البيت (عليهم السلام) التي لا تتحملها عقول المخالفين ، أو ممّا يتعلق بتنظيم الجماعة الصالحة من حيث العدّة والعدد ، وأسماء الوكلاء ، أو الطليعة المؤثرة علىٰ سير الأحداث ، أو كانت من أسرار العلاقات واللقاءات، أو الأسرار السياسية المتعلقة بالبرامج والخطط الموضوعة لاصلاح وتغيير الواقع السياسي والاجتماعي ، أو الأسرار المتعلقة بساعات التنفيذ وما شابه ذلك .

فالإمام (عليه السلام) كان يتكتم على المواقف المهمة ، فحينما حرّم الدخول الى السلاطين والتعاون معهم ، كان هذا التحريم محدوداً لم يبلّغ به إلّا

(١) بحار الأنوار : ٤٦ / ٢٨٣ .
(٢) المصدر السابق : ٧١ / ٢٢٥ .

المقربين منه .

وكان يخطط لثورة زيد دون أن تعلم به السلطات ، ودون علم كثير من أفراد الجماعة الصالحة ، وكان يكتفي بمدح شخصية زيد ليوجه الانظار بصورة غير مباشرة اليه والى مواقفه المستقبلية .

وكان يثني علىٰ المختار مقرّاً بثورته وولائه لأهل البيت (عليهم السلام) ولكن في نطاق محدود أمام بعض أصحابه .

ولم يعلن (عليه السلام) عن إمامة الإمام الصادق (عليه السلام) إلّا في نطاق محدود لمن كان يثق به ويعتمد عليه في عدم كشف السرّ إلّا في وقته المناسب .

٣ـ التوازن في العلاقة مع الحكّام

إنّ مقاطعة الحاكم الجائر هي إحدى الخصائص التي اختص بها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وقد كانت ارشادات وأوامر الإمام الباقر (عليه السلام) الى أفراد الجماعة الصالحة تؤكد علىٰ المقاطعة في جميع صورها ، لأنّ العمل مع الجائر يؤدي الى احتمالات واقعية ، هي:

أ ـ تقويته ودعم أركان دولته المنحرفة .

ب ـ ممارسة الاعمال المنحرفة التي يمليها الواقع المنحرف .

ت ـ تأثر العامل معه ـ في بعض الأحيان ـ بالاغراء المتنوع ، بالأموال والمناصب والجاه ، وقد يؤدي هذا إلى التخلي عن الانتماء الىٰ الجماعة الصالحة.

ث ـ تحول العامل الىٰ عدو للجماعة الصالحة في بعض الاحيان .

ولهذا أمر (عليه السلام) بمقاطعة الحاكم الجائر[1]. وجعل العمل مع الجائر دليلاً علىٰ كراهية الجنّة ، تشديداً منه علىٰ عدم الدخول معه في الاعمال. عن عقبة ابن بشير الأسدي ، قال : دخلت علىٰ أبي جعفر (عليه السلام) فقلت له : اني من الحسب الضخم من قومي ، وانّ قومي كان لهم عـريف فـهلك ، فأرادوا ان يـعرفوني عليهم ، فما ترى لي ؟

قال (عليه السلام) : « **فإن كنت تكره الجنة وتبغضها ، فتعرّف علىٰ قومك ، يأخذ سلطان جائر بإمرئ مسلم يسفك دمه ، فتشركهم في دمه ، وعسىٰ أن لا تنال من دنياهم شيئاً** »[2].

وعلىٰ الرغم من أوامره في مقاطعة الحاكم الجائر إلّا انّه راعى المصلحة الإسلامية العليا في موارد عديدة ، فجوّز (عليه السلام) بيع السلاح أو حمله الىٰ اتـباع السلطان[3] للمساهمة في ردّ أعداء الكيان الاسلامي ، ولإثبات حسن التعامل للحاكم إن سمع أو لاحظ هذه الإسناد .

وكان (عليه السلام) لا يمتنع إن دعاه الحاكم للقاء به ، ولا يمنع أصـحابه مـن ذلك ، حفاظاً علىٰ أمنهم ، لأنّ التمرد علىٰ طلبه قد يؤدي الىٰ كشف نواياهم في المعارضة وعدم الرضىٰ بحكمه .

ولم يمنع (عليه السلام) أفراد الجماعة الصالحة من المشاركة في الغزوات التي كان يقودها حكّام الجور المسلمون في مختلف الأزمان .

---

(١) كفاية الأثر : ٢٥١ .

(٢) رجال الكشي : ٢٠٤ .

(٣) الكافي : ٥ / ١١٢ .

٤ ـ مراعاة المستويات المختلفة

راعى الإمام (عليه السلام) في أوامره وتعليماته ، وفي اشراك أفراد الجماعة الصالحة في النشاطات والاعمال المختلفة ، تفاوت مستويات الأفراد المختلفة من حيث الطاقات والامكانيات ، ومن حيث الوعي والادراك ، ودرجة التحمّل، والقدرة علىٰ أداء الواجب أو الاستمرار في الأعمال ، وحدّد لكل فرد مستواه ؛ لكي يكلّف بقدر مستواه .

عن سدير قال : قال لي أبو جعفر (عليه السلام) : « **ان المؤمنين علىٰ منازل ، منهم علىٰ واحدة ، ومنهم علىٰ اثنين ، ومنهم علىٰ ثلاث ، ومنهم علىٰ أربع ، ومنهم علىٰ خمس ، ومنهم علىٰ ست ، ومنهم علىٰ سبع ، فلو ذهبت تحمّل علىٰ صاحب الواحدة ثنتين لم يقو ، وعلىٰ صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو ، وعلىٰ صاحب الثلاث أربعاً لم يقو . . .** »[١].

وكذا الحال في اعطاء الاسرار المتعلقة بالفضائل والكرامات لأهل البيت (عليهم السلام) أو الاسرار السياسية ، فلكل فرد حسب طاقته العقلية والعاطفية والبدنية .

ثامناً : الإمام الباقر (عليه السلام) والنظام الاقتصادي للجماعة الصالحة

للاقتصاد دور كبير في حركة الأُمم والجماعات ، من حيث النمو والثبات والتكامل ، ومدّها بالقدرة علىٰ مواجهة الصعاب التي تقع في طريق النمو والتكامل ، فهو أحد العوامل الاساسية في بناء الحضارات ورفدها بأُسس البقاء والاستمرار ، حتىٰ ان الإسلام في جميع مراحله لم يحقق أهدافه القريبة أو البعيدة إلّا بالاستعانة بالاقتصاد ، وبالمال الذي هو العصب الاساسي له .

---

(١) الكافي : ٢ / ٤٥ .

وأكّد الإمام الباقر (عليه السلام) في توجيهاته وارشاداته للجماعة الصالحة على أهمية المال في نجاح أعمالها ، واستقامة شؤونها ، وقوة كيانها ، فقال (عليه السلام) : **« ... هي الدنانير والدراهم خواتيم الله في أرضه ، جعلها الله مصلحة لخلقه ، وبه تستقيم شؤونهم ومطالبهم »**[١].

التأكيد علىٰ أهمية العامل الاقتصادي

وحثّ الإمام (عليه السلام) على العمل لكسب الرزق ، والاستغناء عن الناس . حين حثّ علىٰ التجارة والزراعة والصناعة وعلى تعلم الحرفة، وكان (عليه السلام) يعمل بنفسه ويرى انّ في العمل طاعة لله ، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) أ نّه قال : إنَّ محمّد بن المنكدر كان يقول : ماكنت أرىٰ أنّ عليّ بن الحسين (عليه السلام) يدع خلفاً أفضل منه ، حتىٰ رأيت ابنه محمد بن عليّ (عليه السلام) فأردت أن أعظه فوعظني ، فقال له أصحابه : بأي شيء وعظك ؟ قال : خرجت الىٰ بعض نواحي المدينة في ساعة حارة ، فلقيني أبو جعفر محمد بن عليّ ، وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متكئ علىٰ غلامين أسودين أو موليين ، فقلت في نفسي : سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا ، أما والله لأعظنه ، فدنوت منه فسلّمت عليه فردّ عليّ بنهر ، وهو يتصبّب عرقاً ، فقلت : أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال ماكنت تصنع ؟

فقال (عليه السلام) : **لو جاءني الموت وأنا علىٰ هذه الحالة جاءني وأنا في طاعة من طاعة الله عزوجل ؛ اكفُّ بها نفسي وعيالي عنك وعن النّاس ، وإنما كنت أخاف أن لو جاءني الموت وأنا علىٰ معصية من معاصي الله .**

---

(١) أمالي الطوسي : ٢ / ١٢٣ .

فقلت : صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني[١].

وكان (عليه السلام) يستشهد بسيرة آبائه وأجداده للحث علىٰ العمل وطلب الرزق ، فقد روى (عليه السلام) : **أن رجلاً لقي أمير المؤمنين (عليه السلام) وتحته وسق من نوىٰ ، فقال له : ما هذا يا أبا الحسن تحتك ؟ فقال : مائة عذق ان شاء الله ، فغرسه فلم يغادر منه نواة واحدة**[٢].

وكان ينهى عن الكسل والتقاعس عن العمل ، وقد جعل الكسل عن الآخرة ملازماً للكسل عن طلب الدنيا ، فقال : « **إنّي لأبغض الرجل ـ أو أبغض للرجل ـ أن يكون كسلاناً عن أمر دنياه ، ومن كسل عن أمر دنياه ، فهو عن أمر آخرته أكسل** »[٣].

وبيّن ان الرزق من الله تعالى ، وهو الذي حدّد لكل نفس رزقها ، فما علىٰ الانسان إلّا السعي لطلبه ، قال (عليه السلام) : « **ليس من نفس إلّا وقد فرض الله عزّوجلّ لها رزقاً حلالاً يأتيها في عافية ، وعرض لها بالحرام من وجه آخر ، فإن هي تناولت شيئاً من الحرام قاصّها به من الحلال الذي فرض لها ، وعند الله سواهما فضل كثير ، وهو قوله عزوجلّ : ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾**[٤] **. . .** »[٥].

ونهىٰ عن جمع المال من المكاسب المحرّمة ومنها الغلول ، فقد سأله عمّار بن مروان عنها فقال : « **كل شيء غلّ من الإمام فهو سحت ، وأكل مال اليتيم وشبهه سحت ، والسحت أنواع كثيرة : منها أجور الفواجر ، وثمن الخمر والنبيذ ، والمسكر ، والربا بعد البيّنة ، فأمّا الرُشا في الحكم ، فإنّ ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله** »[٦].

---

(١) الكافي : ٥ / ٧٣ ـ ٧٤.
(٢) المصدر السابق : ٥ / ٧٥.
(٣) المصدر السابق : ٥ / ٨٥.
(٤) النساء (٤) : ٣٢.
(٥) الكافي : ٥ / ٨٠.
(٦) المصدر السابق : ٥ / ١٢٦.

ونهىٰ (عليه السلام) عن الربّا لأن فيه غصباً لحقوق الآخرين ، وإضعافاً لروح الودّ والإخاء ، وأماتة لروح الزهد في الدنيا والاحسان للآخرين ، ولذا اعتبره (عليه السلام) من أخبث المكاسب ، فقال (عليه السلام) : « **أخبث المكاسب كسب الرّبا** »[1].

ولم يحبّذ لانصاره العمل غير اللائق بهم وان كان حلالاً كالعمل في الحجامة[2].

التوازن بين طلب الرزق وطلب المكارم

حثّ الإمام (عليه السلام) علىٰ العمل وطلب الرزق كمقدمة للاستغناء عن الناس ، وإشباع النفس والعيال لكي يتفرغوا للهدف الكبير الذي خُلقوا من أجله وهو حمل الأمانة الإلهية ، وتبليغها للناس جميعاً ، وتقرير أُسسها وقواعدها في الواقع ، فقد أراد من أتباعه التطلع الىٰ أُفق أعلىٰ ، والىٰ اهتمامات أرفع لتكون القيم المعنوية هي الحاكمة علىٰ جميع تصرفاتهم المالية ، ولكي لا ينساقوا وراء الشهوات وينشغلوا باشباعها ، قال (عليه السلام) : « **ان أهل التقوىٰ هم الأغنياء ، أغناهم القليل من الدنيا ، فمؤنتهم يسيرة ... أخّروا شهواتهم ولذاتهم خلفهم** »[3].

وبيّن في دعاء له الأهداف المتوخاة من طلب الرزق وحدوده ، والتوازن بينه وبين القيم المعنوية ، ومن دعائه قوله (عليه السلام) : « **... اسألك اللهمَّ الرّفاهية في معيشتي ما أبقيتني ، معيشة اقوىٰ بها علىٰ طاعتك ، وأبلغ بها رضوانك ، وأصير بها بمنّك الىٰ دار الحيوان ، ولا ترزقني رزقاً يطغيني ، ولا تبتلني بفقر أشقىٰ به ، مضيّقاً عليّ ، أعطني حظاً وافراً في آخرتي ، ومعاشاً واسعاً هنيئاً مريئاً في دنياي ...** »[4].

---

(١) الكافي : ٥ / ١٤٧ .

(٢) المصدر السابق : ٥ / ١١٦ .

(٣) تحف العقول : ٢٠٩ .

(٤) بحار الأنوار : ٩٤ / ٣٧٩ ، طبعة ثانية : ٩٧ / ٣٧٩ .

وبيّن (عليه السلام) الميزان الاقتصادي والمالي للجماعة الصالحة لتوزن به درجة قربها وبعدها عن العمل للآخرة فقال: **«انّا لنحبّ الدنيا ولا نؤتاها، وهو خير لنا، وما أوتي عبد منها شيئاً إلّاكان أنقص لحظه في الآخرة، وليس من شيعتنا من له مائة ألف ولا خمسون ألفاً ولا أربعون ألفاً، ولو شئت أن أقول ثلاثون ألفاً لقلت، وما جمع رجل قط عشرة الآف من حلّها»**[(1)].

ودعا (عليه السلام) الىٰ الاقتصاد في اشباع الرغبات والشهوات لكي لا تصبح هدفاً بذاتها، فقال (عليه السلام): **«إذا شبع البطن طغى»**[(2)].

وقال أيضاً: **«ما من شيء أبغض الىٰ الله عزّوجلّ من بطن مملوء»**[(3)].

الموارد المالية للجماعة الصالحة

الأول: الزكاة: الزكاة هي أحد الموارد المالية للجماعة الصالحة، وهي عبادة اقتصادية أمر الله تعالىٰ بها لاشباع الجياع وكسوتهم ورفع المستوىٰ المعاشي للفقراء والمحتاجين، وايجاد التوازن بين الطبقات لكي لا يحدث تفاوت فاحش بين مستويات الناس الاقتصادية، ولكي لا تتكدس الأموال عند طبقة معيّنة.

وقد حثّ (عليه السلام) علىٰ اعطاء الزكاة، ومما جاء في ذلك قوله (عليه السلام): **«فرض الله الزكاة مع الصلاة»**[(4)].

وبيّن (عليه السلام) الآثار المترتبة علىٰ منع الزكاة ومنها منع البركات

---

(١) بحار الأنوار: ٦٩ / ٦٦، طبعة ثانية: ٧٢ / ٦٦.

(٢) الكافي: ٦ / ٢٧٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الكافي: ٣ / ٤٩٨.

فقال (عليه السلام) : «**وجدنا في كتاب عليٍّ (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها**»(١).

ومن آثار منعها في الحياة الأُخرىٰ هو العذاب الإلهي ، قال (عليه السلام) : « **انّ الله تبارك وتعالى يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم مشدودة ايديهم الىٰ اعناقهم لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيس أنملة، معهم ملائكة يعيّرونهم تعييراً شديداً ، يقولون : هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خير كثير ، هؤلاء الذين اعطاهم الله ، فمنعوا حقّ الله في أموالهم** »(٢).

الثاني : الخمس: حثّ الإمام (عليه السلام) علىٰ اعطاء الخمس لأنّه فريضة ثابتة في الشريعة الإسلامية ، وهي حقّ ثابت فمن لم يعطه فقد أكل حقاً ، ومن تصرّف به فقد تصرف بأموالٍ ليست له ، قال (عليه السلام) : « **من اشترىٰ شيئاً من الخمس لم يعذره الله ، اشترىٰ ما لا يحلّ له** »(٣).

وقال (عليه السلام) : « **لا يحلّ لأحد أن يشتري من الخمس شيئاً حتّىٰ يصل إلينا حقّنا** »(٤).

وقد بيّن (عليه السلام) هذا الحق المغتصب وغيره من الحقوق ، وأوضح قاعدة عامة فقال : « **ما كان للملوك فهو للإمام** »(٥).

ومن الموارد المالية الواجبة: الكفّارات ، وهنالك موارد ثانوية غير واجبة كالهدايا والصدقات والانفاق في وجوه الخير .

---

(١) الكافي : ٣ / ٥٠٥ .
(٢) المصدر السابق : ٣ / ٥٠٦ .
(٣) تهذيب الاحكام : ٤ / ١٣٦ .
(٤) الكافي : ١ / ٤٥٨ .
(٥) المصدر السابق: ٤٥٨/١ .

التكافل داخل الجماعة الصالحة

الجماعة الصالحة لها كيانها المستقل ومواردها المستقلة التي سبق ذكرها، وانّ انفاق الأموال في مواردها التي وضعها الله تعالىٰ تؤدي الىٰ التكافل داخل الجماعة الصالحة .

فالزكاة تدفع للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، وفي عتق الرقاب المؤمنة ، وللمثقلين بالديون ، وابن السبيل وتدفع للمؤلفة قلوبهم للاسلام ولمذهب أهل البيت (عليهم السلام) أو دفع شرّهم ، ولها موارد انفاق تقع تحت عنوان (في سبيل الله) .

وهي تدفع لهم مباشرة دون إذن الإمام (عليه السلام) كما يفهم من أحاديثه الشريفة[1].

وهي في الأصل تدفع إلى من ينتمي الىٰ الجماعة الصالحة ، فعن ضريس قال : سأل المدائني أبا جعفر (عليه السلام) قال : ان لنا زكاة نخرجها من أموالنا ، ففيمن نضعها ؟

فقال (عليه السلام) : **في أهل ولايتك .**

فقال : اني في بلاد ليس فيها أحد من أوليائك .

فقال (عليه السلام) : « **ابعث بها الىٰ بلدهم تدفع اليهم ، ولا تدفعها الىٰ قوم ان دعوتهم غداً إلى أمرك لم يجيبوك** »[2].

وقال (عليه السلام) : « **إنّما موضعها أهل الولاية** »[3].

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ٢ / ٣٠ .
(٢) الكافي : ٣ / ٥٥٥ .
(٣) المصدر السابق : ٣ / ٥٤٥ .

وكان يقدّم المهاجرين وأصحاب العقل والفقه علىٰ غيرهم ، فحينما سئل (عليه السلام) عن كيفية العطاء فقال (عليه السلام) : **« اعطهم علىٰ الهجرة في الدين والعقل والفقه »**(١).

أما الرقاب وسهم المؤلفة قلوبهم فلا يشترط فيها الانتماء الىٰ الجماعة الصالحة كما هو المشهور .

والزكاة الواجبة تختص بالمحتاجين وغير القادرين علىٰ العمل ، فلا ينبغي إعطاؤها لغيرهم، قال (عليه السلام) : **« ان الصدقة لا تحلّ لمحترف ، ولا لذي مرّة سوي قوي ، فتنزهوا عنها »**(٢).

وقد حدّد (عليه السلام) أصناف وأوصاف المستحقين فقال : **« المحروم : الرجل الذي ليس بعقله بأس ، ولم يبسط له في الرزق وهو محارف »**(٣).

« الفقير الذي لا يسأل ، والمسكين الذي هو أجهد منه الذي يسأل »(٤).

ويجب اعطاء الزكاة مصحوباً بالتكريم ، فعن أبي بصير قال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : الرجل من أصحابنا يستحي أن يأخذ من الزكاة ، فاعطيه من الزكاة ولا أُسمّي له أنّها من الزكاة ؟

فقال (عليه السلام) : **« اعطه ولا تسمّ له ولا تذل المؤمن »**(٥).

والعطاء ينبغي أن يكون الىٰ حد الإغناء بحيث لا يبقى محتاجاً ،

(١) الكافي : ٣ / ٥٤٩ .
(٢) وسائل الشيعة : ٩ / ٢٣١ .
(٣) الكافي : ٣ / ٥٠٠ .
(٤) المصدر السابق : ٣ / ٥٠٢ .
(٥) المصدر السابق : ٣ / ٥٦٤ .

قال (عليه السلام) : « **إذا أعطيته فأغنه** »[١].

أمّا مصرف الخمس فهو عائد للإمام قال (عليه السلام) : « **والخمس لله وللرسول ولنا** »[٢].

والخمس ملك للإمام (عليه السلام) باعتبار منصبه ، وليست ملكاً شخصياً له ، وقد دلت سيرة الإمام الباقر (عليه السلام) وسيرة من سبقه من الائمة (عليهم السلام) علىٰ ذلك ، فكانوا يأخذونه وينفقونه لا على أنفسهم ، حيث كان ما ينفق علىٰ انفسهم وعيالهم شيئاً يسيراً ، بالقياس الىٰ ضخامة الأموال التي تُجبىٰ اليهم ، ومع ذلك كان بعضهم محتاجاً ، لأنّه كان ملكاً للمنصب وليس للشخص .

ومن أجل احياء روح التكافل الاقتصادي والاجتماعي حثَّ الإمام (عليه السلام) علىٰ الصدقة وهي الزكاة المستحبة فقال : « **ان الصدقة لتدفع سبعين بليّة من بلايا الدنيا مع ميتة السوء** »[٣].

وقال (عليه السلام) : « **ان صنائع المعروف تدفع مصارع السوء** »[٤].

وحث (عليه السلام) علىٰ اطعام الطعام وذبح الذبائح واشباع الفقراء والمحتاجين منها فقال : « **ان الله عزوجلّ يحب اطعام الطعام واراقة الدماء** »[٥].

وحث علىٰ الجود والسخاء ، والانفاق ، والهدية والقرض ، وانظار المعسر في تسديد دينه ، كما ورد في مختلف كتب الحديث عنه (عليه السلام) .

وكان يتصدق في كل جمعة ويقول : « **الصدقة يوم الجمعة تُضاعف لفضل**

---

(١) الكافي : ٣ / ٥٤٨ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٥٣٩ .

(٣) المصدر السابق : ٤ / ٦ .

(٤) المصدر السابق : ٤ / ٢٩ .

(٥) المصدر السابق : ٤ / ٥١ .

يوم الجمعة علىٰ غيره من الأيام »(١).

وكان ينفق الأموال علىٰ أصحابه ، فقد أمر غلامه بإعطاء الأسود بن كثير سبعمائة درهم ، وقال له : استنفق هذه فإذا فرغت فأعلمني(٢).

وعن سلمىٰ مولاته قالت :كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده ، حتىٰ يطعمهم الطعام الطيّب ، ويكسوهم الثياب الحسنة في بعض الاحيان، ويهب لهم الدراهم ، فأقول له في ذلك ليقلّ منه.

فيقول : **يا سلمىٰ ما حسنة الدنيا إلّا صلة الاخوان والمعارف**(٣).

وجعل (عليه السلام) الانفاق مقياساً للأُخوة ، حين قال لجماعة من أصحابه : **يدخل أحدكم يده في كُمِّ أخيه يأخذ حاجته ؟** فقالوا : لا .

قال (عليه السلام) : **ما أنتم بإخوان**(٤).

ونهىٰ عن السؤال ومع ذلك شجّع علىٰ عدم رد السائل فقال : «**لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحد أحداً ، ولو يعلم المعطي ما في العطيّة ما ردّ أحد أحداً**»(٥).

وجعل التعامل الاقتصادي فيما بين الجماعة الصالحة أو غيرها من الجماعات قائماً علىٰ أساس قاعدة (لا ضرر ولا ضرار)، التي رواها عن جدّه رسول الله(٦).

---

(١) ثواب الاعمال : ١٦٨ .

(٢) صفة الصفوة : ٢ / ١١٢ .

(٣) الفصول المهمة : ٢١٥ .

(٤) مختصر تاريخ دمشق : ٢٣ / ٨٥ .

(٥) الكافي : ٤ / ٢٠ .

(٦) المصدر السابق : ٥ / ٢٩٢ .

تاسعاً : الإمام الباقر (عليه السلام) والنظام الاجتماعي للجماعة الصالحة

النظام الاجتماعي للجماعة الصالحة هو مصداق حقيقي للنظام الاجتماعي الاسلامي الذي أرسىٰ دعائمه القرآن الكريم ، وخاتم المرسلين (صلى الله عليه وآله) وهو قائم علىٰ أُسس خلقية في التعامل والعلاقات ، وعلىٰ رأسها حسن الخُلق، قال الإمام الباقر (عليه السلام) : « **إنّ أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً** »[1].

ومن حسن الخلق تلقّي الآخرين بوجه منبسط ، فقد قال (عليه السلام) : « **أتىٰ رسول الله رجل فقال : يا رسو الله أوصني ، فكان فيما أوصاه أن قال : الق أخاك بوجه منبسط** »[2].

ومن مصاديق حسن الأخلاق الرفق بجميع أصناف الناس قال (عليه السلام) : « **من قسم له الرفق قسم له الإيمان** »[3] .

ووضع لكل وحدة اجتماعية نظامها الخاص بها ، وعلاقاتها مع الوحدات الاجتماعية الأُخرىٰ ، ابتداءاً بالاسرة وانتهاءاً بالمجتمع الكبير .

١ ـ الاسرة

الاسرة هي المؤسسة الاولىٰ والاساسية من بين المؤسسات الاجتماعية المتعددة ، وهي المسؤولة عن رفد المجتمع بالعناصر الصالحة ، وهي نقطة البدء التي تزاول انشاء وتنشئة العنصر الانساني . وقد وضع القواعد الأساسية

---

(١) الكافي : ٢ / ٩٩ .
(٢) المصدر السابق : ٢ / ١٠٣ .
(٣) المصدر السابق : ٢ / ١١٨ .

في تنظيمها وضبط شؤونها، ابتداءاً باختيار شريك الحياة المناسب علىٰ أساس التديّن وحسن الخلق والانحدار من اسرة صالحة، كما وضع برنامجاً للحقوق والواجبات علىٰ كل من الزوجين، ومراعاتهما من قبلهما كفيل بإشاعة الاستقرار والطمأنينة في أجواء الاسرة.

فقد روىٰ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حق الزوج علىٰ الزوجة بقوله: **« أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تتصدق من بيتها بشيء إلّا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلّا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت علىٰ ظهر قتب، ولا تخرج من بيتها إلّا بإذنه... »**[1].

وقال (عليه السلام): **« جهاد المرأة حسن التبعل »**[2].

ودعا إلى تحمّل أذىٰ الزوج من أجل إدامة العلاقة الزوجية، وعدم تفكّك الأُسرة من خلال عدم مقابلة الأذىٰ بأذىٰ، بقوله (عليه السلام): **« وجهاد المرأة أن تصبر علىٰ ما ترىٰ من أذىٰ زوجها وغيرته »**[3].

ووضع الإمام (عليه السلام) واجبات علىٰ الزوج اتجاه زوجته، وهو مسؤول عن تنفيذها لكي يتعمق الودّ بينهما، ويكون الاستقرار والهدوء هو السائد في أجواء الاسرة، ومن هذه الحقوق، الاطعام وما تحتاجه من ثياب، قال (عليه السلام): **« من كانت عنده امرأة فلم يكسها ما يواري عورتها ويطعمها ما يقيم صلبها كان حقاً علىٰ الإمام أن يفرّق بينهما »**[4].

وأكّد علىٰ الاهتمام بالزوجة ومراعاتها، فقد روىٰ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: **« أوصاني جبرئيل بالمرأة حتىٰ ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلّا من**

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢١٤.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ٣ / ٢٧٨.
(٣) مكارم الاخلاق: ٢١٥.
(٤) المصدر السابق: ٢١٧.

فاحشة بيّنة»[١].

وحثّ علىٰ تحمل الأذىٰ من المرأة ، وعدم مقابلة الأذىٰ بـالأذىٰ لأن ذلك يؤدي إلى تردّي العلاقات وتشنجها ، فقال (عليه السلام) : **« من احتمل من امرأتـه ولو كلمة واحدة أعتق الله رقبته من النار وأوجب له الجنة . . . »**[٢].

وقد كان (عليه السلام) أُسوة في تحمل الأذىٰ ، حتى قال الإمام الصادق (عليه السلام) : **«كانت لأبي امرأة وكانت تؤذيه وكان يغفر لها »**[٣].

ووضع (عليه السلام) منهجاً للحقوق والواجبات بين الأبناء ووالديهم ، فالواجب علىٰ الوالدين تربية أولادهم علىٰ المفاهيم والقيم الإسلامية[٤]. وابعادهم عن الانحرافات بمختلف الوانها[٥].

ووضع (عليه السلام) برنامجاً للتربية في مختلف مراحل حياة الاطفال ابـتداءاً بالطفولة المبكرة حتىٰ بلوغ وسن التكليف والرشد[٦].

وحثّ (عليه السلام) علىٰ التعامل المتوازن مع الاطفال فقال (عليه السلام): **« شرّ الآباء من دعاه التقصير الىٰ العقوق وشرّ الآباء من دعاه البر الىٰ الافراط »**[٧].

وأمر (عليه السلام) ببرّ الوالدين ، فقال : **« ثلاثة لم يجعل الله عزّوجلّ فيهنّ رخـصة : أداء الأمانة الىٰ البرّ والفاجر ، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر ، وبـرّ الوالديـن بـرّين كـانا أو فاجرين »**[٨].

---

(١) مكارم الأخلاق : ٢١٦ .

(٢) المصدر السابق : ٢١٦ .

(٣) من لا يحضره الفقيه : ٣ / ٢٧٩ .

(٤) مكارم الاخلاق : ٢٢٢ .

(٥) المصدر السابق : ٢٢٣ .

(٦) مراجعة كتاب : تربية الطفل في الإسلام ، اصدار مركز الرسالة .

(٧) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٣٢٠.

(٨) الكافي : ٢ / ١٦٢ .

وكانت أوامره مؤكدة علىٰ برّ الوالدين وان كانا منحرفين أو فاجرين وذلك لحقوقهما علىٰ الابن .

ونهىٰ عن العقوق مهما كانت الظروف ، وان كان الوالدان مسيئين للأبناء ، فقد روىٰ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله : « **اياكم وعقوق الوالدين ، فإنّ ريح الجنّة توجد من مسيرة ألف عام ، ولا يجدها عاقّ . . .** »[١].

٢ ـ الأرحام

الأرحام هم كل من يرتبط بالاسرة بعلاقة نسبية وهم الاخوان والأخوات والأعمام والأخوال ، والأجداد ، وسائر أفراد العشيرة القريبين بالنسب أو البعيدين. لقد حثّ الإمام (عليه السلام) علىٰ صلتهم بزيارة أو لقاء ، وما يترتّب علىٰ هذه العلاقات من حقوق . وهم مقدّمون علىٰ غيرهم في الاحسان إليهم ، وإدخال السرور في قلوبهم ، ومساعدتهم في حلّ مشاكلهم .

وبيّن (عليه السلام) الآثار الايجابية المترتبة علىٰ صلة الارحام ، فقال : « **صلة الارحام تزكّي الاعمال ، وتدفع البلوىٰ ، وتنمي الاموال ، وتنسئ له في عمره ، وتوسّع في رزقه ، وتحبّب في أهل بيته ، فليتّق الله وليصل رحمه** »[٢].

وقال (عليه السلام) لأحد أصحابه : « **أما إنه قد حضر أجلك غير مرّة ولا مرتين ، كلّ ذلك يؤخّر الله بصلتك قرابتك** »[٣].

٣ ـ الجيران

أكّد الإمام (عليه السلام) علىٰ حسن التعامل مع الجيران فقال : « **قرأت في كتاب**

(١) الكافي : ٢ / ٣٤٩.

(٢) المصدر السابق : ٢ / ١٥٢ .

(٣) رجال الكشي : ٢٢٤ .

عليّ (عليه السلام) : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتب بين المهاجرين والانصار ومن لحق بهم من أهل يثرب، أن الجار كالنفس غير مضار ولا اثم ، وحرمة الجار علىٰ الجار كحرمة أُمّه »(١).

ونــهىٰ عــن أذىٰ الجـيران وتـضييع حـقوقهم ، فـقد روىٰ عـن أمـير المؤمنين(عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال : **« من آذىٰ جاره حرّم الله عـليه ريـح الجنة، ومأواه جهنّم وبئس المصير ، ومن ضيّع حق جـاره فـليس مـنّا ، ومـا زال جـبرئيل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنّه سيورثه . . . »**(٢).

ورویٰ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله : **« ما آمن بي من أمسىٰ شبعاناً وأمسىٰ جاره جائعاً »**(٣).

والجار في منهج أهل البيت (عليهم السلام) هو مطلق الانسان سواء كان من أفراد الجماعة الصالحة ، أو من غيرهم ، وسواء كان مسلماً أم غير مسلم ،كما هـو المشهور في الروايات الصادرة عنهم (عليهم السلام) .

٤ ـ أفراد الجماعة الصالحة

النظام الاجتماعي في داخل الجماعة الصالحة يقوم على أساس وحـدة التصورات والمبادئ ، ووحدة الموازين والقيم ، ووحدة الشرائع والقوانين ، ووحدة الاوضاع والتقاليد ، لأنّ مجموع الجماعة الصالحة تتلقىٰ منهج حياتها من جهة واحدة وهي أهل البيت (عليهم السلام) ، وتجمعها وحدة الطريقة التي تتلقىٰ بها ، ووحدة المنهج الذي تفهم به ما تتلقىٰ من أفكار وعواطف وممارسات .

والنظام الاجتماعي قائم علىٰ أساس القاعدة الثابتة ، وهي قـول الإمـام

(١) وسائل الشيعة : ١٢ / ١٢٦ .
(٢) المصدر السابق : ١٢ / ١٢٧ .
(٣) المحاسن : ٩٨ .

الباقر (عليه السلام) : **« المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأُمه »**[١].

فقد جعل العلاقة بين أفراد الجماعة الصالحة كالعلاقة النسبية التي تترتب عليها حقوق وواجبات ، كالسعي في حوائج المؤمنين ، وتفريج كربهم، والنصيحة لهم ، والدعاء لهم بالتوفيق ، وستر عيوبهم[٢].

والعلاقة القائمة تنطلق من الايثار وتحكيم الحق في النفس ، قال (عليه السلام): **« ان لله جنة لا يدخلها إلّا ثلاثة أحدهم من حكم في نفسه بالحقّ »**[٣].

ويقوم النظام الاجتماعي علىٰ قاعدة تعظيم وتوقير أفراد الجماعة الصالحة لكي يتعمّق الودّ والاخاء ، قال (عليه السلام) : **« عظموا اصحابكم ووقّروهم ولايتجهم بعضكم بعضاً ، ولا تضارّوا ولا تحاسدوا ، وايّاكم والبخل ، وكونوا عباد الله المخلصين »**[٤].

وحثّ الإمام (عليه السلام) علىٰ اشاعة الودّ والمحبّة من خلال ممارسات متنوّعة، قال (عليه السلام) : **« تبسّم الرجل في وجه أخيه حسنة ، وصرف القذىٰ عنه حسنة ، وما عبدالله بشيء أحبّ الىٰ الله من ادخال السرور علىٰ المؤمن »**[٥].

ووضع مجموعة من الحقوق المتبادلة عليهما فقال: **« من حقّ المؤمن علىٰ أخيه المؤمن أن يشبع جوعته ويواري عورته ويفرّج عنه كربته ويقضي دينه ، فإذا مات خلفه في أهله وولده »**[٦].

وحثّ علىٰ العوامل التي تؤدي الىٰ التقريب بين القلوب وتزيد في

---

(١) الكافي : ٢ / ١٦٦ .
(٢) الكافي : ٢ / ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ .
(٣) وسائل الشيعة : ١٥ / ٢٨٥ .
(٤) الكافي : ٢ / ١٧٣ .
(٥) المصدر السابق : ٢ / ١٨٨ .
(٦) المصدر السابق : ٢ / ١٦٩ .

الاخوة والتآلف والتآزر. عن أبي حمزة الثمالي قال: زاملت أبا جعفر (عليه السلام) فحططنا الرحل، ثم مشىٰ قليلاً، ثم جاء فأخذ بيدي فغمزها غمزة شديدة، فقلت: جعلت فداك أو ماكنت معك في المحمل؟! فقال: **أما علمت أنّ المؤمن إذا جال جولة ثم أخذ بيد أخيه نظر الله اليهما بوجهه، فلم يزل مقبلاً عليهما بوجهه، ويقول للذنوب: تتحاتَّ عنهما، فتتحاتّ ـ يا أبا حمزة ـ كما يتحاتُّ الورق عن الشجر، فيفترقان وما عليهما من ذنب »**[1].

وقال (عليه السلام): « **ينبغي للمؤمنين إذا توارىٰ أحدهما عن صاحبه بشجرة ثم التقيا أن يتصافحا** »[2].

وروىٰ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: « **إذا التقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرّقتم فتفرّقوا بالاستغفار** »[3].

وحثّ (عليه السلام) علىٰ تبادل الزيارات لأنها تؤدي الىٰ تجذر روح الإخاء وزرع الودّ في القلوب والنفوس، ورغّب فيها بتبيان آثارها الايجابية علىٰ المتزاورين، حين قال: « **أيّما مؤمن خرج الىٰ أخيه يزوره عارفاً بحقّه كتب الله له بكلّ خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئة، ورفعت له درجة، واذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فاذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه، ثم باهىٰ بهما الملائكة، فيقول: انظروا الىٰ عبدي تزاورا وتحابا فيَّ، حقٌّ عليَّ ألّا أُعذبهما بالنار بعد هذا الموقف، فإذا انصرف شيّعه الملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه، يحفظونه من بلاء الدنيا وبوائق الآخرة الىٰ مثل تلك الليلة من قابل، فإن مات فيما بينهما أُعفي من الحساب، وان كان المزور**

---

(١) الكافي: ٢ / ١٨٠.

(٢) المصدر السابق: ٢ / ١٨١.

(٣) المصدر السابق.

يعرف من حقّ الزائر ما عرفه الزائر من حقّ المزور ؛ كان له مثل أجره »[١].

ونهىٰ (عليه السلام) عن جميع الممارسات التي تؤدّي الىٰ الكراهية والتنافر والتقاطع كالغيبة والبهتان والتحقير والتعيير والتنابز بالالقاب ، والسباب ، والاعتداء علىٰ الأموال والأعراض وغير ذلك .

ودعا الىٰ الاصلاح بين المؤمنين وحثّهم علىٰ التآلف فقال (عليه السلام) : «**ان الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهم عن دينه ، فإذا فعلوا ذلك استلقىٰ علىٰ قفاه وتمدّد ، ثم قال : فزت ، فرحم الله امرئً ألّف بين وليّين لنا ، يا معشر المؤمنين تألّفوا وتعاطفوا »**[٢].

ونهىٰ (عليه السلام) عن احصاء عثرات الآخرين وزلاتهم ، فقال : « **ان أقرب ما يكون العبد الىٰ الكفر أن يؤاخي الرّجل الرّجل علىٰ الدين ، فيحصي عليه عثراته وزلّاته ليعنّفه بها يوماً ما »**[٣].

ونهىٰ عن الطعن بالمؤمنين ونبزهم بالكفر فقال : « **ما شهد رجل علىٰ رجل بكفر قطّ إلّا باء به أحدهما ، ان كان شهد به علىٰ كافر صدق ، وان كان مؤمناً رجع الكفر عليه، فإيّاكم والطعن علىٰ المؤمنين »**[٤].

ونهىٰ عن النميمة فقال : « **محرّمة الجنّة علىٰ القتّاتين المشائين بالنميمة »**[٥].

ونهىٰ (عليه السلام) عن الاذاعة وكشف الاسرار الخاصّة بالمؤمنين فقال : « **يحشر العبد يوم القيامة وما ندىٰ دماً ، فيدفع اليه شبه المحجمة أو فوق ذلك، فيقال له : هذا سهمك من دم فلان ، فيقول : يا ربّ إنّك لتعلم أنّك قبضتني وما سفكت دماً.**

---

(١) الكافي : ٢ / ١٨٣ ، ١٨٤ .
(٢) المصدر السابق : ٢ / ٣٤٥ .
(٣) المصدر السابق : ٢ / ٣٥٥ .
(٤) المصدر السابق : ٢ / ٣٦٠ .
(٥) المصدر السابق : ٢ / ٣٦٩ .

فيقول : بلى سمعت من فلان رواية كذا وكذا ، فرويتها عليه فنقلت حتّى صارت الىٰ فلان الجبّار فقتله عليها وهذا سهمك من دمه »[١].

٥ ـ مجتمع المسلمين

الإسلام هو الافق الواسع الجامع لمن شهد الشهادتين ، وهو الميدان الرحب لتجميع الطاقات و توحيد الامكانات لتنطلق في مصالح واحدة ومصير واحد ، ولهذا فالاسلام محوره وحدوده مجتمع المسلمين جميعاً .

والنظام الاجتماعي لمجتمع المسلمين قائم علىٰ أساس الإخاء والتآلف والتآزر من أجل تحقيق الأهداف الكبرىٰ والحفاظ علىٰ الكيان الاسلامي من التصدّع والتمزّق .

ولذا حثّ الرسول وأهل بيته (عليهم السلام) علىٰ الاهتمام بأُمور المسلمين ومشاركتهم في آمالهم وآلامهم ، والاهتمام بالعوامل التي تؤدي الىٰ التقريب والاتفاق علىٰ القواسم المشتركة في الفكر والعاطفة والسلوك .

ووضع الإمام (عليه السلام) قاعدة كلية في التعامل وهي تعميق مفهوم الولاية بين المسلمين. عن زرارة قال : دخلت أنا وحمران علىٰ أبي جعفر (عليه السلام) ، فقلت له : إنّا نمدُّ المطمار . . . فمن وافقنا من علويّ أو غيره تولّيناه ، ومن خالفنا من علويّ أو غيره برئنا منه ، فقال لي : **يا زرارة قول الله أصدق من قولك ، فأين الذين قال الله عزّوجلّ : ﴿ إلّا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان . . . ﴾ .**

أين المرجون لأمر الله ؟ اين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ؟ أين أصحاب الاعراف ؟ أين المؤلفة قلوبهم ؟[٢].

(١) الكافي : ٢ / ٣٧١.

(٢) المصدر السابق : ٢ / ٣٨٢.

فليس المقياس عند الإمام (عليه السلام) هو الانتماء الىٰ الجماعة الصالحة فقط، وإنّما المقياس هو الانتماء الىٰ الإسلام.

ومن خلال سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ومن خلال متابعة أحاديثهم وبالخصوص أحاديث الإمام الباقر (عليه السلام) المنتشرة في بطون الكتب نستطيع أن نقسم الولاية الىٰ أربعة اقسام :

الأول : ولاية الله تعالىٰ .

الثاني : ولاية رسول الله (صلى الله عليه وآله).

الثالث : ولاية أهل البيت (عليهم السلام).

الرابع : الولاية بين المسلمين .

فمن لم يؤمن بولاية الله وولاية الرسول فهو كافر باجماع المسلمين ، امّا الذي يؤمن بهما ، ولا يؤمن بولاية أهل البيت (عليهم السلام) ـ أي بإمامتهم ـ فلا يجوز سلب صفة الإسلام منه فتبقىٰ ثابتة له ـ ما لم يبغضهم ـ وتبقىٰ الولاية بين أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وغيرهم من المسلمين ثابتة لا يجوز خرمها وقطعها .

وبهذه الروح الإسلامية تعامل الإمام الباقر (عليه السلام) مع سائر المسلمين.

ومن خلال هذا المفهوم بيّن (عليه السلام) الأُسس العامة في التعامل الاجتماعي، فحثّ علىٰ التعاون مع سائر المسلمين ، ومن مصاديق التعاون ، ما رواه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال : « **من أطعم ثلاثة نفر من المسلمين أطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السماوات : الفردوس ، وجنة عدن ، وطوبىٰ** »[1].

وروىٰ عنه (صلى الله عليه وآله) قوله : « **من كسا أحداً من فقراء المسلمين ثوباً من عري أو أعانه بشيء ممّا يقوته من معيشته ، وكّل الله عزّوجلّ به سبعين ألف ملك من الملائكة**

(١) الكافي : ٢ / ٢٠١ .

يستغفرون لكل ذنب عمله الىٰ أن ينفخ في الصور»[١].

ونهىٰ (عليه السلام) عن وضع حجاب بين المسلم والمسلم. عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك ما تقول في مسلم أتىٰ مسلماً زائراً أو طالب حاجة وهو في منزله، فاستأذن عليه فلم يأذن له ولم يخرج اليه ؟.

قال (عليه السلام): « **يا أبا حمزة أيّما مسلم أتىٰ مسلماً زائراً أو طالب حاجة وهو في منزله، فاستأذن له ولم يخرج اليه؛ لم يزل في لعنة الله حتّىٰ يلتقيا** ».

فقلت: جعلت فداك في لعنة الله حتّىٰ يلتقيا ؟

قال: **نعم يا أبا حمزة**[٢].

ونهىٰ (عليه السلام) عن تتبع عورات المسلمين، وروىٰ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: « **يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان الىٰ قلبه لا تذموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنّه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته** »[٣].

وروىٰ عنه (صلى الله عليه وآله) قوله: « **ليس منّا من ماكر مسلماً** »[٤].

ودعا الإمام (عليه السلام) الىٰ حسن التعامل والصبر علىٰ الأذىٰ وعدم مقابلة الاساءة بالاساءة، والظلم بالظلم، والقطيعة بالقطيعة، فدعا الىٰ العفو فقال: «**الندامة علىٰ العفو أفضل وأيسر من الندامة علىٰ العقوبة**»[٥].

وقال (عليه السلام): « **ثلاث لا يزيد الله بهنّ المرء المسلم إلّا عزّاً: الصفح عمّن ظلمه**،

---

(١) الكافي: ٢ / ٥٠٢.

(٢) المصدر السابق: ٢ / ٣٦٥.

(٣) المصدر السابق: ٢ / ٣٥٤.

(٤) وسائل الشيعة: ١٢ / ٢٤٢.

(٥) المصدر السابق: ١٢ / ١٧٠.

واعطاء من حرمه، والصلة لمن قطعه»(١).

وحبّب (عليه السلام) طلب مرضات الناس وسائر المسلمين، بالتقرب اليهم بحسن المعاملة وحسن السيرة، ويجب أن لا تكون مرضاة الناس مسخطة لله تعالىٰ، فقد روى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: «**من طلب مرضاة الناس بما يسخط الله كان حامده من الناس ذامّاً، ومن آثر طاعة الله بغضب الناس كفاه الله عداوة كل عدّو، وحسد كل حاسد، وبغي كل باغ، وكان الله عزّوجلّ له ناصراً وظهيراً**»(٢).

وفي الوقت الذي شجّع فيه علىٰ إقامة العلاقات مع سائر المسلمين وسائر الناس حذّر من مصاحبة أصناف منهم، فقد روىٰ عن أبيه الإمام زين العابدين (عليه السلام) وصيته له: «**يا بنيّ انظر خمسة فلا تصاحبهم، ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق.**

إياك ومصاحبة الكذّاب فإنه بمنزلة السّراب يقرب لك البعيد، ويباعد لك القريب.

واياك ومصاحبة الفاسق فإنه بائعك بأكلة أو أقلّ من ذلك.

وإيّاك ومصاحبة البخيل فإنّه يخذلك في ماله.

وإياك ومصاحبة الأحمق فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك»(٣).

ونهىٰ (عليه السلام) عن الخصومة، ودعاالىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليكون المؤمن في وسط الميدان الاجتماعي ويكون قدوة لغيره بعمله واخلاصه لله، وحسن سيرته. قال(عليه السلام): «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده... المؤمن من ائتمنه المسلمون علىٰ أموالهم وأنفسهم، والمسلم حرام علىٰ**

---

(١) وسائل الشيعة: ١٢ / ١٧٣.
(٢) الكافي: ٢ / ٣٧٢.
(٣) المصدر السابق: ٢ / ٣٧٦.

المسلم أن يظلمه أو يخذله ، أو يدفعه دفعة تعنته »(١).

ودعا الىٰ المجاملة حفاظاً علىٰ الافق العام من العلاقات فقال : **« خالطوهم بالبرّانية وخالفوهم بالجوّانية ان كانت الامرة صبيانية »**(٢).

عاشراً : الإمام الباقر (عليه السلام) ومستقبل الجماعة الصالحة

من أهم مقومات نجاح مسيرة الجماعات وجود قيادة تقوم بالاشراف علىٰ حركتها التكاملية ، وتتبنىٰ التغيير الشامل ، وتقوم بتنسيق البرامج والخطط ، وتشرف علىٰ تنفيذها في الواقع ، وتمدّها بالقوة الروحية والشحنة المعنوية للوصول الىٰ اهدافها وآمالها، والقيادة في منهج أهل البيت (عليهم السلام) هي قيادة ربّانية نصّ عليها الله تعالىٰ وأبلغها لرسوله (صلى الله عليه وآله) وأبلغها رسول الله(صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام) وتتدرج الوصية من إمام الىٰ إمام حتىٰ تصل الىٰ خاتم الأوصياء والائمة (عليهم السلام).

وقد أولىٰ الإمام الباقر (عليه السلام) الإمامة من بعده أهمية خاصة ووجّه أنظار أصحابه اليها ، في شروطها وخصائصها ، وفي تشخيصها في الواقع ، فأعلن عنها تارةً إعلاناً جلياً وآخر خفياً ، ابتداءاً من أول مراحل إمامته ، حتىٰ أواخر أيامه الشريفة ، وكان يستثمر الفرص المناسبة للاشارة اليها وتأكيد الاقتداء بها.

وكان الاعلان عن إمامة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) مصحوباً بالسريّة ، وفي نطاق محدود لم يخبر بها إلّا أصحابه المخلصين المقرّبين له ، حفاظاً علىٰ سلامة الإمام من بعده .

---

(١) الكافي : ٢ / ٢٣٤ .

(٢) المصدر السابق : ٢ / ٢٢٠ .

روي عن محمد بن مسلم أنّه قال :كنت عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، إذ دخل جعفر ابنه وعلىٰ رأسه ذؤابة ، وفي يده عصا يلعب بها ، فأخذه وضمّه اليه ضماً ، ثم قال : **بأبي أنت وأُمي لا تلهو ولا تلعب.**

ثم قال : **« يا محمد هذا إمامك بعدي ، فاقتد به ، واقتبس من علمه ، والله انه لهو الصادق الذي وصفه لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) . . . »**[١].

وعن همام بن نافع قال : قال أبو جعفر لأصحابه يوماً : **« إذا افتقدتموني فاقتدوا بهذا فإنه الإمام بعدي »** ، وأشار الىٰ ابنه جعفر (عليه السلام)[٢].

وسئل الإمام الباقر (عليه السلام) عن القائم فضرب بيده علىٰ أبي عبدالله جعفر ابن محمد (عليه السلام)[٣].

وعن فضيل بن يسار ، قال :كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فأقبل أبو عبدالله (عليه السلام) فقال : **« هذا خير البريّة بعدي »**[٤].

وعن عبد الغفار بن القاسم ـ في حديث طويل ـ جاء فيه قوله للإمام الباقر (عليه السلام) : «انّي قد كبرت سنّي ودق عظمي ولا أرىٰ فيكم ما أسره، أراكم مقتّلين مشردين خائفين ، وإني أقمت علىٰ قائمكم منذ حين أقول : يخرج اليوم أو غداً .

فقال له ـ الإمام الباقر (عليه السلام) ـ : **« يا عبد الغفار انّ قائمنا (عليه السلام) هو السابع من ولدي ، وليس هو أوان ظهوره ، ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): انّ الائمة بعدي اثنا عشر عدد نقباء بني اسرائيل ، تسعة من صلب الحسين،**

---

(١) كفاية الأثر : ٢٥٣ .

(٢) المصدر السابق : ٢٥٤ .

(٣) اثبات الوصيّة : ١٥٢ .

(٤) المصدر السابق : ١٥٥ .

والتاسع قائمهم ، يخرج في آخر الزمان فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً » .

قلت : فإن كان هذا كائن يا ابن رسول الله ، فإلىٰ من بعدك ؟.

قال(عليه السلام) : الىٰ جعفر وهو سيد أولادي وأبو الائمة ، صادق في قوله وفعله[1].

وعن أبي الصباح الكناني ، قال : نظر أبو جعفر الىٰ أبي عبدالله يمشي ، فقال : ترىٰ هذا ؟ . هذا من الذين قال الله تعالىٰ : ﴿ ونريد أن نمنَّ علىٰ الذّين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾[2][3].

وعن زرارة قال : انّ أبا جعفر (عليه السلام) أحضر أبا عبدالله (عليه السلام) وهو صحيح لا علّة به ، فقال له : اني أُريد أن آمرك بأمر ، فقال له : مرني بما شئت ، فقال: ايتني بصحيفة ودواة ، فأتاه بها ، فكتب له وصيته الظاهرة ، ثم أمر أن يدعو له جماعة من قريش ، فدعاهم وأشهدهم علىٰ وصيته اليه[4].

فهذا الاعلان أمر طبيعي لأنه وصية ظاهرة مألوفة عادةً وهي أن يوصي الموصي الىٰ أحد أبنائه وخصوصاً الأكبر منهم، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) أ نّه قال: إنّ أبي استودعني ما هناك ، وذلك أنّه لما حضرته الوفاة قال : « ادع لي شهوداً فدعوت له أربعة ، منهم : نافع مولىٰ عبدالله بن عمر ، فقال: اكتب : هذا ما أوصىٰ به يعقوب بنيه ، يا بني إنّ الله اصطفىٰ لكم الدين فلا تموتنَّ إلّا وأنتم مسلمون وأوصىٰ محمد بن عليّ ابنه جعفر وأمره أنْ يكفّنه في بردته ـ التي كان فيها يصليّ الجمعة ـ وقميصه وأن يعمّمه بعمامته وان يرفع قبره مقدار أربع أصابع ، وأن يحلّ أطماره عند دفنه .

ثم قال للشهود: انصرفوا رحمكم الله .

---

(١) كفاية الاثر : ٢٥٢ .

(٢) القصص (٢٨) : ٥ .

(٣) الكافي : ١ / ٣٠٦.

(٤) اثبات الوصيّة : ١٥٥.

فقلت : يا أبت ما كان في هذا حتىٰ يشهد عليه ؟ قال : يا بني كرهت أن تغلب ، وأن يقال : لم يوص ، فأردت أن يكون ذلك الحجّة »[١].

وأدخل الإمام الباقر (عليه السلام) الأمل في قلوب أصحابه وأتباعه وجميع افراد الجماعة الصالحة فأخبرهم بقرب زوال حكم بني أُمية[٢].

وبالفعل بعد استشهاد الإمام (عليه السلام) بثمانية عشر عاماً سقطت الدولة الأُموية وانتهىٰ حكم الأُمويين علىٰ يد بني العباس .

وكان الإمام الصادق (عليه السلام) هو القائم بالأمر من بعده ، وكما وصفه المستشار عبد الحليم الجندي : الإمام جعفر الصادق نتاج قرن كامل من العظائم يحني لها الوجود البشري هاماته ويدين بحضارته . . .[٣].

وقال أيضاً : شجرة باسقة تترعرع في كل ورقة من أوراقها خصيصة من خصائص أهل البيت في عصر جديد للعلم ، تعاونت فيه أجيال ثلاثة متتابعة منه ومن أبيه وجده[٤].

---

(١) الفصول المهمة : ٢٢٢ . وفي الكافي : ٣٠٧/١ أن تكون لك الحجة.

(٢) مناقب آل ابي طالب : ٤ / ٢٠٣ ، الصواعق المحرقة : ٣٠٧ .

(٣) الإمام جعفر الصادق : ٤ .

(٤) المصدر السابق : ٦٣ .

الفصل الثاني

اغتيال الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) واستشهاده

ولم يمت الإمام أبو جعفر (عليه السلام) حتف أنفه، وإنما اغتالته بالسم أيد أُمويّة أثيمة لا تؤمن بالله، ولا باليوم الآخر، وقد اختلف المؤرخون في الأثيم الذي أقدم على اقتراف هذه الجريمة.

فمنهم من قال: إن هشام بن الحكم هو الذي أقدم على اغتيال الإمام فدسّ اليه السم[1] والأرجح هو هذا القول لأن هشاماً كان حاقداً على آل النبي بشدة وكانت نفسه مترعة بالبغض لهم وهو الذي دفع بالشهيد العظيم زيد بن علي (عليه السلام) الى إعلان الثورة عليه حينما استهان به، وقابله بمزيد من الجفاء، والتحقير. ومن المؤكد أن الإمام العظيم أبا جعفر قد أقضّ مضجع هذا الطاغية، وذلك لذيوع فضله وانتشار علمه، وتحدث المسلمين عن مواهبه، ومن هنا أقدم على اغتياله ليتخلص منه.

ومنهم من قال: إنّ الذي أقدم على سم الإمام هو ابراهيم بن الوليد[2].

ويرى السيد ابن طاووس أنّ إبراهيم بن الوليد قد شرك في دم

---

(١) بحار الأنوار : ٤٦ / ٣١٢.

(٢) أخبار الدول : ١١١.

الإمام(عليه السلام)[١] ومعنى ذلك أن إبراهيم لم ينفرد وحده باغتيال الإمام(عليه السلام) وإنما كان مع غيره.

وأهملت بعض المصادر اسم الشخص الذي اغتال الإمام (عليه السلام) واكتفت بالقول إنه مات مسموماً[٢].

دوافع اغتيال الإمام الباقر (عليه السلام):

أما الأسباب التي أدت بالأُمويين الى اغتيال الإمام (عليه السلام) فهي:

١ ـ **سمو شخصية الإمام الباقر (عليه السلام)**: لقد كان الإمام أبو جعفر (عليه السلام) أسمى شخصية في العالم الإسلامي فقد أجمع المسلمون على تعظيمه، والاعتراف له بالفضل، وكان مقصد العلماء من جميع البلاد الإسلامية.

لقد ملك الإمام (عليه السلام) عواطف الناس واستأثر بإكبارهم وتقديرهم لأنه العلم البارز في الاسرة النبوية ، وقد أثارت منزلته الاجتماعية غيظ الأُمويين وحقدهم فأجمعوا على اغتياله للتخلص منه.

٢ ـ أحداث دمشق:

لا يستبعد الباحثون والمؤرخون أن تكون أحداث دمشق سبباً من الأسباب التي دعت الأُمويين الى اغتياله (عليه السلام) وذلك لما يلي:

أ ـ تفوق الإمام في الرمي على بني أُمية وغيرهم حينما دعاه هشام الى الرمي ظاناً بأنه سوف يفشل في رميه فلا يصيب الهدف فيتخذ ذلك وسيلة للحط من شأنه والسخرية به أمام أهل الشام. ولمّا رمى الإمام وأصاب الهدف عدة مرات بصورة مذهلة لم يعهد لها نظير في عمليات الرمي في العالم، ذهل

---

(١) بحار الأنوار: ٤٦/٢١٦.

(٢) نور الأبصار : ١٣١، الأئمة الاثنى عشر لابن طولون : ٢٨١.

الطاغية هشام، وأخذ يتميز غيظاً ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وصمم منذ ذاك الوقت على اغتياله.

ب ـ مناظرته مع هشام في شؤون الإمامة، وتفوق الإمام عليه حتى بان عليه العجز ممّا أدّىٰ ذلك الى حقده عليه.

ج ـ مناظرته مع عالم النصارىٰ، وتغلبه عليه حتى اعترف بالعجز عن مجاراته أمام حشد كبير منهم معترفاً بفضل الإمام وتفوّقه العلمي في أمّة محمد(صلى الله عليه وآله)، وقد أصبحت تلك القضية بجميع تفاصيلها الحديث الشاغل لجماهير أهل الشام[1]. ويكفي هذا الصيت العلمي أيضاً أن يكون من عوامل الحقد على الإمام(عليه السلام) والتخطيط للتخلّص من وجوده.

نصّه على الإمام الصادق (عليه السلام):

ونصّ الإمام أبو جعفر (عليه السلام) على الإمام من بعده قبيل استشهاده فعيّن الإمام الصادق(عليه السلام) مفخرة هذه الدنيا، ورائد الفكر والعلم في الإسلام، وجعله مرجعاً عاماً للأُمة من بعده، وأوصى شيعته بلزوم اتباعه وطاعته.

وكان الإمام أبو جعفر (عليه السلام) يشيد بولده الإمام الصادق (عليه السلام) بشكل مستمر ويشير الى امامته، فقد روى أبو الصباح الكناني، أنّ أبا جعفر نظر الى أبي عبدالله يمشي، فقال: **ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عزّ وجلّ : ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾**[2].

كل هذه الأُمور بل وبعضها كان يكفي أن يكون وراء اغتياله(عليه السلام) على

(١) راجع بحار الأنوار: ٣٠٩/٤٦ـ ٣١١.

(٢) اصول الكافي : ٣٠٦/١.

أيدي زمرة جاهلية ، افتقرت الى أبسط الصفات الإنسانية، وحرمت من أبسط المؤهلات القيادية.

وصاياه:

وأوصى الإمام محمد الباقر (عليه السلام) الى ولده الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بعدة وصايا كان من بينها ما يلي:

١ ـ انه قال له: **يا جعفر أوصيك بأصحابي خيراً**، فقال له الإمام الصادق: **جُعلت فداك والله لأدعنهم، والرجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحداً**[١].

٢ ـ أوصى ولده الصادق (عليه السلام) أن يكفّنه في قميصه الذي كان يصلي فيه[٢] ليكون شاهد صدق عند الله على عظيم عبادته، وطاعته له.

٣ ـ إنه أوقف بعض أمواله على نوادب تندبه عشر سنين في منى[٣]. ولعل السبب في ذلك يعود الى أن منى أعظم مركز للتجمع الاسلامي، ووجود النوادب فيه مما يبعث المسلمين الى السؤال عن سببه، فيخبرون بما جرى على الإمام أبي جعفر (عليه السلام) من صنوف التنكيل من قبل الامويين واغتيالهم له، حتى لا يضيع ما جرى عليه منهم ولا تخفيه أجهزة الاعلام الأُموي.

وسرى السم في بدن الإمام أبي جعفر (عليه السلام)، وأثّر فيه تأثيراً بالغاً، وأخذ يدنو اليه الموت سريعاً، وقد اتجه في ساعاته الأخيرة بمشاعره وعواطفه نحو الله تعالى، فأخذ يقرأ القرآن الكريم، ويستغفر الله، فوافاه الأجل المحتوم

---

(١) اصول الكافي : ٣٠٦/١.

(٢) صفة الصفوة: ٦٣/٢، تاريخ ابن الوردي : ١٨٤/١، تاريخ أبي الفداء : ٢١٤/١.

(٣) بحار الأنوار : ٦٢/١١.

ولسانه مشغول بذكر الله فارتفعت روحه العظيمة الى خالقها، تلك الروح التي أضاءت الحياة الفكرية والعلمية في الإسلام والتي لم يخلق لها نظير في عصره.

وقد انطوت برحيله أروع صفحة من صفحات الرسالة الإسلامية التي أمدّت المجتمع الاسلامي بعناصر الوعي والازدهار.

وقام ولده الإمام الصادق (عليه السلام) بتجهيز الجثمان المقدس فغسّله وكفنه، وهو يذرف أحر الدموع على فقد أبيه الذي ما أظلت على مثله سماء الدنيا في عصره علماً وفضلاً وحريجة في الدين.

ونقل الجثمان العظيم ـ محفوفاً بإجلالٍ وتكريم بالغين من قبل الجماهير ـ الى بقيع الغرقد، فحفر له قبراً بجوار الإمام الأعظم أبيه زين العابدين (عليه السلام) وبجوار عم أبيه الإمام الحسن سيد شاب أهل الجنة (عليه السلام) وأنزل الإمام الصادق أباه فى مقرّه الأخير فواراه فيه، وقد وارى معه العلم والحلم، والمعروف والبر بالناس.

لقد كان فقد الإمام أبي جعفر (عليه السلام) من أفجع النكبات التي مُني بها المسلمون في ذلك العصر، فقد خسروا القائد، والرائد، والموجه الذي بذل جهداً عظيماً في نشر العلم، وبلورة الوعي الفكري والثقافي بين المسلمين.

والمشهور بين الرواة أنه توفي وعمره الشريف ٥٨ سنة .

وكانت سنة وفاته ـ بحسب الرأي المشهور ـ سنة ١١٤ هـ.

تعزية المسلمين للإمام الصادق (عليه السلام):

هرع المسلمون وقد قطع الحزن قلوبهم الى الإمام الصادق (عليه السلام) وهم يعزونه بمصابه الأليم، ويشاركونه اللوعة والأسى بفقد أبيه، وممن وفد عليه يعزيه سالم بن أبي حفصة، قال: لما توفي أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليهما السلام)

قلت لأصحابي انتظروني حتى أدخل على أبي عبدالله جعفر بن محمد فأعزيه به، فدخلت عليه فعزيته، وقلت له: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب والله من كان يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : فلا يسأل عمن بينه وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) والله لا يرى مثله أبداً قال: وسكت الإمام أبو عبدالله (عليه السلام) ساعة، ثم التفت الى أصحابه فقال لهم: قال الله تعالى: «**إن من عبادي من يتصدق بشق من تمرة فاربيها له، كما يربي أحدكم فلوه**»[1].

وخرج سالم وهو منبهر فالتفت الى أصحابه قائلاً: ما رأيت أعجب من هذا!! كنا نستعظم قول أبي جعفر (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بلا واسطة، فقال لي أبو عبدالله (عليه السلام) قال الله بلا واسطة[2].

---

(١) الفلو بفتح الفاء، وضم اللام وتشديد الواو ـ المهر الصغير، والأنثى فلوة، والجمع أفلا.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ١٢٥، راجع حياة الإمام محمد الباقر لفضيلة الشيخ باقر شريف القرشي: ٢/٣٨٦ ـ ٣٩٥.

الفَصلُ الثّالِثُ

تراث الإمام محمّد الباقر (عليه السلام)

علمنا أن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) قد تنبّأ بأن حفيده محمد بن علي ابن الحسين (عليه السلام) سوف يبقر العلم بقراً ويفجره تفجيراً.

وقد شهد معاصرو الإمام (عليه السلام) بهذه الظاهرة التي كانت ملفتة للنظر وتناقلها المؤرخون جيلاً بعد جيل.

والتراث الذي تركه لنا هذا الإمام الهمام لهو خير دليل على صحة ما شهد به هؤلاء المؤرخون على مدى القرون والأجيال ودليل من دلائل نبوة جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

لقد كانت المرحلة التي عاشها الإمام الباقر (عليه السلام) تتطلّب منه أن يقوم بتشييد أُسس الحضارة الإسلامية وتحصين الأُمة المسلمة بروافد المعرفة الإسلامية لتقف في وجه المدّ الثقافي الذي كان يخترق الحياة الإسلامية بسبب الفتوحات والانفتاح الحضاري على ثقافات الأُمم الوافدة على الدولة الإسلامية العظمى.

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن المعالم الرئيسية لرسالة الأئمة بعد الحسين (عليه السلام) تتلخص في التحصين المعرفي والثقافي للأُمة المسلمة بشكل

عام وللجماعة الصالحة بشكل خاص .

فإن الوقوف على تراثهم الذي قدّموه للأُمة الإسلامية خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري وحتى بداية القرن الثالث الهجري يكشف عن عظمة هذا التراث وتفرّده عمّا سواه من التراث الذي نجده لدى عامة الفرق الإسلامية ، ويتميّز عن كل ذلك بالاستيعاب لكل حقول المعرفة، وسلامة المصدر، ونقاء المحتوى، ووضوح الارتباط بمصادر المعرفة الربّانية المتمثلة بكتاب الله وسنّة رسوله (صلى الله عليه وآله).

ولابد أن ينعكس ثراء هذا التراث وعظمته في هذه الموسوعة رغم اختصارها وعدم استيعابها لكل تراث الإمام الباقر (عليه السلام).

وقد اخترنا من تراثه الثرّ نماذج في مختلف حقول العلم والمعرفة الإسلامية بمقدار ما تقتضيه صفحات هذا الجزء الخاص بالإمام الباقر(عليه السلام) أخذاً بالميسور والله من وراء القصد وهو الموفق للصواب.

التراث التفسيري للإمام محمد الباقر (عليه السلام)

لا ريب في ان القرآن الكريم هو أول مصادر التشريع الاسلامي وأهم مصادر الثقافة الإسلامية التي تعطي للأُمة الإسلامية وللرسالة الإلهية هويّتها الخاصة وتسير بالأُمة الى حيث الكمال الانساني المنشود .

وقد اعتنى الإمام الباقر (عليه السلام) كسائرِ الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) بالقرآن الكريم تلاوةً وحفظاً وتفسيراً وصيانةً له عن أيدي العابثين وانتحال المبطلين ، فكانت محاضراته التفسيرية للقرآن الكريم تشكّل حقلاً خصباً لنشاطه المعرفي وجهاده العلمي وهو يرسم للأُمة المسلمة معالم هويتها

الخاصة . ومن هنا خصص الإمام (عليه السلام) للتفسير وقتاً من أوقاته وتناول فيه جميع شؤونه . وقد أخذ عنه علماء التفسير ـ على اختلاف آرائهم وميولهم ـ الشيء الكثير[١] فكان من ألمع المفسّرين للقرآن الكريم في دنيا الإسلام .

وقد نهج الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير القرآن الكريم منهجاً علميّاً خاصاً متّسقاً مع أهداف الرسالة وأُصولها ونعىٰ على أهل الرأي والاستحسان وأهل التأويل والظنون، فكان مما اعترض به على قتادة أن قال له :

بلغني أنك تفسّر القرآن !.

فقال له : نعم .

فانكر عليه الإمام (عليه السلام) قائلاً : « **يا قتادة إن كنت قد فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت ، وإن كنت قد فسرته من الرجال فقد هلكت وأهلكت ، يا قتادة ويحك إنما يعرف القرآن من خوطب به**»[٢].

وقد قصر الإمام أبو جعفر (عليه السلام) معرفة الكتاب العزيز على أهل البيت (عليهم السلام) فهم الذين يعرفون المحكم من المتشابه ، والناسخ من المنسوخ وليس عند غيرهم هذا العلم ، فقد ورد عنهم (عليهم السلام) «**انه ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ، الآية يكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل ينصرف الى وجوه** »[٣].

أما الأخذ بظواهر الكتاب فلا يعد من التفسير بالرأي المنهيّ عنه .

وألّف الإمام الباقر (عليه السلام) كتاباً في تفسير القرآن الكريم نص عليه

---

(١) حياة الإمام محمد الباقر ، باقر شريف القرشي : ١ / ١٧٤ .

(٢) البيان في تفسير القرآن : ٢٦٧ .

(٣) فرائد الاصول : ٢٨ .

محمد بن اسحاق النديم في « الفهرست » عند عرضه للكتب المؤلفة في تفسير القرآن الكريم حيث قال : «كتاب الباقر محمد بن علي بن الحسين رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية ». وقال السيد حسن الصدر : وقد رواه عنه أيام استقامته جماعة من ثقاة الشيعة منهم أبو بصير يحيى بن القاسم الأسدي ، وقد أخرجه علي بن ابراهيم بن هاشم القمي في تفسيره من طريق أبي بصير[1] .

نماذج من تفسيره :

فسّر الإمام الباقر(عليه السلام) الهداية في قوله تعالى: **﴿ وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾**[2] بالولاية لأئمة أهل البيت حين قال : **فو الله لو أن رجلاً عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ، ولم يجيء بولايتنا إلّا أكبه الله في النار على وجهه »**[3].

٢ ـ وعن قوله تعالى : **﴿ يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك ﴾**[4].
قال (عليه السلام) : **إن الله أوحى إلى نبيّه أن يستخلف علياً فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره الله بأدائه**[5].

٣ ـ وفي قوله تعالى : **﴿ تنزّل الملائكة والروح فيها ﴾**[6] قال (عليه السلام) : **تنزّل الملائكة والكتبة الى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون في السنة من أمور ما يصيب العباد ،**

---

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام : ٣٢٧، الفهرست للشيخ الطوسي : ٩٨، وحقق هذا التفسير المحامي السيد شاكر الغرباوي إلّا انه لم يقدمه للنشر .
(٢) طه (٢٠): ٨٢.
(٣) مجمع البيان : ٧ / ٢٣ طبع بيروت .
(٤) المائدة (٥): ٦٧ .
(٥) مجمع البيان : ٤ / ٢٢٣ .
(٦) القدر (٩٧): ٤ .

والأمر عنده موقوف له فيه على المشيئة، فيقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء، ويثبت، وعنده أم الكتاب »(١).

٤ ـ وفي قوله تعالى : ﴿ **فكبكبوا فيها هم والغاوون** ﴾(٢) ، قال الإمام أبو جعفر (عليه السلام) : « **إنّها نزلت في قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثم خالفوه الى غيره** »(٣).

٥ ـ وفي قوله تعالى : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾(٤). روى محمد ابن مسلم قال : قلت : للإمام أبي جعفر إن من عندنا يزعمون أن المعنيين بالآية هم اليهود والنصارى. قال : **إذاً يدعونكم إلى دينهم !** ثم أشار (عليه السلام) الى صدره فقال: **نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون**(٥).

٦ ـ في قوله تعالى : ﴿ **يوم ندعو كل أناس بإمامهم** ﴾(٦) روى جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال : **لما نزلت هذه الآية قال المسلمون : يا رسول الله ألست إمام الناس كلهم أجمعين ؟** فقال (صلى الله عليه وآله) : **أنا رسول الله الى الناس أجمعين ، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من أهل بيتي يقومون في الناس فيُكَذبون ، ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم ، فمن والاهم واتّبعهم ، وصدقهم فهو مني ومعي، وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذّبهم فليس مني ، ولا معي ، وأنا منه بريء»**(٧).

٧ ـ وسُئل الإمام أبو جعفر عن قوله تعالى : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين**

(١) دعائم الإسلام : ١ / ٣٣٤.
(٢) الشعراء (٢٦): ٩٤.
(٣) اصول الكافي : ١ / ٤٧.
(٤) الانبياء (٢١) : ٧.
(٥) اصول الكافي : ١ / ٢١١.
(٦) الاسراء (١٧) : ٧١.
(٧) اصول الكافي : ١ / ٢١٥.

اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾(١) فقال (عليه السلام) : **السابق بالخيرات الإمام ، والمقتصد العارف للإمام ، والظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام**(٢).

٨ ـ وعن المتوسّمين في قوله تعالى : **﴿ إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين ﴾**(٣)، قال (عليه السلام) : **قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) المتوسم ، وأنا من بعده والأئمة من ذريتي المتوسمون »**(٤).

٩ ـ وفي قوله تعالى : **﴿ وألّوِ استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً ﴾**(٥) قال (عليه السلام) : **« يعني لو استقاموا على ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليه السلام) والأوصياء من ولده ، وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماءاً غدقاً يعني أشربنا قلوبهم الإيمان ، والطريقة : هي الإيمان بولاية علي والأوصياء»**(٦).

١٠ ـ وفي ما يرتبط بقوله تعالى : **﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾**(٧)، سأل بريد بن معاوية الإمام أبا جعفر (عليه السلام) عن المعنيين بقوله تعالى: **﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾**؟ فقال (عليه السلام) : **« إيّانا عنىٰ، وعليّ أوّلنا ، وأفضلنا وخيرنا بعد النبي (صلى الله عليه وآله) »**(٨).

---

(١) فاطر (٣٥): ٣٢.
(٢) اصول الكافي : ١ / ٢١٤ .
(٣) سورة الحجر (١٥): ٧٥.
(٤) أصول الكافي : ١ / ٢١٩ .
(٥) الجن (٧٢): ١٦.
(٦) اصول الكافي : ١ / ٢٢٠ .
(٧) الرعد (١٣): ٤٣ .
(٨) أصول الكافي : ١ / ٢٢٩ مجمع البيان : ٦ / ٣٠١ روى عن أبي جعفر أنها نزلت في آل البيت (عليهم السلام) .

التراث الحديثي للإمام الباقر (عليه السلام) :

يعدّ الحديث النبوي الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم ، وله أهميته البالغة ودوره الكبير في بناء الصرح الثقافي للأُمة الإسلامية بشكل عام وبناء الصرح الفقهي والتشريع العملي للحياة الانسانية بشكل خاص .

وقد زاد من اهتمام أهل البيت(عليهم السلام) بنشر سنّة رسول الله وتبليغها ما واجهه الحديث النبوي الشريف من مآسي الدس والتزوير والوضع والتضييع خلال فترة منع الخلفاء من تدوينه وكتابته بل التحديث به في بعض الأحيان .

واعتنى الإمام الباقر (عليه السلام) بشكل خاص بحديث الرسول(عليه السلام) حتى روىٰ عنه جابر بن يزيد الجعفي سبعين ألف حديث[١]،كما روى عنه أبان بن تغلب وغيره من تلامذته وأصحابه مجموعة كبيرة من هذا التراث الضخم .

ولم يكتف الإمام بنقل الحديث ونشره بل دعا الىٰ الاهتمام بفهم الحديث والوقوف على معطياته ، حتى جعل المقياس في فضل الراوي هو فهم الحديث ودرايته بمعانيه وأسراره .

روى يزيد الرزّاز عن أبيه عن أبي عبدالله الصادق عن أبيه الباقر (عليهما السلام) أنه قال له : « **اعرف منازل الشيعة على قدر رواياتهم ومعرفتهم؛ فإن المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدراية للرواية يعلو المؤمن الى أقصىٰ درجات الإيمان**»[٢].

وقد عرضنا نماذج من رواياته عن جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) فيما مرّ من بحوث سابقة فراجع[٣].

---

(١) أُصول الكافي : ١ / ١٤٠، وراجع مقدمة صحيح مسلم.

(٢) حياة الإمام محمد الباقر (عليه السلام) ، للاستاذ باقر شريف القرشي : ١٤٠ ـ ١٤١ عن ناسخ التواريخ : ٢ / ٢١٩ .

(٣) الخصال : ص ٤ .

التراث الكلامي عند الإمام الباقر (عليه السلام):

وبحث الإمام أبو جعفر في كثير من محاضراته المسائل الكلامية، وسئل عن أعقد المسائل وأدقها في بحوث هذا العلم فأجاب عنها.

ومن الجدير بالذكر أن عصر الإمام كان من أشد العصور الإسلامية حساسية فقد امتدّ فيه الفتح الاسلامي الى اغلب مناطق العالم وشعوب الارض فأثار ذلك موجة من الحقد في نفوس المعادين للاسلام من الشعوب المغلوبة على أمرها، فقاموا بحملة دعائية ضد العقيدة الإسلامية وأذاعوا الشكوك بين أبناء المسلمين، وقد شجّعت الحكومات الأُموية التيارات ذات الافكار المعادية للاسلام؛ إذ لم يؤثّر عن أي واحدٍ من ملوك بني أُمية أنه قاومها أو تصدّى لإيقافها بين المسلمين، ولم يكن هناك أحد قد انبرى الى انقاذ المسلمين في ذلك العصر سوى الإمام أبي جعفر (عليه السلام) حيث تصدى لتزييفها والرد عليها ببالغ الحجة والبرهان.

واليك نماذج من بحوثه:

١ ـ عجز العقول عن إدراك حقيقة الله:

سئل (عليه السلام) عن قوله تعالىٰ: ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾[1] فقال (عليه السلام): « **أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك. وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون ؟!** »[2].

وسأله عبد الرحمن بن أبي النجران عن الله تعالى فقال: إني أتوهم شيئاً، فقال (عليه السلام) له: « **نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو**

---

(١) الانعام (٦): ١٠٣.

(٢) نسب هذا الحديث الى الإمام الجواد (عليه السلام).

خلافه ، ولا يشبهه شيء ، ولا تدركه الأوهام ، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل ، وخلاف ما يتصور في الأوهام، إنما يتوهم شيء ، غير معقول ولا محدود»[١].

٢ ـ ازلية واجب الوجود :

سأله رجل فقال له : أخبرني عن ربك متى كان ؟ فأجابه الإمام(عليه السلام) :

« ويلك! إنما يقال لشيء لم يكن ، متى كان ؟ إن ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً بلا كيف ، ولم يكن له كان ، ولا كان لكونه كون. كيف! ولا كان له أين ، ولا كان في شيء ، ولا كان على شيء ، ولا ابتدع لمكانه مكاناً ، ولا قوي بعدما كوّن الأشياء ، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً ، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً ، ولا يشبه شيئاً مذكوراً ، ولا كان خلواً من الملك قبل انشاءه ، ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه ، لم يزل حياً بلا حياة ، وملكاً قادراً قبل أن ينشيء شيئاً ، وملكاً جباراً بعد انشاءه للكون ، فليس لكونه كيف ولا له أين ، ولا له حد ، ولا يعرف بشيء يشبهه ، ولا يهرم لطول البقاء ، ولا يصعق[٢] لشيء، بل لخوفه تصعق الأشياء كلها. كان حياً بلا حياة حادثة ، ولا كون موصوف ولا كيف محدود ، ولا أين موقوف عليه ، ولا مكان جاور شيئاً ، بل حي يعرف ، وملك لم يزل له القدرة والملك، أنشأ ما شاء حين شاء بمشيئته ، لا يحد ولا يبعض ، ولا يفنى ، كان أولاً بلا كيف ، ويكون آخراً بلا أين ، وكل شيء هالك إلّا وجهه ، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

ويلك أيّها السائل !! إن ربي لا تغشاه الأوهام ، ولا تنزل به الشبهات ، ولا يحار ، ولا يجاوزه شيء ، ولا تنزل به الاحداث ، ولا يسأل عن شيء ، ولا يندم على شيء ، ولا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الارض وما بينهما ، وما تحت الثرى»[٣].

---

(١) أُصول الكافي : ١ / ٨٢.

(٢) يصعق : أي يهلك ، ويضعف .

(٣) أُصول الكافي : ١ / ٨٨ ـ ٨٩.

٣ـ وجوب طاعة الإمام (عليه السلام):

طاعة الإمام واجب ديني أعلنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[١] وتواترت الأخبار بذلك، وروى زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: «**ذروة الأمر وسنامه، ومفتاحه، وباب الأشياء، ورضا الرحمن تبارك وتعالى، الطاعة للإمام بعد معرفته... ان الله تبارك وتعالى يقول: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾**»[٢].

التراث التاريخي للإمام الباقر (عليه السلام)

وتحدث الإمام أبو جعفر الباقر (عليه السلام) كثيراً عن حكم الأنبياء وسننهم ولا سيّما السيرة النبوية المباركة وتأريخ العصر النبوي، وقد نقل عنه المختصون بهذه البحوث الشيء الكثير، وفيما يلي بعضها:

١ـ من وحي الله لآدم:

عرض الإمام (عليه السلام) لأصحابه ما أوحى الله به لآدم من الحكم ومعالي الأخلاق فقال (عليه السلام): «**أوحى الله تبارك وتعالى لآدم اني اجمع لك الخير كله في أربع كلمات: واحدة منهن لي، وواحدة لك، وواحدة فيما بيني وبينك، وواحدة فيما بينك وبين الناس، فأما التي لي فتعبدني، ولا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك فأجازيك بعملك في وقت أحوج ما تكون إليه وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعليَّ الإجابة، وأما التي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك**»[٣].

---

(١) النساء (٤): ٥٩.
(٢) أُصول الكافي: ١ / ١٨٥.
(٣) أمالي الصدوق: ٥٤٤.

٢ ـ حكمة لسليمان :

وحكى (عليه السلام) لأصحابه حكمة رائعة لنبي الله سليمان بن داود فقال (عليه السلام): **« قال سليمان بن داود : أُوتينا ما أُوتي الناس ، وما لم يؤتوا ، وعلمنا ما علم الناس وما لم يعلموا ، فلم نجد شيئاً أفضل من خشية الله في الغيب والمشهد ، والقصد في الغنى والفقر ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والتضرع الى الله عزّوجلّ في كل حال»**[١].

٣ ـ حكمة في التوراة :

ونقل (عليه السلام) لأصحابه حكمة مكتوبة في التوراة فقال (عليه السلام) : **« إنّ في التوراة مكتوباً يا موسى إني خلقتك ، واصطفيتك ، وقويتك ، وأمرتك بطاعتي ونهيتك عن معصيتي فإن أطعتني اعنتك على طاعتي ، وإن عصيتني لم أعنك على معصيتي ، يا موسى ولي المنة عليك في طاعتك لي ، ولي الحجة عليك في معصيتك لي»**[٢].

٤ ـ تسمية نوح بالعبد الشكور :

روى محمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال : **« إنّ نوحاً إنما سمي عبداً شكوراً لأنه كان يقول إذا أمسى وأصبح : اللهم إني أُشهدك أنه ما أُمسي وأصبح بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد والشكر بها عليّ حتى ترضى»**[٣].

٥ ـ دعاء نوح على قومه :

سأل سدير الإمام أبا جعفر (عليه السلام) عن دعاء نوح على قومه فقال له :

---

(١) الخصال : ٢١٩ .

(٢) أمالي الصدوق : ٢٧٤ .

(٣) علل الشرائع : ٢٩ .

أرأيت نوحاً حين دعا على قومه فقال : ﴿ رب لا تذر على الارض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلّا فاجراً كفاراً ﴾ إنه كان عالماً بهم ؟

فأجابه (عليه السلام) : « **أوحى الله اليه: انه لا يؤمن من قومك إلّا من قد آمن. فعند ذلك دعا عليهم بهذا الدعاء**»[١].

٦ ـ اسماعيل أول من تكلم بالعربية :

ونقل الإمام أبو جعفر (عليه السلام) لأصحابه أنّ نبيّ الله إسماعيل هو أول من فتق لسانه باللغة العربية ، بقوله (عليه السلام) . « **أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل ، وهو ابن عشر سنة**»[٢].

٨ ـ نفي الأُميّة عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) :

روى علي بن اسباط فقال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام) : إن الناس يزعمون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكتب ، ولم يقرأ! فأنكر (عليه السلام) ذلك وقال :

« **أنّى يكون ذلك ؟ ! ! وقد قال الله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأُميّين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾[٣]. كيف يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب ؟!** » .

وانبرى علي بن اسباط فقال للإمام : لمَ سُمّي النبيّ الأُمّي ؟

فأجابه الإمام : « **لأنه نسب الى مكة ، وذلك قول الله عزّوجلّ : ﴿ لتنذر أُم القرى ومن حولها ﴾ فأُم القرى مكة ، فقيل أُمي**»[٤].

---

(١) علل الشرائع : ٣١.

(٢) البيان والتبيين : ٣ / ٢٩٠ .

(٣) الجمعة (٦٢) : ٢ .

(٤) علل الشرايع : ١٢٥ .

مع السيرة النبوّية المباركة :

١ ـ استعارة النبي (صلى الله عليه وآله) السلاح من صفوان :

وروى الطبري بسنده عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنّه قال : **لما أجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) السير الى هوازن ليلقاهم ذكر له أن عند صفوان بن اُمية أدراعاً وسلاحاً ، فأرسل اليه فقال : يا أبا اُمية ـ وهو يومئذٍ مشرك ـ أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدوّنا غداً. فقال له صفوان : أغصباً يا محمد ؟ قال : بل عارية مضمونة ، حتى نؤديها إليك ، قال: ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح ، وزعموا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سأله أن يكفيه حملها ففعل .**

قال الإمام أبو جعفر (عليه السلام) : **فمضت السُنّة أن العارية مضمونة**[1].

وقد ألمع الإمام الى أن هذه الحادثة قد استفيد منها القاعدة الفقهية وهو ان العارية مضمونة مع التفريط ، فمن استعار شيئاً فقد ضمنه حتى يؤديه الى صاحبه .

٢ ـ مسيرة خالد الى بني جذيمة :

وروى ابن هشام بسنده عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام): ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث خالد بن الوليد الى بني جذيمة حين فتح مكة داعياً الى الله ، ولم يبعثه مقاتلاً إلّا أنّ خالداً أغار عليهم فأوجسوا منه خيفة فبادروا الى أسلحتهم فحملوها ، فلما رأى خالد ذلك قال لهم : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا ،

(١) تأريخ الطبري : ٣ / ٧٣ طبع دار المعارف

ووثقوا بقوله ، فوضعوا سلاحهم ، إلاّ أنّه غدر بهم ، فأمر بتكتيفهم ثم عرضهم على السيف ، فقتل منهم من قتل ، ولما انتهى خبرهم الى النبي (صلى الله عليه وآله) بلغ به الحزن أقصاه ورفع يديه بالدعاء ، وقال :

« **اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**». ودعا النبي (صلى الله عليه وآله) الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له : «**اخرج الى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك**».

وخرج عليّ (عليه السلام) حتى جاءهم، ومعه مال، فَودىٰ لهم الدماء ، وما أُصيب لهم من الأموال ، حتى انه ليدي ميلغة الكلب[1] حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلّا وداه ، وبقيت معه بقية من المال، فقال لهم عليّ : **هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يؤدَّ لكم** ؟ قالوا: لا . قال: **فإني أُعطيكم هذه البقية من هذا المال، احتياطاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) مما يعلم ولا تعلمون ، فأعطاهم ثم رجع الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره الخبر، فقال (صلى الله عليه وآله): أصبت وأحسنت، وقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاستقبل القبلة شاهراً يديه ، حتى كان يرى ما تحت منكبيه ، وهو يقول : « اللهم إني ابرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد »** وكرر ذلك ثلاث مرات[2].

هذه بعض رواياته عن السيرة النبوية المباركة ، وقد آثرنا الايجاز والإشارة فحسب.

---

(١) الميلغة : الاناء يلغ فيه الكلب أو يسقى فيه . فقد أعطىٰ عليٌّ (عليه السلام) ديته.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : ٢ / ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .

مع سيرة الإمام عليّ (عليه السلام):

وتحدث الإمام أبو جعفر (عليه السلام) في كثير من أحاديثه عن سيرة جدّه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) رائد الحق والعدالة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإليك نموذجاً من ما رواه:

روى زرارة بن أعين عن أبيه، عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال: كان **عليّ (عليه السلام) إذا صلّى الفجر لم يزل معقباً الى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلّمهم الفقه والقرآن، وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك، فقام يوماً، فمرّ برجل فرماه بكلمة هجر** ـ ولم يسم أبو جعفر ذلك الرجل ـ **فرجع الإمام، وصعد المنبر، وأمر فنودي الصلاة جامعة، فلمّا حضر الناس، حمد الله وأثنى عليه، وصلّى على نبيه، ثم قال: «أيها الناس انه ليس شيء أحب الى الله، ولا أعم نفعاً من حلم إمام وفقهه، ولا شيء أبغض إلى الله، ولا أعم ضرراً من جهل إمام وخرقه، ألا وإنه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله حافظ، ألا وانه من انصف من نفسه لم يزده الله، إلّا عزاً، ألا وان الذل في طاعة الله أقرب الى الله من التعزز في معصيته، ثم قال: أين المتكلم آنفاً؟ فلم يستطع الانكار**، فقال: ها أناذا يا أمير المؤمنين، **فقال: أما إني لو أشاء لقلت.** فقال: إن تعف وتصفح فأنت أهل لذلك فقال: **«قد عفوت وصفحت»**[1].

---

(١) شرح النهج: ٤ / ١٠٩ ـ ١١٠.

من الملاحم التي أخبر عنها الإمام الباقر (عليه السلام):

١ ـ قال أبو جعفر الدوانيقي: كنت هارباً من بني أُمية أنا وأخي أبو العباس فمررنا بمسجد النبي(صلى الله عليه وآله) ومحمد بن علي جالس، فقال(عليه السلام) لرجل إلى جانبه: **كأني بهذا الأمر قد صار الى هذين**، وأشار إلينا، فجاء الرجل وأخبرنا بمقالته، فملنا إليه وقلنا له: يابن رسول الله! ما الذي قلت؟ فقال (عليه السلام): **« هذا الأمر صائر إليكم عن قريب ولكنكم تسيئون إلى ذريتي، وعترتي فالويل لكم»**[1].

فكان كما أخبر (عليه السلام) وقد أساء المنصور حينما ولّي الخلافة إلى ذريّة رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعترته، فنكّل بهم كأفظع ما يكون التنكيل وقد قاست عترة رسول الله(صلى الله عليه وآله) في عهد هذا الطاغية من صنوف العذاب ما لم تره عين في عهد الأُمويين فقد كانت أيامه عليهم كلها محنة وألماً وعذاباً.

٢ ـ ومما أنبأ عنه الإمام أبو جعفر (عليه السلام) أنه أخبر عن الحجر الأسود وأنّه يعلق في الجامع الأعظم في الكوفة[2]. وتحقق ذلك أيام القرامطة فقد أخذوه من الكعبة، وجعلوه في جامع الكوفة؛ معتقدين أن الحج يدور مداره، وقد أرادوا ان يكون الحج إلى مسجد الكوفة، وبقي فيه مدة تقرب من عشرين عاماً ثم أُرجع إلى مكانه.

٣ ـ ومن الملاحم التي أخبر عنها: غزو نافع بن الأزرق لمدينة النبي(صلى الله عليه وآله)، وإباحتها لجنوده، يقول الإمام الصادق (عليه السلام): **«كان أبي في مجلس عام إذ اطرق برأسه إلى الأرض ثم رفعه وقال: يا قوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل**

---

(١) دلائل الامامة: ٩٦.

(٢) اتعاض الحنفاء للمقريزي: ٢٤٥.

عليكم مدينتكم في أربعة الآف حتى يستعرضكم على السيف ثلاثة أيام متوالية ، فيقتل مقاتلكم ، وتلقون منه بلاءاً لا تقدرون عليه ولا على دفعه وذلك من قابل ـ أي السنة التي تأتي ـ فخذوا حذركم، واعلموا أن الذي قلت لكم هو كائن لابد منه »، فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه، وقالوا: لا يكون هذا أبداً، فلما كانت السنة المقبلة حمل أبو جعفر(عليه السلام) عياله، واصطحب معه جماعة من بني هاشم، وخرجوا من المدينة ، فجاء نافع بن الأزرق فدخلها في أربعة آلاف واستباحها ثلاثة أيام، وقتل فيها خلقاً كثيراً[1] واستبان لأهل المدينة مدى صدق الإمام في إخباره .

٤ ـ وأخبر الإمام الباقر(عليه السلام) عن شهادة أخيه زيد بن علي فقد قال زيد ابن حازم: كنت مع أبي جعفر (عليه السلام) فمرّ بنا زيد بن علي فقال لي أبو جعفر(عليه السلام): « **أما رأيت هذا ؟ ليخرجن بالكوفة ، وليقتلن ، وليطافن برأسه** »[2]. ولم تمض الأيام حتى قتل زيد بالكوفة وطيف برأسه في الأقطار والأمصار .

٥ ـ ومن الأحداث التي أخبر عنها الإمام أبو جعفر(عليه السلام) هو ما أخبر به من هدم دار هشام بن عبد الملك ، وهي من أضخم الدور في المدينة، وكان قد بناها بأحجار الزيت. قال (عليه السلام): « **اما والله لتهدمنّ ، أما والله لتندر أحجار الزيت** »، قال أبو حازم : فلما سمعت هذا تعجّبت منه وقلت : من يهدمها وأمير المؤمنين هشام قد بناها! فلما مات هشام وولي الخلافة من بعده الوليد أمر بهدمها، ونقل أحجار الزيت منها حتى ندرت في يثرب[3].

---

(١) نور الابصار : ١٣٠، جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام : ١٣٤ ، الخرايج والجرايح : ٨٠ من مخطوطات مكتبة الحكيم .

(٢) نور الابصار : ص ١٣١ .

(٣) دلائل الامامة : ١١٠ .

من التراث الفقهي للإمام الباقر (عليه السلام)

وتحدث الإمام ابو جعفر (عليه السلام) عن حكم القتال والحرب في الإسلام حينما سأله رجل من شيعته عن حروب الامام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فقال له:

«بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) بخمسة أسياف: ثلاثة منها شاهرة لا تغمد حتى تضع الحرب أوزارها، ولن تضع الحرب أوزارها حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت الشمس من مغربها أمن الناس كلهم في ذلك اليوم فيومئذٍ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت في إيمانها خيراً، وسيف مكفوف، وسيف منها مغمود، سله إلى غيرنا، وحكمه إلينا.

فأما السيوف الثلاثة الشاهرة: فسيف على مشركي العرب، قال الله عز وجل: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد﴾[1] ﴿فإن تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين﴾[2] هؤلاء لا يقبل منهم إلّا القتل أو الدخول في الإسلام، وأموالهم فيء وذراريهم سبي على ما سن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنه سبى وعفا، وقبل الفداء.

والسيف الثاني: على أهل الذمة قال الله سبحانه ﴿وقولوا للناس حسناً﴾[3] نزلت هذه الآية في أهل الذمة، ونسخها قوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾[4] فمن كان منهم في دار الإسلام فلن يقبل منهم إلا الجزية

---

(١) التوبة (٩): ٥.
(٢) التوبة (٩): ١١.
(٣) البقرة (٢): ٨٣.
(٤) التوبة (٩) : ٢٩.

أو القتل، وما لهم فيء، وذراريهم سبي، فاذا قبلوا الجزية على أنفسهم حرم علينا سبيهم وحرمت أموالهم، وحلت لنا مناكحهم[١] ومن كان منهم في دار الحرب حل لنا سبيهم وأموالهم، ولم تحل لنا مناكحتهم، ولم يقبل منهم إلا دخول دار الإسلام والجزية أو القتل.

والسيف الثالث: على مشركي العجم كالترك والديلم والخزر، قال الله عزّوجلّ: في أول السورة التي يذكر فيها الذين كفروا فقص قصتهم، ثم قال: ﴿فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها﴾[٢].

فأما قوله: ﴿فإما مناً بعد﴾ يعني بعد السبي منهم «وأما فداء» يعني المفاداة بينهم، وبين أهل الإسلام، فهؤلاء لن يقبل منهم إلا القتل أو الدخول في الإسلام، ولا يحل لنا نكاحهم ما داموا في الحرب.

وأما السيف المكفوف: فسيف على أهل البغي والتأويل قال الله: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾[٣] فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان منكم من يقاتل بعدي على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فسأل النبي (صلى الله عليه وآله) من هو؟ فقال: خاصف النعل ـ يعني أمير المؤمنين ـ وقال عمار ابن ياسر: قاتلت بهذه الراية مع رسول الله(صلى الله عليه وآله) ثلاثاً[٤] وهذه الرابعة والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا السعفات من هجر[٥] لعلمنا أنا على الحق، وانهم على الباطل، وكانت السيرة فيهم من أمير المؤمنين (عليه السلام) مثل ما كان من رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أهل مكة يوم فتحها فإنه لم يسب لهم ذرية، وقال: من أغلق بابه فهو

---

(١) في التهذيب والكافي «مناكحتهم».

(٢) محمد (٤٧): ٤ .

(٣) الحجرات (٤٩): ٩ .

(٤) الثلاث: التي قاتل مع تلك الراية الصحابي العظيم عمار بن ياسر هي: يوم بدر ويوم أحد ويوم حنين، وكان يتزعم تلك الحروب أبو سفيان عميد الأمويين.

(٥) هجر: ـ بالتحريك ـ بلدة باليمن، كما إنها اسم لجميع أرض البحرين.

آمن، ومن القى سلاحه فهو آمن، وكذلك قال أمير المؤمنين(عليه السلام): يوم البصرة نادى فيهم لا تسبوا لهم ذرية، ولا تدفّفوا على جريح[١] ولا تتبعوا مدبراً، ومن اغلق بابه والقى سلاحه فهو آمن.

والسيف المغمود: فالسيف الذي يقام به القصاص قال الله عزّوجلّ: ﴿النفس بالنفس والعين بالعين﴾[٢] فسله إلى اولياء المقتول وحكمه إلينا.

فهذه السيوف التي بعث الله بها محمداً (صلى الله عليه وآله) فمن جحدها أو جحد واحداً منها و شيئاً من سيرها فقد كفر بما انزل الله تبارك وتعالى على محمد نبيه»[٣].

واستمد فقهاء المسلمين الاحكام التي رتبوها على قتال أهل البغي من سيرة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في حرب الجمل، كما أخذوا عن أئمة الهدى (عليهم السلام) الكثير من الاحكام في هذا الباب.

المسح على الخفين:

وجوّز فقهاء المذاهب الإسلامية المسح على الخفين في الوضوء، ولم يشترطوا مماسّة اليد لظاهر القدمين[٤]. وأمّا أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فقد اعتبروا المماسّة واشترطوها ولم يسوغوا غيرها، يقول الربيع: سألت أبا اسحاق عن المسح، فقال: أدركت الناس يمسحون ـ يعني على الخفين ـ حتى لقيت رجلاً من بني هاشم لم أر مثله قط يقال له: محمد بن علي بن الحسين فسألته عن المسح، فنهاني عنه، وقال: «**لم يكن أمير المؤمنين** (عليه السلام) **يمسح**، وكان يقول: سبق

---

(١) لاتدففوا على جريح: أي لا تجهزوا عليه.

(٢) المائدة (٥): ٤٥.

(٣) تحف العقول: ص٢٨٨ ـ ٢٩٠، ورواه الكليني في فروع الكافي، والشيخ الصدوق في الخصال، والشيخ الطوسي في التهذيب.

(٤) الخلاف: ١ / ١٨.

الكتاب المسح على الخفين»[١].

لقد دل الكتاب العظيم على اعتبار المماسة إذ قال تعالى: ﴿**وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم**﴾ والآية ظاهرة أشد الظهور فيما حكم به أهل البيت (عليهم السلام).

مس الفرج لا ينقض الوضوء :

وذهب الشافعي إلى أنّ مسّ الفرج من نواقض الوضوء، وتمسّك بذلك بما روي عن ابن عمر وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وعائشة وسعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار من أن مسّ الفرج من نواقض الوضوء. أما الامام أبو جعفر (عليه السلام) وسائر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فإنهم لا يرون ذلك، فقد روى زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: «**ليس في القبلة ولا المباشرة، ولا مس الفرج وضوء**»[٢].

الجهر في صلاة الاخفات :

وذهب فقهاء المذاهب الإسلامية إلى أن الجهر في صلاة الإخفات أو الإخفات في صلاة الجهر متعمداً غير مبطل للصلاة، أما في فقه مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فإنه مبطل للصلاة، فقد روى زرارة عن الامام أبي جعفر (عليه السلام) في رجل جهر فيما لا ينبغي الاجهار فيه أو أخفى فيما لا ينبغي الإخفاء فيه، فقال (عليه السلام): «**إنْ فعل ذلك متعمداً فقد نقض صلاته وعليه الإعادة، وإن فعل ذلك ناسياً أو ساهياً أو لا يدري فلا شيء عليه وقد تمّت صلاته**»[٣].

---

(١) روضة الواعظين: ٢٤٣، وهذا النصّ يفيد أنّ الكتاب لا يوافق المسح على الخفّين.

(٢) الخلاف : ١ / ٢٣ .

(٣) المصدر السابق : ١ / ١٣٠.

الصلاة على آل النبي في التشهد :

وذهب أكثر فقهاء المسلمين الى وجوب الصلاة على آل النبي (صلى الله عليه وآله) في التشهد، وقد روى جابر الجعفي عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال: **قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من صلى صلاة لم يصلّ فيها عليّ، ولا على أهل بيتي لم تقبل منه»**[1].

هذه نماذج من المسائل الفقهية الكثيرة التي تكلّم عنها الإمام أبو جعفر (عليه السلام) .

من وصايا الإمام الباقر (عليه السلام)

وزوّد الإمام أبو جعفر (عليه السلام) تلميذه العالم جابر بن يزيد الجعفي بهذه الوصية الخالدة الحافلة بجميع القيم الكريمة والمثل العليا التي يسمو بها الانسان فيما لو طبقها على واقع حياته ، وهذا بعض ما جاء فيها :

« أوصيك بخمس : إن ظلمت فلا تظلم ، وان خانوك فلا تخن ، وان كذبت فلا تغضب ، وان مدحت فلا تفرح ، وان ذممت فلا تجزع ، وفكّر فيما قيل فيك ، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله جلّ وعزّ عند غضبك من الحق أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس ، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك، فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك .

واعلم بأنك لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك ، وقالوا : إنك رجل سوء لم يحزنك ذلك ، ولو قالوا : إنك رجل صالح لم يسرك ذلك ، ولكن اعرض نفسك على كتاب الله فإن كنت سالكاً سبيله ، زاهداً في تزهيده ، راغباً في ترغيبة ، خائفاً من تخويفه

(١) الخلاف : ١ / ١٣١ .

فاثبت وأبشر، فإنه لا يضرك ما قيل فيك ، وإن كنت مبائناً للقرآن ، فماذا الذي يغرّك من نفسك.

إن المؤمن معنيّ بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها ، فمرة يقيم إودها ويخالف هواها في محبة الله، ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله ، فينتعش ، ويقيل الله عثرته فيتذكر ، ويفزع الى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف، وذلك بأن الله يقول : ﴿ إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾[١].

يا جابر، استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلصاً الى الشكر ، واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله إزراءاً على النفس[٢] وتعرضاً للعفو.

وادفع عن نفسك حاضر الشر بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل، وتحرّز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقظ ، واستجلب شدة التيقظ بصدق الخوف، واحذر خفي التزين بحاضر الحياة، وتوقّ مجازفة الهوى بدلالة العقل، وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم، واستبق خالص الاعمال ليوم الجزاء.

وانزل ساحة القناعة باتقاء الحرص، وادفع عظيم الحرص بايثار القناعة، واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل، واقطع اسباب الطمع ببرد اليأس.

وسد سبيل العجب بمعرفة النفس، وتخلص الى راحة النفس بصحة التفويض ، واطلب راحة البدن بإجمام[٣] القلب، وتخلّص الى اجمام القلب بقلة الخطأ.

وتعرّض لرقة القلب بكثرة الذكر في الخلوات، واستجلب نور القلب بدوام الحزن.

وتحرّز من ابليس بالخوف الصادق، وإياك والرجاء الكاذب فإنه يوقعك في الخوف الصادق.

---

(١) الاعراف (٧) : ٢٠١ .

(٢) ازراءاً على النفس : أي احتقاراً واستخفافاً بها .

(٣) الجمام : ـ بالفتح ـ الراحة .

وتزيّن لله عزّوجلّ بالصدق في الاعمال، وتحبّب إليه بتعجيل الانتقال. وإياك والتسويف فإنه بحر يغرق فيه الهلكى.

وإياك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب ، وإياك والتواني فيما لا عذر لك فيه فإليه يلجأ النادمون.

واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم، وكثرة الاستغفار.

وتعرض للرحمة وعفو الله بحسن المراجعة، واستعن على حسن المراجعة بخالص الدعاء ، والمناجاة في الظلم.

وتخلّص الى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق ، واستقلال كثير الطاعة.

واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر، والتوسل الى عظيم الشكر بخوف زوال النعم.

واطلب بقاء العزّ بإماتة الطمع، وادفع ذل الطمع بعز اليأس ، واستجلب عزّ اليأس ببعد الهمة.

وتزود من الدنيا بقصر الأمل، وبادر بانتهاز البغية عند امكان الفرصة، ولا امكان كالايام الخالية مع صحة الابدان.

وإياك والثقة بغير المأمون فإن للشر ضراوة كضراوة الغذاء .

واعلم انه لا علم كطلب السلامة ، ولا سلامة كسلامة القلب ، ولا عقل كمخالفة الهوى، ولا خوف كخوف حاجز ، ولا رجاء كرجاء معين.

ولا فقر كفقر القلب ، ولا غنى كغنى النفس، ولا قوة كغلبة الهوى.

ولا نور كنور اليقين، ولا يقين كاستصغارك للدنيا، ولا معرفة كمعرفتك بنفسك.

ولا نعمة كالعافية ، ولا عافية كمساعدة التوفيق ، ولا شرف كبعد الهمة ، ولا زهد كقصر الأمل ، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات.

ولا عدل كالإنصاف ، ولا تعدّي كالجور ، ولا جور كموافقة الهوى، ولا طاعة كأداء الفرائض، ولا خوف كالحزن ، ولا مصيبة كعدم العقل، ولا عدم عقل كقلّة اليقين، ولا قلّة

يقين كفقد الخوف ولا فقد خوف كقلّة الحزن على فقد الخوف.

ولا مصيبة كاستهانتك بالذنب، ورضاك بالحالة التي أنت عليها.

ولا فضيلة كالجهاد ، ولا جهاد كمجاهدة الهوى، ولا قوة كردّ الغضب.

ولا معصية كحب البقاء ، ولا ذلّ كذلّ الطمع ، وإياك والتفريط عند إمكان الفرصة فإنه ميدان يجري لأهله بالخسران...»[1].

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض كلماته الحكيمة التي تمثّل أصالة الفكر والإبداع .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

(١) تحف العقول : ٢٨٤ ـ ٢٨٦ .

الفهرس التفصيلي